محمد بن ناصر العبودي

# الإسلام والمسلمون في غرب إفريقية

# أو

# بقية البقية ... من حديث إفريقية

الطبعة الأولى

**١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م**

ح **محمد بن ناصر العبودي ، ١٤٢٢هـ**

*فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر*

العبودي ، محمد بن ناصر

بقية البقية من حديث افريقيا - الرياض.

٢٦٤ ص ؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك : ٠ - ٣٠٧ - ٣٩ - ٩٩٦٠

١- الإسلام - افريقيا ٢- المسلمون في افريقيا

أ- العنوان

ديوي ٢١٠، ٩١٦ ٢٢/١٦١٤

رقم الايداع ٢٢/١٦١٤

ردمك : ٠ - ٣٠٧ - ٣٩ - ٩٩٦٠

## كتب مطبوعة في فن الرحلات للمؤلف

(١)- في إفريقية الخضراء: مشاهدات وانطباعات وأحاديث عن الإسلام والمسلمين - بيروت دار الثقافة ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

(٢)- رحلة إلى جزر مالديف إحدى عجائب الدنيا -الرياض دار العلوم ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

(٣)- مدغشقر بلاد المسلمين الضائعين - الرياض النادي الأدبي١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

(٤)- جولة في جزائر البحر الزنجي أو حديث عن الإسلام والمسلمين في جزر المحيط الهندي - الرياض - المطابع الأهلية للأوفست ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

(٥)- رحلة إلى سيلان - الرياض - جمعية الثقافة والفنون ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م

(٦)- صلة الحديث عن إفريقية مشاهدات وانطباعات وأحاديث عن الإسلام والمسلمين – نشرته دار العلوم في الرياض ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٧)- مشاهدات في بلاد العنصريين، رحلة إلى جنوب إفريقية وحديث في شؤون المسلمين – نشره نادي القصيم الأدبي في بريدة ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٨)- إطلالة على نهاية العالم الجنوبي - مكة المكرمة - نادي مكة الثقافي ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٩)- زيارة لسلطنة بروناي الإسلامية – طبع بمطابع الرياض الأهلية للأوفست عام١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

(١٠)- شهر في غرب إفريقية مشاهدات وأحاديث عن المسلمين – الرياض – المطابع الأهلية ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

(١١)- في نيبال بلاد الجبال، رحلة وحديث في شؤون المسلمين - الرياض - مطابع الفرزدق ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(١٢)- رحلات في أمريكا الوسطى - المطابع الأهلية للأوفست في الرياض ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(١٣)- إلى أقصى الجنوب الأمريكي رحلة في الأرجنتين وتشيلي - الرياض ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(١٤)- على ضفاف الأمازون، رحلة في المنطقة الاستوائية من البرازيل - نشره النادي الأدبي في أبها ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(١٥)- على قمم جبال الأنديز - الرياض مطابع الفرزدق التجارية ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(١٦)- في غرب البرازيل - الرياض - مطابع الفرزدق التجارية ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

(١٧)- في بلاد المسلمين المنسيين: بخارى وما وراء النهر - طبع في مطابع الفرزدق التجارية عام ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

(١٨)- بقية الحديث عن إفريقية - مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٢هـ.

(١٩)- جولة في جزائر البحر الكاريبي - مطابع الرياض الأهلية للأوفست عام ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(٢٠)- جولة في جزائر جنوب المحيط الهادئ - مطابع الفرزدق في الرياض عام ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(٢١)- داخل أسوار الصين (مجلدان) - مطابع الفرزدق التجارية - الرياض عام ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٢)- بلاد الداغستان - طبع مطابع الفرزدق التجارية بالرياض عام ١٤١٣هـ.

(٢٣)- الرحلة الروسية - مطابع الفرزدق عام ١٤١٤هـ.

(٢٤)- مع المسلمين البولنديين - مطابع الفرزدق في الرياض عام ١٤١٣هـ.

(٢٥)- جمهورية أذربيجان - طبع مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام

١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٦)- في أعماق الصين الشعبية - نشرته مجلة المنهل.

(٢٧)- بين الأرغواي والبارغواي - مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٨)- بورما الخبر والعيان - طبع بيروت عام ١٤١٢هـ.

(٢٩)- مقال عن بلاد البنغال - طبع بالرياض عام ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٣٠)- ذكريات من يوغسلافيا - مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٣١)- كنت في بلغاريا - مطابع الفرزدق عام ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٣٢)- في جنوب الصين - طبعته رابطة العالم الإسلامي بمطبعتها في مكة المكرمة عام ١٤١٤هـ.

(٣٣)- كنت في ألبانيا - مطابع الفرزدق التجارية بالرياض عام ١٤١٤هـ.

(٣٤)- ذكرياتي في إفريقية - محاضرة طبعتها رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة.

(٣٥)- أيام في النيجر - طبع بيروت عام ١٤١٤هـ.

(٣٦)- على أرض القهوة البرازيلية - مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٥هـ.

(٣٧)- نظرة في شرق أوربا وحالة المسلمين بعد الشيوعية - طبع بيروت عام ١٤١٤هـ.

(٣٨)- بين غينيا بيساو وغينيا كوناكرى - مطابع الفرزدق التجارية عام ١٤١٤هـ.

(٣٩)- من أنقولا إلى الرأس الأخضر - مطابع الفرزدق بالرياض عام ١٤١٤هـ.

(٤٠)- سياحة في كشمير - مطابع الفرزدق عام ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

(٤١)- يوميات آسيا الوسطى - مطابع الفرزدق التجارية عام ١٤١٤هـ.

(٤٢)- نظرة في وسط إفريقية - مطابع الفرزدق عام ١٤١١هـ/١٩٩١م.

(٤٣)- بلاد القرم - نشرته دار القبلة في جدة.

(٤٤)- قصة سفر في نيجيريا (مجلدان) - مطابع الفرزدق التجارية في الرياض.

(٤٥)- حديث قازاقستان - نشرته دار القبلة في جدة (تحت الطبع).

(٤٦)- المسلمون في لاوس وكمبوديا: رحلة ومشاهدات ميدانية - نشرته رابطة العالم الإسلامي في سلسلة دعوة الحق، وطبعته في مطبعتها عام ١٤١٦هـ.

(٤٧)- في جنوب الهند من سلسلة الرحلات الهندية - طبع في مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٧هـ.

(٤٨)- رحلات في أمريكا الجنوبية: غيانا وسورينام، مطابع التقنية في الرياض عام ١٤١٩هـ.

(٤٩)- إطلالة على أستراليا - طبع في مطابع التقنية للأوفست - الرياض عام ١٤١٧هـ.

(٥٠)- أيام في فيتنام - نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٧هـ.

(٥١)- في غرب الهند - من سلسلة الرحلات الهندية - نشرته رابطة العالم الإسلامي عام ١٤١٧هـ.

(٥٢)- إطلالة على موريتانيا - نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٧هـ.

(٥٣)- حديث قيرغيزستان، دراسة في ماضيها ومشاهدات ميدانية - نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

(٥٤)- زيارة رسمية لتايوان، نشر دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

(٥٥)- سطور من المنظور والمأثور عن بلاد التكرور - مطابع النرجس التجارية بالرياض عام ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

(٥٦)- راجستان: بلاد الملوك من سلسلة الرحلات الهندية - مطابع الفرزدق التجارية بالرياض عام ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

(٥٧)- في شرق الهند، من سلسلة الرحلات الهندية - طبع في مطابع التقنية للأوفست في الرياض عام ١٤١٩هـ.

(٥٨)- العودة إلى الصين، من سلسلة الرحلات الصينية - طبع في مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٠هـ.

(٥٩)- في شرق البرازيل، من سلسة الرحلات البرازيلية - طبع في مطابع التقنية في الرياض، عام ١٤١٩هـ.

(٦٠)- هندوراس ونيكاراقوا وكوستاريكا (من سلسلة الرحلات في جمهوريات الموز)، مطابع التقنية في الرياض، عام ١٤١٩هـ.

(٦١)- من بلاد القرتشاي إلى بلاد القبرداي، من سلسلة الرحلات القوقازية - طبع في مطابع التقنية للأوفست في الرياض، عام ١٤٢٠هـ.

(٦٢)- بلاد التتار والبلغار، من سلسلة رحلات الشمال - نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته بمطبعتها في مكة المكرمة عام ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

(٦٣)- بلاد الشركس: الإديغي - طبع مطابع التقنية في الرياض عام ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٦٤)- مواطن إسلامية ضائعة - مطابع التقنية في الرياض عام ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م.

(٦٥)- تائه في تاهيتي - طبعته مطابع التقنية بالرياض عام ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٦٦)- نظرة إلى الفلبين بين زيارتين: رسمية وخاصة. مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٠هـ.

(٦٧)- ذكريات من الاتحاد السوفييتي. مطابع النرجس بالرياض عام ١٤٢٠هـ

(٦٨)- نظرة إلى الوجه الآخر من الأرض أو رحلة إلى أبعد مكان: جولات في أقصى جزر المحيط الهادئ الجنوبي. طبع في مطابع التقنية في الرياض عام ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

(٦٩)- في إندونيسيا أكبر بلاد المسلمين. طبع في مطبعة النرجس في الرياض عام ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٧٠)- قرينادا وسانتالوسيا ودومنيكا، من سلسلةالرحلات الكاريبية، طبع في مطابع العلا في الرياض، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

(٧١)- مشاهدات في تايلند، مطبعة النرجس في الرياض ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

(٧٢)- مع العمل الإسلامي في القارة الأسترالية، جولة وحديث في شؤون الإسلام.

(٧٣)- الشمال الشرقي من الهند، رحلة في ولايتي بيهار وإترابراديش وحديث عن المسلمين.

(٧٤)- المستفاد من السفر إلى شاد، مطابع التقنية في الرياض، عام ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

(٧٥)- في جنوب البرازيل، مطابع التقنية في الرياض، عام ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

(٧٦)- فطاني أو جنوب تايلند، مطابع المسموعة في الرياض، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

(٧٧)- بلاد البلطيق، مطبعة العلا في الرياض، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

(٧٨)- العودة إلى ما وراء النهر: رحلة في آسيا الوسطى وحديث في شؤون المسلمين، مطبعة العلا في الرياض ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

(٧٩)- الإسلام والمسلمون في غرب إفريقية، أو بقية البقية من حديث إفريقية. وهو هذا الكتاب.

## مؤلفاته المطبوعة في غير فن الرحلات

(٨٠)- معجم بلاد القصيم (في ستة مجلدات) - نشرته دار اليمامة بالمطابع الأهلية للأوفست بالرياض عام ١٣٩٩هـ، ثم طبع مرة أخرى في عام ١٤١٠هـ.

(٨١)- أخبار أبي العيناء اليمامي - طبع في الرياض وبيروت عام ١٣٩٨هـ.

(٨٢)- الأمثال العامية في نجد (خمسة مجلدات) ساعدت دارة الملك عبد العزيز في الرياض على طبعه، ونشرته دار اليمامة للطبع والنشر عام ١٣٩٨هـ.

(٨٣)- كتاب الثقلاء - نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون في سلسلة الكتاب السعودي.

(٨٤)- نفحات من السكينة القرآنية - طبع أكثر من مرة آخرها طبعة لوزارة المعارف لتوزيعها على مكتبات المدارس - نشرته دار العلوم في الرياض عام ١٤٠٣هـ.

(٨٥)- مأثورات شعبية - نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون في سلسلة الكتاب السعودي.

(٨٦)- سوانح أدبية - طبع مطابع الفرزدق التجارية بالرياض عام ١٤٠٥هـ.

(٨٧)- صور ثقيلة - مطابع الفرزدق التجارية بالرياض عام ١٤٠٥هـ.

(٨٨)- العالم الإسلامي والرابطة - نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبع في مطبعتها عام ١٤١٤هـ.

(٨٩)- نظرة إلى العلاقات العربية مع أهالي جنوب الصحراء – مطابع التقنية في بالرياض عام ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

(٩٠)- المقامات الصحراوية - مطابع التقنية في الرياض عام ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

(٩١)- مساعدات المملكة العربية السعودية للمسلمين، وبخاصة الأقليات المسلمة – بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية – نشرته لجنة الاحتفال بمرور مائة عام على التأسيس، وطبعته في مطابع الناشر العربي في الرياض ١٤١٩هـ.

(٩٢)- كلمات عربية لم تسجلها المعاجم، أحد بحوث المؤتمر الثاني للأدباء السعوديين، ونشرته جامعة أم القرى في مكة المكرمة عام ١٤٢٠هـ.

(٩٣)- المملكة العربية السعودية بين الماضي والحاضر (لمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة) – ونشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطابعها في مكة المكرمة.

(٩٤)- مدلولات كلمات قضى عليها حكم الملك عبد العزيز، نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون (لمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية).

(٩٥)- رابطة العالم الإسلامي إحدى القنوات السعودية لمساعدة المسلمين – نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها بمكة المكرمة عام ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

(٩٦)- الدعاة إلى الدعوة: شرف مهمتهم، وطرق دعمهم. نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها في مكة المكرمة عام ١٤٢٠هـ.

(٩٧)- واجب المسلمين في بلاد الأقليات. نشرته رابطة العالم الإسلامي عام ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.

(٩٨)- ((العالم الإسلامي: واقع وتوقعات)) نشرته مجلة (العربية) التي تصدر في الرياض مصاحباً لعدد ذي الحجة ١٤٢٠هـ منها.

(٩٩)- الدعوة وإعداد الدعاة.

(١٠٠)- حكم العوام.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وبه نستعين، وعليه نعتمد ونتوكل..

أما بعد..

فقد صح عندي تساؤل، أورده أحد أصدقائي عندما اطلع على كتابي "بقية الحديث عن إفريقية" وهو قوله: إذا ذهبت إلى إفريقية بعد تأليف هذا الكتاب، وكتبت كتاباً آخر جديداً، بماذا تسميه ؟ واسم كتابك هذا "بقية الحديث" يشعر بأنك قد انتهيت من الكتابة في هذا المجال.

فقلت له ممازحاً: إنني قد أسميت هذا الكتاب "بقية الحديث عن إفريقية" لأنني أظن أنه سيكون آخر كتبي عن إفريقية، إذ سيكون التاسع من الكتب التي كتبتها عن هذه القارة الإفريقية، وما اعتُبر تابعاً لها.

فقال: هل لك أن تذكرني بأسمائها ؟

قلت: نعم، هي:

١- "في إفريقية الخضراء: مشاهدات وانطباعات وأحاديث عن شؤون المسلمين".

٢- "صلة الحديث عن إفريقية ".

٣- "مشاهدات في بلاد العنصريين؛ رحلة إلى جنوب إفريقية وحديث في أحوال المسلمين".

٤- "شهر في غرب إفريقية".

٥- "سطور من المنظور والمأثور عن بلاد التكرور".

٦- "قصة سفر في نيجيريا".

٧- "مدغشقر بلاد المسلمين الضائعين".

٨- "جولة في جزائر البحر الزنجي".

٩- ((بقية الحديث عن إفريقية))[1].

هذه هي أسماء الكتب تلك، وكلها مطبوعة، وقد ظننت أنني لن أكتب عن أقطار هذه القارة أكثر من ذلك.

أما وقد قدر لي أن أزيد في الكتابة فإن الجواب على تساؤل ذلك الصديق عن اسم الكتاب الذي يكون للبقية: هو بقيتها، فأسميته (( بقية البقية من حديث إفريقية )).

وقد يبقى سؤال آخر جديد وهو: ماذا لو صح عزمك على كتاب جديد بعد (بقية البقية) هذا ؟

وجوابه: إن كتب المؤلف كالأولاد لذي الأولاد، لا يعدم إذا كثروا أن يجد لهم أسماء قد تكون مطابقة للمسمى، وقد تكون غير ذلك.

---

(١) كتب المؤلف بعد ذلك عدة كتب عن إفريقية غير هذه الكتب، بعضها مطبوع، وهذه عناوينها:

١- (نظرة في وسط إفريقية) مطبوع.

٢- (أيام في النيجر) مطبوع.

٣- (بين غينيا بيساو وغينيا كونكري) مطبوع.

٤- (من أنقولا إلى الرأس الأخضر) مطبوع.

٥- (العودة إلى غرب إفريقية) مخطوط.

٦- (من غينيا الاستوائية إلى ساوتومي) مخطوط.

٧- (كرة أخرى إلى إفريقية الخضراء بعد ٣٣ سنة) مخطوط.

٨- (إلى أقصى الجنوب الإفريقي). مخطوط.

٩- (المستفاد من السفر إلى تشاد). مطبوع.

١٠- (إلى أريتيريا بعد ٣٦ سنة) مخطوط.

١١- (( القلم وما أوتي في جيبوتي )) مخطوط.

ولكن إذا كان المراد بالاسم الجديد للكتاب الجديد إن وجد ذلك الكتاب، يمكن أن يكون "ثمالة البقية من حديث إفريقية".

وليس بعد ذلك اسم مناسب لهذه السلسلة من الأسماء، لأن الثمالة هي آخر الكأس. والله المستعان.

إن هذا الكتاب يشتمل على الحديث على ثلاثة أقطار إفريقية متجاورة هي: (القابون)، والكونقو، وزائير.

وهو كتاب سرت فيه على الطريقة نفسها التي سرت عليها في كتبي السابقة في الرحلات من كتابة المشاهدات، وتسجيل الملاحظات عن أحوال البلاد عامة، وعن أحوال المسلمين بصفة خاصة.

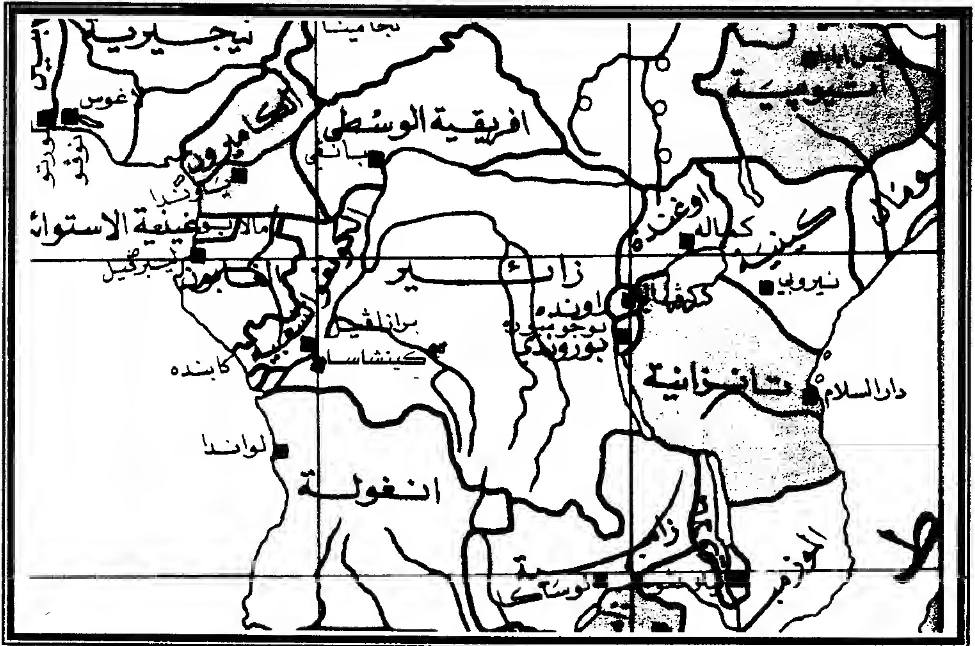
إلى جانب الحديث عن الإسلام والمسلمين في كل بلد على حدة، بصفة مختصرة، مع لمحة من المعلومات الأخرى عن تلك البلاد.

والله الموفق للسداد.

مكة المكرمة

المؤلف

محمد بن ناصر العبودي




**غرب إفريقية**

**القابون والكنقو وزايير**

**سبب الرحلة:**

عندما وكل إليّ العمل في رابطة العالم الإسلامي أميناً عاماً مساعداً رأينا أنه لا بد من العمل على إصلاح الأمر في مكاتب الرابطة في الخارج، وهي أن يقوم الأمين العام، والأمين العام المساعد بتفقد مكاتب الرابطة في الخارج، وبالتناوب بينهما بحيث إذا غاب أحدهما يكون الآخر موجوداً على رأس العمل في الرابطة. وقد بدأ الأمين العام بزيارة مكاتب الرابطة في أوروبا، ثم ثنيت على ذلك بزيارة مكاتب الرابطة في غرب إفريقية، وشملت الزيارة موريتانيا، والسنغال، والقابون، والكنقو، وزائير.

أما موريتانيا فقد ذكرت قصة السفر إليها وفيها في كتاب: ((إطلالة على موريتانيا)).

وأما السنغال فقد زرتها من قبل، وذكرت ذلك في كتاب ((صلة الحديث عن إفريقية)).

وقد أفردت هذا الكتاب الذي هو ((بقية البقية)) وعادتها أن تكون قليلة للحديث عن الأقطار الثلاثة الباقية.

**رفيق الرحلة:**

يقول العرب في أمثالهم: (**الرفيق قبل الطريق**)، وقد صدقوا في ذلك. فهذه الحكمة جربت صدقها بنفسي. فلم أر ألزم للرحلة الناجحة من الرفيق الصالح.

لذلك اخترت عن تجربة الصديق الكريم، السفير عبد الوهاب الدكوري (أبا محمد) مدير المكتب الإقليمي لرابطة العالم الإسلامي في

غرب إفريقية ومقره داكار، وهو عضو المجلس التأسيسي للرابطة، وكان سفيراً لبلاده (مالي) في عدة دول منها المملكة العربية السعودية ...إضافة إلى أنه يجيد اللغة الفرنسية، وهي لغة المنطقة التي سنسافر إليها، وأما العربية فإنه يتكلم بها كما يتكلم بها أبناؤها.

# جمهورية القابون

## يوم الإثنين ١٧/٢/١٤٠٤هـ

### من لومي إلى ليبرفيل:

كنت قد قدمت إلى (لومي) عاصمة (توقو) في الليلة البارحة لقضاء يوم فيها من أجل تغيير الطائرة.

وتناولنا طعام الغداء في منزل الأخ (باخان فال) ممثل شركة إيرافريك في (توقو)، وهو مسلم متزوج من قريبة لرفيقي السفير الدكوري، وزوجته رغم غنى زوجها مثل سائر أهل (مالي) الذين يشتغل رجالهم ونساؤهم بالتجارة.

ثم خرجنا إلى المطار وبقينا فيما يسمى بصالون الشرف، وهو غرفة صغيرة مثل بقية الأبنية في المطار. بينما كان الموظفون يعملون في إنهاء الإجراءات اللازمة للجواز، وكانوا في منتهى الذوق والمجاملة. كما أنهم رغم ذلك يدققون بذوق.

وهذا عجيب من أمر هذه البلاد (توقو) التي هي بلد صغير، ولكنه يحسن الاستفادة من السياحة رغم حداثة عهده بالإدارة، بل رغم حداثة بعض بنيه بالمدنية كلها. فهو هنا عكس نيجيريا التي هي كبيرة غنية، وأجزاء منها عريقة في الإدارة والحضارة الإسلامية، مثل شمال البلاد، ومع ذلك قلّ أن يزورها زائر فلا يشكو من سوء المعاملة، وعدم العدل في الأخذ والعطاء فيها.

ومن لطيف ما قدموه في توقو من الأشربة، شراب الزنجبيل الطازج الذي هو مما تنبته بلادهم، فذكرت الآية الكريمة: ﴿ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴾ مع الفارق العظيم، بل مع عدم التشابه بين حقائق ما في الدار الآخرة وبين ما يعرفه الناس في الدنيا.

وفي الخامسة إلا ربعاً كانت طائرة الشركة الإفريقية (أيرإفريك) تغادر

مطار (لومي) قاصدة (ليبرفيل) عاصمة الجابون ونحن معها.

وقد ركبنا في الدرجة الأولى، وكانت الطائرة مليئة بالركاب؛ لأنها قادمة من رحلة طويلة هذا اليوم ابتدأتها بباريس، ومن (لومي) هذه التي ركبنا منها ستنزل في (لاغوس) عاصمة نيجيريا، ثم ليبرفيل التي نقصدها، ثم تذهب إلى برازافيل، ثم بانقي في جمهورية إفريقية الوسطى.

عندما قربت الطائرة من (لاغوس) كان الظلام قد اختلط بفلول النهار، ولكن ما لبث سحاب مظلم أن أجهز على بقية النور، فلم نعد نرى شيئاً من الطائرة.

وعندما نزلت الطائرة في مطار لاغوس كان الجو فيه ماطراً، وكان الظلام قد حل بالفعل رغم كون المسافة بين المدينتين قصيرة إلا أن (لاغوس) تقع شرقاً من لومي.

وبلغت مدة الطيران بينهما ٣٨ دقيقة.

نيجيريا – كما أسلفت – مشهورة عند الذين يترددون على إفريقية بسوء الإدارة. وهذا ما تجلى في وقوف الطائرة التي لبثت في هذا المطار ساعة ونصفاً لمجرد وقوف يفترض أن تكفي فيه ثلاثون دقيقة.

ولم يسمحوا لنا بالنزول من الطائرة، وكان الحر شديداً، إذْ لم يكن التكييف يعمل في الطائرة، وانبعثت رائحة خبيثة من حمامات الطائرة لا أدري سببها.

أما الأصوات المرتفعة المختلطة، والضوضاء عند باب الطائرة فإنه مزعج، وقد ألقموا باب الطائرة الدهليز المتحرك الذي يكون عادة في المطارات الحديثة؛ لأن مطار لاغوس بالفعل حديث جيد.

وتبادرت إلى ذهني مقارنة الإدارة ما بين المستعمرات الإنكليزية

والمستعمرات الفرنسية، فوجدت المقارنة بالتأكيد في صالح المستعمرات الفرنسية، لأن مثل هذه الفوضى لا توجد في المستعمرات الفرنسية السابقة.

ثم أقلعت الطائرة في السابعة قاصدة (ليبرفيل) عاصمة (القابون) وأعلنت المضيفة أن الطيران سيستمر ساعة وربعاً.

**مطار ليبرفيل:**

هبطتْ في المطار، وعندما فتح باب الدرجة الأولى فيها دخل منه موظف وقال بصوت عالٍ: قفوا أيها الركاب، ولا تنزلوا حتى ينزل الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي قبلكم، ثم نادى بقوله: تفضل أيها الأمين العام.

وبطبيعة الحال لم يكن أحد من الذين كانوا معنا في الدرجة الأولى يعرفني، ولا حتى ذلك الموظف، وإنما كنت مرتدياً ملابسي العربية، فاستدل عليَّ بذلك.

وعندما نزلت من الطائرة كان عند السلم وزير الشؤون الدينية محمد موابا بيوتسا، ومستشار الرئيس للشؤون السياسية، محمد هاراساني، وهو برتبة وزير أيضاً، وكلاهما مسلم، والحاج عيسى عبد الله الإمام بالجامع الكبير في ليبرفيل، والحاج طنزي كورا إمام جامع أكيبي بلين، والسيد أنزي مختار وكيل وزير الشؤون الدينية، والسيد إسحاق عباس محاسب في وزارة الشؤون الدينية، والأخ عبد الواحد كونطه وأصله من مالي وهو موظف في مكتب الرابطة في ليبرفيل، وقد حضر الاستقبال وهو يرتدي ملابس عربية كاملة من بينها (شماغ)، وهو غطاء الرأس العربي أحمر شديد الحمرة، وهو غير مناسب للون الأسود كما نعرفه.

سلموا جميعاً وأحفوا السلام.

ثم لبثنا قليلاً في غرفة كبار الزوار في المطار بينما قربت السيارات.

**في قصر الضيافة:**

نقلونا إلى المدينة، فأنزلونا في أحد قصور الضيافة في منطقة تتألف من عدة دارات (فيلات) حديثة جميلة يسمونها قرية ١٢ مارس، ويريدون به ١٢ مارس ١٩٧٨م، وهو التاريخ الذي عقدت فيه منظمة الوحدة الإفريقية اجتماع قمة لها هنا وقد يسمونها (القرية الإفريقية)، وذلك أن السبب الذي أقاموها من أجله هو أن تكون مقراً لرؤساء الدول في منظمة الوحدة الإفريقية التي عقدت أحد اجتماعاتها في هذه المدينة (ليبرفيل).

ثم جعلوها أو جزءاً منها بعد ذلك موضعاً لنزول كبار الضيوف عندهم.

وقد أنزلونا في فيلا مؤثثة تأثيث فنادق الدرجة الأولى، وفيها أشياء زائدة على ذلك، منها أن فيها طباخاً خاصاً يطبخ لك ما تطلبه، فضلاً عن الخدم المختصين.

أما الأمن فإن المنطقة كلها ليس لها إلا بوابة واحدة لا يدخل معها إلا من كان معروفاً.

تعشينا في منزل الضيافة، ولولا أنه مؤلف من وحدات منفصلة لأسميته (قصر الضيافة) إلا أن الواحدة فيه أصغر من القصر.

## يوم الثلاثاء ١٨/٢/١٤٠٤هـ

### الصباح القابوني:

أزحت ستارة النافذة في غرفتي الأنيقة مع طلوع الشمس لأستجلي المنطقة التي قدمت إليها ليلاً. فرأيت منظراً أنيقاً ذلك بأنهم أقاموا هذه الدارات على ربى خضر بينها وديان منخفضة خضر أيضاً، إلا أنها ليست مستطيلة أو حتى لها شكل معين، لذلك ينتقل البصر من هذه الربى إلى الوهاد في منظر جميل.

لا سيما بالنسبة لمن كان مثلي قادماً من جو صحراوي جاف بل مغبر، في موريتانيا، وأقل منه قليلاً في السنغال.

وهذه الربى والوهاد الخضر تؤلف ساحة واسعة بعدها يأتي شارع قد نحت في حضن رابية جعلته أعلى من هذه.

كنت مستغرقاً في تأمل هذا الجمال الطبيعي وإذا بي أرى خادمتين جاءتا تنظفان بعض الأماكن في هذه الدارات، فعرفت من ذلك أن نصيبهما من الجمال ذهب إلى جمال الموقع، إن كان الجمال بالحصص والأنصباء.

وذكرت عندئذ المثل المشهور (ماء، وخضرة، ووجه ...!).

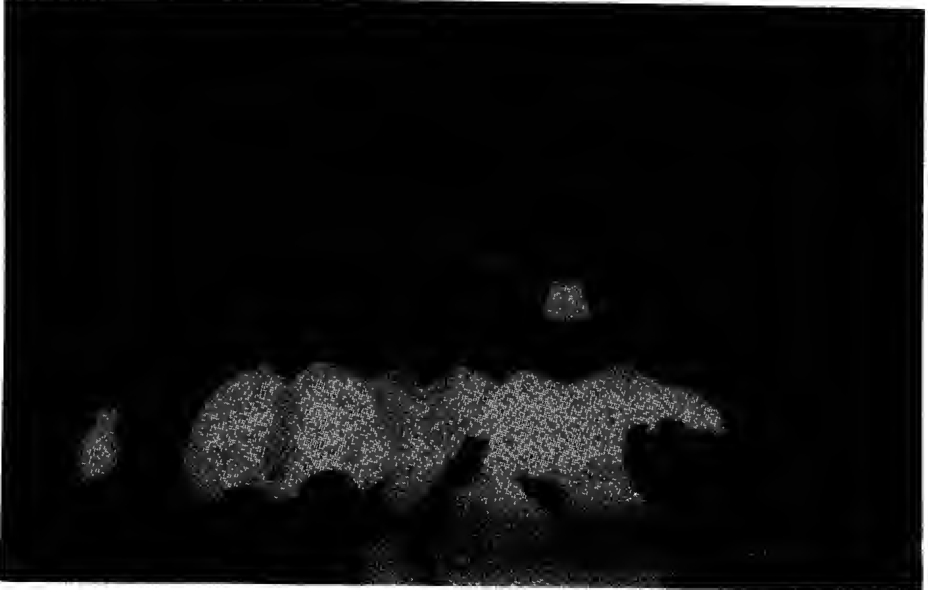
وبعد الإفطار انهمكت في دراسة الأوراق الكثيرة التي أحملها عن مكتب الرابطة في (القابون) ومشكلاته وأخطاء القائمين عليه.

### جلسة عمل:

الساعة التاسعة من هذا الصباح هي موعد احتماع عمل بيننا وبين الجانب القابوني.

وقد تم الاجتماع في مكتب وزير الشؤون الدينية (محمد موابا) وقد حضره منهم إلى جانب الوزير الحاج (محمد هارساني) المستشار السياسي

لرئيس الجمهورية، وأربعة ممن يسمونهم رجال الدين، منهم إمام المسجد الجامع الأول في ليبرفيل (عيسى عبد الله)، كما حضره عبد الواحد كونطة من مكتب رابطة العالم الإسلامي في القابون. وموظفان اثنان لضبط الجلسة، وربما كان أحدهما صحفياً، أما الجانب السعودي فليس معي إلا رفيقي السفير الدكوري.



**في مكتب وزير الشؤون الدينية الجابوني، على يمينه المؤلف، وعلى يساره مستشار الرئيس للشؤون السياسية فالدكوري**

بدؤوا بمعاتبة الرابطة على إهمالها لأمور مكتبها في القابون على حد قولهم.

وقال مستشار الرئيس: لقد حملت رسالتين من الرئيس طالبت فيهما بتعيين مدير جديد لمكتب الرابطة

وقال الوزير: إن هذا ليس من المصلحة الإسلامية في شيء، بل هو مضر للدعوة الإسلامية، لأن الناس يرون الهيئات المسيحية تعامل الناس معاملة

حسنة.

بل إن الناس كانوا يعتقدون أن المسلمين هم أهل تمائم وأحجبة – جمع حجاب – وأن المسيحيين هم أهل العلم والثقافة، ولقد حاولنا منذ أن اعتنق الرئيس (عمر بنقو) الإسلام أن نزيل هذا الانطباع عن المسلمين، إلا أن مدير مكتب الرابطة في الوقت الحاضر هو شخص يعمل في هذه الأشياء. أي التمائم والأحجبة. وهذا أمر يتنافى مع سمعة الإسلام في هذه البلاد.

وقال: إن الناس في (القابون) يقبلون إقبالاً عظيماً على الإسلام، ولكنهم لا يجدون من يساعدهم على العمل بالإسلام، وفهمه فهماً صحيحاً.

ثم بالغوا في كونهم راجعوا الرابطة مراراً عديدة، ولم تستجب لذلك - على حد قوله -.

بل إن الوزير قال: إن سلوك ممثلي الرابطة في مكتبها قلل من أهمية المسلمين، حتى إنه كان للمسلمين حصة في برنامج (التلفزة) تتكلم عن الإسلام، ويشرف عليها مكتب الرابطة، ولما جاء المدير الحالي أبطل ذلك لأنه لا يستطيع أن يقوم به بنفسه، ولا يريد أن يقوم به غيره. وقال: إن إسهام المسلمين في البرنامج المتلفز هو مكسب حصل للمسلمين، وأضاعه منهم مدير المكتب، ثم حمل على مدير المكتب وعلى الرابطة التي أبقته في هذا العمل.

ولما أنهى الوزير كلامه، تكلم مستشار الرئيس للشؤون السياسية، وهو برتبة وزير أيضاً بنحو من ذلك.

فلما أنهوا كلامهم جميعاً، قلت لهم: إنني أوافق على أن كثيراً مما قلتموه له أصل من الحقيقة، وإن كان بعضه مما فهمتموه فهماً من قرائن الأحوال، ولكن الرابطة لم تعمله، ولم تقصد أن يحدث.

ونظراً إلى أن الرابطة قد تولت شؤونها إدارة جديدة، وأنا نفسي أعتبر جديداً فيها، وكل ما ذكرتموه حدث قبل أن نلتحق بالرابطة، فإنني أعدكم

بأن نعمل الآن على إصلاح ما حدث، ونحن بحاجة إلى أن تعاونونا على ذلك، لأن موضوع العمل الإسلامي وتدعيمه في هذه البلاد، والدفاع عن سمعة المسلمين يهمنا جميعاً بصفتنا مسلمين.

ولا شك في أن الرئيس (عمر بنقو) وهو المسلم المخلص لإسلامه يشاطرنا ذلك أيضاً.



**مع وزير الشؤون الدينية في الجابون، على مكتبه: أنا، وعلى يميني الوزير، وعلى يساري يعقوب ولد داداه**

ثم أجرينا معهم محادثات طويلة استمرت إلى ما بعد الظهر، اتفقنا في نهايتها على معالجة الموضوع ، واتخذنا محضراً وقعه الوزير نيابة عن حكومة القابون ووقعته أنا نيابة عن رابطة العالم الإسلامي.

ويتضمن عدة أشياء بشأن مكتب الرابطة خاصة، وأشياء تتعلق بتنشيط الدعوة الإسلامية في هذه البلاد بوجه عام.

ومن بين ما يتعلق بمكتب الرابطة عزل المدير الحالي وتعيين مدير

مؤقت يتفق عليه الطرفان، وقد اتفقنا على الأخ (يعقوب ولد دادا) وهو موريتاني يعمل في القابون مستشاراً لوزارة التعليم مع دفع جميع المبالغ المستحقة على مكتب الرابطة، ومنها إيجار المكتب للسنوات الثلاث الماضية مع مصاريف الكهرباء والهاتف واستحقاق الموظفين المتأخر.

وفيما تعلق بتنشيط الدعوة الإسلامية اتفقنا على خطة معينة.

وأنهينا الجلسة على أن يتم التوقيع على المحضر في جلسة العمل التالية في الساعة الخامسة من بعد ظهر غد. وفهمت أنهم سيعرضون المحضر على رئيس الجمهورية قبل توقيعه لأنه مهتم بهذا الموضوع كثيراً.

**مكتب رابطة العالم الإسلامي:**



**مكتب الرابطة في الجابون، والشيخ الدكوري على الدرج**

المقصود الأعظم من رحلتي إلى القابون هو الاطلاع على أوضاع مكتب الرابطة هنا، وكيفية العمل على إصلاحها.

وقد زرنا المكتب فوجدناه يقع على شارع عام هو (إكس ديل)، ولكن الجهة التي فيها المكتب أرضها منخفضة جداً عن مستوى الشارع لأنها فيما يشبه الوادي، لذلك رفعوا المكان بأعمدة لكي تتساوى مع أرض الشارع وترتفع عنها قليلاً، فأصبح المكتب يبدو وكأنه معلق.

وخلف المكتب المرفوع هذا أكواخ ذات سقوف من الصفيح في منطقة كانت مرتفعة، وفيها من بقايا الريف أشجار من النارجيل والعمبة (المانقو) كذلك الموز.

ومقر المكتب طابق واحد مؤلف من ثلاث غرف ومطبخ وحمام وقاعة صغيرة في المدخل، وأجرته الشهرية ثلثمائة ألف فرنك إفريقي أي أقل قليلاً من ثلاثة آلاف ريال سعودي.

ولم نجد فيه موظفين لأن مديره كان قد تسلم سلفة من الرابطة للموظفين في المكتب ولم يسلمها لهم ولذلك لم يحضر حتى للقابون، مع أنني قد نبهت عليه بذلك عندما زار الرابطة في مكة، ولكنه أراد التهرب من مواجهتي.

ومن الإهمال في المكتب أن كثيراً من أثاثه قد أخرج منه مثل الآلة الكاتبة، قد أخذها كاتب المكتب إلى بيته، وعلل ذلك بقوله إنه يخاف أن تسرق كما سرق غيرها مثل الثلاجة على حد قوله.

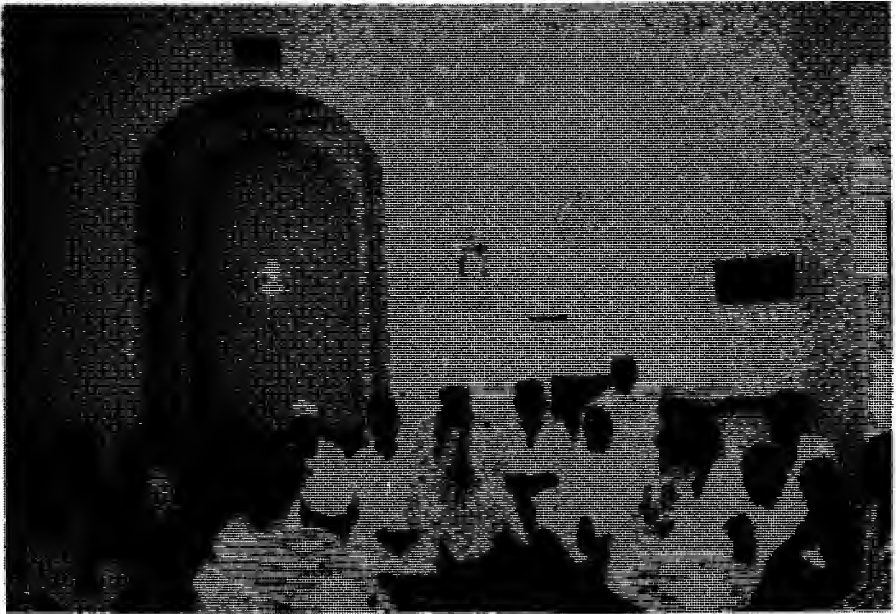
أما السيارة فإنه ربما يكون مدير المكتب قد أخذ لوحاتها الدبلوماسية التي يستفيد منها في أشياء كثيرة فوضعها على سيارته الخاصة.

**سلام الدعاة:**

عندما عدت إلى بيت الضيافة وجدت طائفة من الأخوة ذوي المظهر

الإسلامي، وقد أخبروني أن منهم اثني عشر داعية كان مدير المكتب السابق قد عينهم وبقوا فترة طويلة لم تصرف لهم رواتب، فتركوا العمل، والعجيب أن بعضهم ليس لدى الرابطة علم عنهم ولا عن أعمالهم، وبعضهم قد أرسلت الرابطة سلفة على حساب رواتبهم لمدير المكتب، فلم يصرف لهم منها، وهذا أمر محزن حيث وصل أمر الدعاة إلى هذا الحد في هذا البلد الذي عرف الإسلام منذ عهد قريب وأخذ أهله يقبلون على الإسلام بكثرة منذ أن أسلم رئيس البلاد (عمر بنقو) مع أن بلاده كانت قبل ذلك مغلقة أمام الدعاة المسلمين ومفتوحة على مصراعيها للمسيحيين.

**المسجد الأول:**



**في الجامع الكبير الأول في ليبرفيل مع طائفة من المسلمين، والإمام على رقبته الغترة الصفراء**

وقد يسمونه (الجامع القديم) لأنه أول جامع أنشئ في مدينة (ليبرفيل)

كانت زيارته أول فقرة في جولة بدأت في الرابعة من بعد الظهر.

فخرجنا من دار الضيافة وسرنا مع الشارع المجاور للبحر (شارع الكورنيش) والبحر هنا هو المحيط الأطلسي الذي تقع عليه العاصمة.

وقد أفضى بنا ذلك إلى حي حديث تجاري، ثم إلى جزء إفريقي جيد من المدينة وفيه يقع المسجد.

وجدنا في المسجد طائفة من الإخوة الكرام من طلبة العلم ومحبيه، وعلى رأسهم إمام الجامع هذا وهو الشيخ (عيسى عبد الله) هوساويٌّ القبيلة، كميروني الأصل، بل والفصل لأنه لا يزال على جنسيته تلك.

كان الوقت بعد انقضاء صلاة العصر ومع ذلك كان بعض الناس لا يزالون يدخلون المسجد ممن فاتتهم الجماعة يؤدون صلاة العصر فرادى ثم يخرجون.

وقد تجمهر حولنا طائفة من المصلين وغيرهم، ولكن كان من أبرزهم وأحقهم بالتنويه شيخاً مسناً اسمه (محمد إيناس اباكلي)، عندما سألنا عن تاريخ بناء المسجد قال: إنه كان مسيحياً وأسلم في عام ١٩٢٧م وكان هذا المسجد قائماً عند إسلامه.

وقد علمنا بعد ذلك أن المسجد بني في عام ١٩٢٢م وجدد بناؤه، ووسع بعد ذلك.

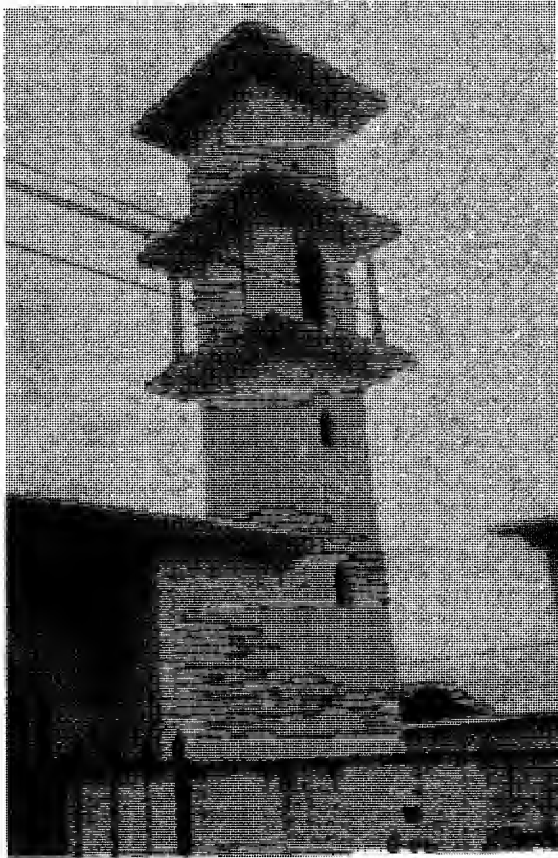
وقال الحاج محمود المذكور: لقد بنى هذا المسجد المسلمون الذين كان أكثرهم من الغرباء عن البلاد، لأن عدد المسلمين من أهل البلاد قليل، وكان رئيس المسلمين في ذلك الوقت الحاج (داري مباي) من السنغال.

والمسجد مفروش بفراش نظيف، وحاله تدل على العناية به، ولذلك رأيت بعض المسلمين جالسين فيه للراحة من دون صلاة أو قراءة.

وقد شكا إمام المسجد ومساعده من أنهما لا يتقاضيان مرتبات، وإنما يحصلان على بعض المساعدات من تعليم الأولاد ومن تسمية أطفال المسلمين.

وقالوا: إن المسجد يحتاج أيضاً إلى مورد يكفي لما يحتاجه من الماء والكهرباء، وكذلك لابد من ترميمه بين الفينة والأخرى.

وكانت جلسة ممتعة مع هؤلاء الإخوة المسلمين في هذا البيت من بيوت الله، وكان معنا الأخ إبراهيم حوص وهو من مالي ومبعوث من رابطة العالم الإسلامي إلى القابون لإقراء القرآن، وقد ألزمته بأن يجلس لمن يريد منهم أن يقرأ عليه في المسجد، أو أي مدرسة إسلامية، لأنه لا توجد مدرسة إسلامية كبيرة.



**منارة المسجد القديم، وهو الأول في ليبرفيل**

**ذكريات قديمة :**

وكنت أتأمل هذا المسجد الذي زرته في عام ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م عند زيارتي لقابون التي كانت هي الأولى والأخيرة قبل الزيارة الحالية. وذلك عندما كنت رئيساً للوفد السعودي الذي حضر الاحتفال بإسلام الرئيس (عمر بنقو).

وأذكر أننا آنذاك صلينا الظهر في هذا المسجد، وأسلم فيه ونحن حاضرون نحو العشرين شخصاً، ولكن المؤسف أننا لا ندري ماذا حصل لهم بعد ذلك أبقوا متمسكين بإسلامهم ؟ أم إن عدم وجود المرشدين والمعلمين للدين الإسلامي قد حال دون ذلك !.



**على باب المسجد الأول في ليبرفيل**

تماماً مثلما نرى اليوم أن الناس يقبلون على الإسلام في هذه البلاد

ولكن إرشادهم وتعليمهم أمور دينهم، أو قل رعايتهم في هذا الشأن تكاد تكون قاصرة عن درجة إقبالهم على الإسلام بكثير.

وقد ختمنا هذا بالتجول حول المسجد، ورأينا بيوتاً قريبة من المسجد ليس بينه وبينها إلا فناء مغطى بأشجار وارفة الظلال، وتحتها طائفة من نساء المسلمين جالسات، وأخبرونا أن هذه البيوت للمسلمين، رغبوا في سكناها لقربها من المسجد.

**جولة في ليبرفيل:**

وهذه الجولة تشمل زيارة بعض المساجد، ورؤية معالم المدينة إن سمح الوقت فيها بذلك قبل حلول الظلام.

ونحب أن نوضح هنا أن معنى اسمها (ليبرفيل): مدينة الحرية، لأن عدداً من الرقيق الذين كانوا عائدين من البواخر التي كانت قد اختطفتهم لتنقلهم إلى أمريكا ليباعوا هناك، أنقذتهم سفينة فرنسية فعادوا وأسسوا قرية أسموها (ليبرفيل) ما لبثت أن كبرت حتى صارت العاصمة.

وكان موضع العاصمة لقبيلة قابونية اسمها (ميني).

وغني عن القول بأن مجتمع القابون هو مجتمع قبلي لأن معظم الأقطار الإفريقية كذلك.

أما اسم القطر (جابون) فإن أصله - فيما أخبروني - برتغالي أطلقه أحد المستكشفين البرتغاليين الذين كانوا أول الأوروبيين وصولاً إلى هذه البلاد، ويعني ثوب البحّار؛ لأنه رأى البر الذي نزل فيه منها على هيئة ثوب البحّار - بتشديد الحاء -.

وقد رأينا البلدة جيدة الأبنية، نظيفة الشوارع، تكاد الأكواخ والعشش المزدحمة غير النظيفة الموجودة في الأحياء الشعبية في كثير من المدن الإفريقية

تكون غير موجودة فيها.

إلا أنني رأيت في ضواحي هذه المدينة ما رأيته في المدن الاستوائية المطيرة في آسيا وإفريقية من كون مجاري المياه تكون مكشوفة على جانبي الشارع، ويعتمدون في تنظيفها على المطر حيث تحمل مياه الأمطار ما يتجمع فيها من خبث وتذهب به إلى البحر. إلا أن المجاري هنا مبنية بالإسمنت، وبطريقة جيدة بحيث لم أر فيها مياهاً راكدة كثيرة كريهة المنظر كالموجودة في كثير من المدن الاستوائية.

ويلاحظ هنا أن الإسفلت في شوارع المدينة عام شامل، ولا توجد شوارع ترابية إلا ما كان من الأزقة الداخلية في بعض الأحياء.

وهي بهذا تكون أعلى مستوى من كثير من المدن الإفريقية ما عدا بعض الأحياء الفاخرة في مدن مثل نيروبي وداكار وأبيجان.

**مسجد أكبي بلين:**



**الباب الداخلي لمسجد أكبي بلين**

يسمى هذا المسجد باسم الحارة التي يقع فيها، وهي (أكبي بلين) ومعناها الأرض المستوية، لأن (أكبي): حارة، وبلين: أرض مستوية.

وقد يسمى مسجد الهدى.

وقد رأيناه على البعد واضحاً ذا طلاء أخضر وعلى شارع عام قد أحاطت بسطحه شرفات عربية أصيلة مغربية الطابع.

ومنارته على هيئة صومعة أي مربعة غير دقيقة، وهذا ظاهر السبب لأن هذا هو طابع المآذن في الأندلس والمغرب، ومنه استوحي فن البناء في تلك المنطقة.

والمسجد متوسط السعة، مفروش بفراش لا بأس بجودته، فهو ذو محراب واسع كتب عليه جملة (الله أكبر) بخط سوداني، وهو فرع من الخط المغربي الذي هو الخط الكوفي، وازدهر في بلاد السودان الغربي القديم، الذي كان يشمل مالي والسنغال والنيجر وغينيا وما حولها من جهة الشرق.



**مسجد أكبي بلين أو مسجد الهدى في ليبرفيل**

وبجانب جملة (الله أكبر) المكتوبة بالخط السوداني كتبوا الشهادتين بخط مشرقي واضح، وقد رأيتهم هنا كما في المسجد الأول ما يزالون يدخلون يصلون العصر فرادى ثم يخرجون رغم أنه لم يبق على غروب الشمس إلا أكثر قليلاً من الساعة الواحدة.

### سوق أكبي :

بعد زيارة مسجد (حي أكبي) التي هي المقصود من الزيارة وقفنا في سوق الحي، وهو سوق صغير لا يخرج عن المألوف في الأسواق الشعبية الإفريقية، من ذلك أن جميع الباعة فيه من النساء، وأن من أبرز المعروضات فيه الموز الذي يطبخ، وهو الأخضر الكبير، وهو غير الذي يؤكل فاكهة وهو الأصفر الصغير.

ونوع من الباذنجان صغير أزرق اللون، وطماطم غير جيدة، وقد عرضوها على هيئة كومات - أي مجموعات - كل كومة مؤلفة من ثلاث أو أربع حبات من الطماطم، ولا يستعملون الوزن هنا في هذا السوق الشعبي، وإنما البيع بالعد أو بالجزاف.

وفلفل من الأحمر الحار وهو لازم للأغذية الإفريقية التقليدية مثل الكسافا واليام وهي الأغذية التي تصنع في الغالب على هيئة تشبه العصيدة الغليظة جداً، فتكون بمثابة الكتلة المتماسكة، لذلك لا بد من أكل الفلفل الحار معها من أجل المساعدة على هضمها عن طريق حث المعدة على زيادة إفراز الأحماض الهاضمة.

وهناك الفاكهة الاستوائية أيضاً وهي العمبة (المانقو). ولكن جميع الأسعار هنا تتسم بالغلاء، وذلك لكون الزراعة متأخرة بسبب عدم إقبال الأهالي على العمل فيها، ولوجود شيء من المال عند الدولة تكتسبه من تصدير النفط، ومن تصدير بعض ما تنتجه البلاد كالأخشاب.

وقد لفت نظري هنا ما رأيته في كثير من البلدان الإفريقية، وهو أنهم يتركون البامية حتى تكبر وتصلب ويستعملونها كذلك، وهي عندنا إذا أصبحت هكذا نعتبرها غير صالحة للأكل، فقد رأيت بعضها هنا يبلغ طول القرن الواحد أكثر من الشبر، وهي يابسة الملمس، ومع ذلك غالية أيضاً.

وقد عرضوا هنا أيضاً السمك المدخن، والذباب يقع عليه كثيراً لذلك قلّ أن رأيته في إفريقية وليس عليه ذبان كثير.

وهذا الحي رغم كونه شعبياً فإنه منظم، فشوارعه الرئيسية فيها أرصفة، ومجاري المياه على جانبي الشارع مغطاة بحيث لا ترى.

**في حي نومبا كالي:**

وهذا حي ذهبنا إليه لرؤية مسجد صغير فيه، فوقفت سيارتنا عند مدخل زقاق متسع في الحي ينطلق من الشارع الرئيسي النظيف لأن السيارة لا تستطيع أن تدخل الزقاق لسوء حالته.

ووجدنا على مدخل الزقاق مما يلي الشارع امرأة لديها قدر مليء بالزيت وهو يغلي، لقلي الموز فيه وتبيعه للمارة.

والطريف في الأمر أن هذه المرأة تغلي الزيت، وتقطع الموز قبل قليه، وتبيع بضاعتها وهي جالسة وقد ربطت إلى ظهرها طفلاً لها صغيراً، وحولها أيضاً طفلان لها صغيران يحتاجان إلى عناية.

ولقد رأيت على ملامحها شيئاً ليس من ملامح (القابونيات) اللاتي لم يرزقن حظاً من الجمال. فسألت واحداً من الإخوة الموجودين في الحي عن بلادها فقال: إنها مسلمة اسمها (خديجتو)، ثم أشار إلى امرأة أخرى كانت تجلس بدون عمل غير بعيدة منها وقال: هذه أيضاً مسلمة اسمها (سليمتو) وكلتاهما من (فولتا العليا).



**المسلمة التي تطبخ الموز وتبيعه في الجابون قبل بائع الكتب**

رأينا المسجد فيه، صغير المساحة، مقاماً من الأخشاب والصفيح، وليس فيه مرافق، فسألنا عن اسمه فقالوا: إنه لا اسم له، وإنما الاسم لأهله (الهوسا)، فهو إذاً يمكن أن يسمى (مسجد الهوسا).

والهوسا أو (الحوس) كما ورد في بعض الكتب العربية المكتوبة في بلاد السودان الغربي، هم جماعات كبيرة من الناس من سكان الصحراء الإفريقية الكبرى الذين ألجأهم التصحر التدريجي فيها إلى النزوح جنوباً من الصحراء، حيث خصب المرعى والأراضي التي يصيبها مطر كافٍ، فانتشروا في معظم المنطقة المحاذية للصحراء من جهة الجنوب، إلا أن أكثرهم يقيمون في شمال نيجيريا، وأما في هذه الأقطار الاستوائية الداخلية فإنهم طارئون عليها.

وقد قلنا: إنهم جماعات من الناس ولم نقل كما يقول بعض الناس الذين لا يدققون في عباراتهم: إنهم قبائل (الهوسا) ذلك بأن الهوسا أو (الحوس)

هؤلاء ليسوا من قبيلة واحدة ولا من أصل واحد، ولكن الذي يجمعهم لغة واحدة هي الهوساوية، بها يتكلمون في كل مواطنهم، وهي لغة قوية فيها من الكلمات ما يبلغ الثلث أو دون ذلك بقليل من اللغة العربية، وإن كان حصل عليه تحريف كبير في اللفظ.

وهذه اللغة قوية إلى درجة أن (الفلانيين) الذين حكموا في شمال نيجيريا عند قيام دولة الشيخ المصلح (عثمان دان فودي) – رحمه الله - تركوا لغتهم (الفلانية) واستبدلوا بها اللغة الهوساوية.

والمهم في الأمر أن (الهوسا) هؤلاء هم مسلمون يقيمون المساجد أينما حلوا من إفريقية، ويفعلون ذلك على أساس فئوي، بمعنى أنهم يرون أن من واجبهم أن يقيموا المسجد إذا استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، ولا يسعون إلى الاندماج في جمعية مثلاً تكون متعددة الأجناس للتعاون على اقامة ذلك المسجد.

وهم أشداء في القتال، وبسبب ذلك قضي على الحركة الانفصالية التي أعلنها الإقليم الشرقي من نيجيريا باسم (بيافرا) حيث كانت أغلبية الجنود النيجيريين في تلك الحرب من الهوسا.

وليس هذا موضع الكلام عنهم، وإنما هذا تعريف بهم جره ذكرهم هنا.

## المكتبة العربية في القابون:

وجدنا عند مدخل المسجد رجلاً يرتدي الملابس العربية من إخواننا أهل السودان الغربي، قال: إنه من مدينة (تمبكتو) في مالي، واسمه الحاج محمد الشريف، وهو يعرف العربية جيداً.

وليس هذا بالأمر الغريب لأن أهل تمبكتو أكثرهم يعرفون العربية، بل

إن في تمبكتو سكاناً من العرب الأقحاح، وإن لم يكن هذا الأخ منهم. واللغة العربية هناك إحدى لغات ثلاث سائدة فيها وهي: العربية، والبربرية: لغة الطوارق، والسنغية: لغة (السنغي) من السودانيين.



**مع بائع الكتب العربية في ليبرفيل**

وإنما العجيب أننا وجدنا الرجل قد جلس على باب هذا المسجد وسط أكوام من الكتب العربية التي لا تخالطها كتب بلغة أخرى.

وتكاد تلك المجموعات من الكتب العربية تغطيه وهو جالس لكثرتها، ولما أبديت له عجبي من كثرة وجود الكتب العربية عنده، وهي البضاعة الوحيدة لديه، سألته عما إذا كان عدد الذين يعرفون العربية ويستطيعون قراءة هذه الكتب كثيراً، فأجاب: نعم، عددهم كثير،

ويشترون مني.

ومن تلك الكتب العربية كتب ذات طبيعة غير نقية مثل (المجموعة البهائية في المدائح النبوية) أربعة مجلدات، بل إن فيها كتباً باطلة مثل كتاب في علم الرمل الذي يقول بعض الناس إنه من السحر واسمه كما كتبوه عليه (منبع أصول الرمل) في علم الرمل السحري المسمى "الدرة البهية في العلوم الرملية" لعبد الفتاح السيد عبده الطوخي.

وكتب قديمة الأسلوب مثل "حاشية الصاوي على تفسير الجلالين" أربعة مجلدات، وكتب ذات أسلوب معتاد مثل كتاب "محمد رسول الله" لمحمد رضا. ورأيت عنده مصحفاً مخطوطاً بخط سوداني حديث قال: إنه من نيجيريا، فاشتريته منه بثمن بخس هو ثلاثة آلاف فرنك إفريقي أي ما يقارب تسعة وعشرين ريالاً سعودياً.

**يريد أن ينفرد بشرف بناء المسجد:**

بينما كنا نتأمل المسجد الصغير المبني من الصفيح والخشب بطريقة غير مناسبة، سألت الحاج محمد الشريف قائلاً: لماذا لم تطلبوا مساعدة لبناء هذا المسجد الكريم بناء حديثاً ؟

فقال: إن (مالم موسى) هو الذي بناه، ولا يريد أن يشاركه غيره، وقد عزم على توسعته وهاهو قد أحضر هذا اللبن من الإسمنت، وأشار إلى لبن إسمنتي في أرض صغيرة بجانب المسجد، وقال: إن (مالم موسى) أي المعلم موسى عندما استطاع اشترى هذا اللبن، ثم اشترى قليلاً من الحديد هذا الذي ترونه، وأشار إلى قضبان من حديد التسليح قليلة أيضاً، قال: وهو ينوي إذا توفرت لديه النقود أن يعيد بناء المسجد بناء جيداً وموسعاً. فسألته عن مهنة (المالم موسى) وأصله فقال: إنه يعمل بالتجارة وهو هوساوي - من الهوسا أو الحوس -.



**في مسجد الهوسا مع بائع الكتب وبعض المسلمين في ليبرفيل**

ثم أضاف: وهذا الحي أكثر سكانه من المسلمين وبخاصة من النيجيريين ما بين (فلانيين) وهوساويين.

وجاء (المالم موسى) وهو رجل يبين عليه التقى والصلاح، فسألناه عما قاله الأخ الشريف فقال: نعم ؛ أنني أرجو أن أتمكن من بناء هذا المسجد بنفسي فقد أخرجته من أرض لي، وبدأت بناءه الصغير المؤقت هذا الذي ترونه بدون منارة، وإنني أرجو أن يوفقني الله تعالى إلى إعادة بنائه بشكل أوسع أو أحسن، فقد زدت في المسجد هذه الأرض المكشوفة التي أوقفتها عليه.

فدعونا له بالقبول والتوفيق للمزيد من فعل الخير، وقلت له: ولكن أنت تعلم أن المسجد بحالته الحاضرة يضيق بالمصلين، وقد يتأخر حصولك على المال اللازم لإعادة بنائه بنفسك فماذا لو جمعت من سائر المسلمين في هذه البلاد ومن إخوتك في خارج البلاد وبخاصة المملكة العربية السعودية، ومن رابطة العالم الإسلامي بالذات، فأنا أستطيع أن أعدك بأننا في الرابطة نستطيع أن نقدم

للمسجد بعض المساعدة من صندوق المجلس الأعلى العالمي للمساجد الموجود في الرابطة، إذا قدمت طلباً لذلك. فقال: إنه سينظر في هذا الأمر.

**السجناء الذين يعبِّدون الطريق:**

لم يبق كثير وقت على غروب الشمس ولدينا أيام قبل انتهاء زيارة القابون، فسلكنا طريقاً أفضى بنا إلى شارع البحر (الكورنيش)، ومررنا بقربه بالقصر الجمهوري، ويبدو فاخر المظهر، كما أن السيارات التي تسير في الشوارع في هذا الوقت كثيرة مما يدل على وفرة في المال عند طائفة من الناس.

وقد دخلنا في شارع يسمى شارع (عمر بنقو) على اسم رئيس البلاد عمر بنقو، وقد كتبوا اسمه (عمر) ظاهراً في أكثر من موضع في الشارع.

وقال لنا مرافقونا: إن السجناء من رومانيا قد أسهموا في بناء هذا الشارع، فلما استفسرنا منهم عن هذا الأمر الغريب، أوضحوا ذلك بأن رومانيا أرسلت طائفة من العمال لكي يساعدوا على شق هذا الشارع وتعبيده من السجناء لديها حتى تجمع بين الاستفادة منهم، وتوفير نفقاتهم في السجن، وتدعم علاقاتها بالقابون عن طريق ذلك، هكذا قالوا.

وهذا على غرابته ليس بغريب من أمر الشيوعية التي تدعى أنها جاءت لتحرير الإنسان من العبودية لأهل المال والنفوذ المترتب عليه، ولكنها استعبدته عن طريق الدولة، وألغت حريته، بل جعلته مسلوب الحرية والإرادة فيتحكم فيه الحزب الشيوعي كما يتحكم صاحب القطيع بقطيعه.

وأما هذا المساء فإنه انقضى في دار الضيافة، حيث استقبلنا فيه طائفة من الإخوة المسلمين الذين يسكنون في هذه البلاد، وقدموا إليها من بلاد إسلامية عريقة مثل مالي والسنغال، وأمضينا معهم الوقت في حديث مهم في شؤون الإسلام والمسلمين فيها مما أفادني كثيراً.

## يوم الأربعاء ١٩/٢/١٤٠٤هـ

### في وزارة الشؤون الدينية ثانية :

كان صباح اليوم هو الموعد المقرر لجلسة العمل الثانية التي تقرر عقدها عند الانتهاء من الجلسة الأولى أمس.

وذهبنا للوزارة التي تقع في مبنى معتاد ليس فيه مصعد، ولا ترضى إدارة من الإدارات المتوسطة في إحدى الوزارات عندنا أن يكون مقراً لها.

وقبل الدخول إلى الوزير استقبلتنا كاتبة عنده (سكرتيرة) وهي مثل سائر النساء في هذه البلاد من حيث مستوى الجمال مع أنه من المفروض في مثلها أن تكون جميلة لأن الغربيين أو المقلدين للغرب يختارون أمثال هؤلاء الكاتبات من الحسناوات.

وقد حضر الجلسة الأخ (يعقوب ولد داداه) وهو شقيق لرئيس موريتانيا السابق (المختار ولد داداه) ويعمل مستشاراً لوزارة التعليم القابونية.

وتعاون مع رفيقي السفير الدكوري على ترجمة المحضر من العربية إلى الفرنسية.

وقد ابتدأ وزير الشؤون الدينية الجلسة بأن قال: إن المواد التي اتفقنا عليها في المحضر ستعرض على رئيس الجمهورية (عمر بنقو)، فإذا وافق عليه وقعناه، ولذلك سوف نصوغه، وننتهي من طباعته بحيث يكون جاهزاً للتوقيع بعد ذلك.

وبينما كان المحضر يطبع، استمر البحث في العمل الإسلامي وتعزيزه في هذه البلاد، وكان مما قاله الوزير: إنه ينبغي تمييز مديري مكاتب الرابطة وإعطاؤهم من المظاهر اللائقة ما يجعلهم في صف مساو لممثلي الديانات المسيحية، حتى يشعر المسلمون - على الأقل - بعدم نقصهم عن

الآخرين.

وقد أفهمته أن الإسلام ينظر إلى الجوهر دون المظهر، ولكن إذا كان في تحسين المظهر ما يفيد الدعوة الإسلامية فذلك أمر مطلوب.

وقد طلب منحاً دراسية لأبناء المسلمين من أهل هذه البلاد في الموضوعات الدينية والعلوم الأخرى حتى لا ينعزل المسلمون عن الوظائف العامة الكبيرة بسبب الجهل.

ثم اتفقنا على جميع المسائل التي بحثت، وأعددنا المحضر.

وشعرت بأنه زال ما في خاطر الوزير، وذلك عندما قال: إننا سنأمرهم بأن يجعلوا مع موكبك راكبي دراجات من اليمين واليسار، فشكرته واعتذرت إليه عن ذلك وقلت له: إنني ممن لا يحبون هذه الأمور، وقد أضفتمونا فلم تقصروا بشيء، وأما هذا فأرجو ألا يكون.

**مشكلة الحجز وسمة الدخول:**

قبل الخروج من عند الوزير سألناه عما تم بشأن الحجز وطلب الحصول على سمة دخول إلى برزافيل و (أنقولا)، وكنا قد أعطيناهم تذاكر السفر والجوازات فاستدعى المسؤول عن الاستقبال أو (البروتوكول) في مكتبه فقال المسؤول ما معناه: إن كل شيء جيد، وإنه لا يوجد إشكال في هذا الأمر، وزاد الوزير في الأمر بأن كلم سفارة أنقولا فوعدوه بالإيجاب كما قال.

**لدى قنصل مالي:**

خرجنا من عند الوزير في الحادية عشرة والنصف، فذهبنا إلى (قنصل مالي) في القابون وهو قنصل فخري واسمه (بكري جاوارا) وهو صديق لرفيقي السفير عبد الوهاب الدكوري، وقد تبين بعد ذلك أنه مهم لي، لأنه

من ذوي الخبرة بأمور هذه البلاد إضافة إلى تدينه وحماسه للإسلام.

وهو من وجهاء مالي، لذلك رأينا في بيته جماعة من المنتظرين الذين يكونون في العادة في بيوت الوجهاء والأثرياء من الضيوف والفقراء يأكلون عندهم، ويلجأون إلى بيوتهم، وهذه عادة لا تزال موجودة عند (الماليين).

ورأينا في بيته رجلاً (بدّاعاً) أي شاعراً باللهجة الحسانية الموريتانية، وعادة هذا الشاعر أن يكون ممن ينظمون الشعر ويعزفون على آلة موسيقية فيأتون إلى الكبراء والوجهاء وينشدون الأشعار في مدحهم، ويظهرون ما صنعه آباؤهم بما كله مدح وثناء.، ويقيمون في بيوت الأمراء أو الوجهاء فترة لهذا الغرض يتكسبون بذلك.

ولم نجد الأخ الوجيه (بكري جاوارا) في البيت، وإنما قال الشاعر أو (البداع) الذي هو من مالي على حدود موريتانيا ويعرف شيئاً من العربية: إنني سوف أخبره إذا عاد، وأعتقد أنه لا يرضى بأن تذهبوا من دون أن تتغدوا عنده، ثم أخذ يعزف على آلة عنده وينشد بعض أشعاره بلغة لا يفهمها إلا الشيخ الدكوري.

والبيت له فناء خارجي وحوش فيه شجرة من أشجار نخيل الزيت الغليظة القوام الريانة، وتحتها المكان المفضل للجلوس على بساط تحته حصير من الخوص كبير.

وقبل الانصراف قال الرجل: إننا سنحضر لكم شواء أي: لحماً مشوياً، في دار الضيافة، ويظهر أن ذلك كان بأمر له من صاحبة البيت.

وانصرفنا إلى دار الضيافة، وفي الواحدة كان القنصل (بكري جاوارا) يحضر إلى دار الضيافة ومعه اثنان أحدهما ذلك الشاعر أو المداح، ومعه شواء من لحم الغنم اللذيذ، والعجيب في أمرهم أنهم لم يروا بأساً في أن يدخلوا هذا الطعام إلى دار الضيافة الحكومية، ولم نكن قد تغدينا بعد، فوضعناه على

المائدة مع طعام دار الضيافة الذي هو كثير يكفي القوم معنا ، ولكن لم يتغد معنا إلاّ الأخ (بكري جاوارا) نفسه ، أما الآخران فلم يدعهما أحد إلى تناول الغداء إلا أنا ولكنهما لم يستجيبا ، وفهمت بعد ذلك أن السبب في عدم تناولهما الطعام معنا أنهما من طبقة أقل مكانة ، وأنهم في بلاد مالي لا يسمحون عرفاً لأفراد هذه الطبقة أن يتناولوا الطعام مع طبقة الوجهاء.

ولقد آلمني ذلك ، إذ كيف نأكل وهما ينظران والطعام كثير؟ ونحن المسلمين يوجب علينا ديننا الحنيف أن يكون المسلم أخاً للمسلم حتى في المشاعر ، كما قال الرسول ﷺ : ( لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه).

وقد صلينا الظهر بعد الغداء ، وقال الأخ بكري جاوارا بعد انتهاء الصلاة بتأثر بالغ: إنني أحمد الله وأشكره ، لأن من أماني أن آكل مع شيخ من الحرمين الشريفين ، وأصلي معه ، وها قد تحققت هذه الأمنية.

ويعمل الأخ بكري جاوارا مثل غيره من أهل (مالي) في التجارة ، وله مخبز حديث في العاصمة ، ولكنه يمارس أعمالاً تجارية أخرى.

**الريف القابوني :**

وضعنا في البرنامج الخروج إلى الريف القابوني للاطلاع على طبيعة البلاد خارج العاصمة ، وطلبت أن يكون ذلك بصحبة الأخ (بكري جاوارا) لعلمه بالبلاد وحسن تقديره للأمور ، فتقرر أن نذهب هذا العصر إلى قرية تسمى (أنتم) تبعد ٤٠ كيلومتراً إلى جهة الشرق من العاصمة (ليبرفيل).

خرجنا من دار الضيافة المسماة (١٢ مارس) في الرابعة عصراً على سيارة الضيافة الحكومية ، وهي جديدة مكيفة من صنع (مرسيدس) ومعنا الأخ بكري جاوارا ، فاخترقنا المدينة ، ورأينا أعداداً كبيرة من الناس في الشوارع

في هذه الساعة من النهار أكثر من الأوقات الأخرى، وتأكد عندي ما لاحظته من أن (القابونيات) هن من أقل نساء إفريقية حظاً من الجمال، وذلك من حيث تقاسيم الجسم، وملامح الوجه، واعتدال القامة.



## في ريف قابون مع الإخوة المرافقين

كان الجو نصف غائم في هذه البلاد التي تعد من أكثر البلدان الإفريقية أمطاراً، ولذلك خشينا من أن يفاجئنا المطر فيفسد علينا رحلتنا، ولكن الله سلم.

وبعد الخروج من المدينة مباشرة وقعنا في ريف ندي، يبلغ ارتفاع الأعشاب غير المزروعة فيه أعلى من قامة الرجل، ومع ذلك فإن الحيوان فيه قليل، إذ المفترض أن يرى المرء في هذا الريف الندي وأمثاله مزارع تربية

الحيوان والماشية بكثرة.

أما الأشجار المثمرة فإنها أشجار العمبة (المانقو)، وهناك من الأشجار غير المثمرة كثير من أشجار الغابات التي يستعملون أخشابها لبناء البيوت وللتصدير.

وقال الأخ (بكري جاوارا) بهذه المناسبة: إن كل هذه الأشجار التي نراها ليس فيها شيء للطعام إلا أشجار نخيل الزيت، يستخرج منها الزيت، وأشجار (المانقو)، وسائر الأشجار هي برية تنمو نمواً طبيعياً بدون غرس.



بيوت الطين في الريف الإفريقي

أما التربة فإنها التربة الاستوائية الجميلة، غير أنها ليست خالصة الحمرة، وإنما تميل إلى الصفرة، بخلاف التربة في معظم الأقطار الإفريقية الاستوائية، حيث تكون في الأغلب حمراء خالصة أو ذهبية.

ولا يعدم المرء أن يرى هنا بعض المستنقعات في الأماكن المنخفضة، وإن كان ذلك على قلة، لأن هذه البلاد كانت مشهورة منذ القدم بكثرة

مستنقعاتها التي كانت تتربى فيها ذبابة (تسي تسي) التي تنقل مرض النوم القاتل للإنسان والحيوان، ولكنهم عالجوا بعض المستنقعات، وحاربوا الذبابة حتى تقلص وجودها من أكثر البلاد ما عدا أماكن محصورة.

أما السكان فإنهم موجودون في هذا الريف، ولكن على قلة بطبيعة الحال، وقد رأيت طائفة من الريفيات يحملن الحطب وغيره من الأشياء الثقيلة على ظهورهن بخلاف ما هو موجود في أكثر البلدان الإفريقية من اعتياد الحمل على الرؤوس، وبخاصة أن الإفريقيين السود مشهورون بقوة رؤوسهم، حتى إن الذين يصارعونهم يخشون دائماً من ضربات رؤوسهم.

وكنا نمر بين الفينة والأخرى بنهر صغير، أو مجرى من مجاري المياه، وقال الأخ (بكري جاوارا): إن هذا مما يجعل بناء الطرق الحديثة في هذه البلاد صعباً جداً، لأن الأنهار والنهيرات والمستنقعات كثيرة فيها، وتحتاج معالجتها إلى نفقات إضافية كثيرة.

وكنا نسير مع خط إسفلتي جيد، انقطع لمسافة قصيرة عند غابة عذراء كثيفة، لأنهم يوسعونه عندها، فعدلنا عن الطريق الإسفلتي مع طريق ترابي يثير غباراً أحمر.

ثم عاد الخط الإسفلتي الجيد، وكثر الموز، وإن كان لا يزال قليلاً بالنسبة إلى بلاد مثل هذه، استوائية مطيرة.

ثم وصلنا ...

## قرية أنتم:

فوقفنا في ناحية من القرية قالوا: إن المسلمين يسكنون فيها، فكانت التحية الإسلامية (السلام عليكم) بمثابة كلمة السر فيما بين المسلمين.

وحيانا تاجر صاحب حانوت في هذه القرية، وهو من الكاميرون ويعرف

العربية، ورافقنا في تمشية قصيرة على حوانيت القرية، ومنها إلى سوق صغير محدود البضائع، أهم ما رأينا فيه السمك المدخن الذي يفضله الإفريقيون، وهو الذي عرضوه للنار من دون أن ينضج، فهو بين المشوي والنيئ، والموز الأخضر الكبير الذي لا يؤكل فاكهة، وإنما يطبخ ويتخذ منه غذاء جيد.



**شارع قرية أنتم التي وصلناها في الريف القابوني**

وقال الأخ الذي يعرف العربية: إن لحم القرد يباع هنا، ويأكله الناس، ولكن لا يأكله المسلمون، فقلت: هذا معروف.

ولما سمعتهم يكثرون من كون هذه الناحية من القرية للمسلمين سألتهم عن عدد المسلمين هنا، فأجاب منهم محمد درامي وهو يعرف العربية: إنهم أربعون بيتاً، وذلك لكون القرية صغيرة.

ومحمد درامي مثله مثل أكثر المسلمين في هذه القرية هو من المهاجرين الذين سكنوها للتجارة أو العمل. وليس في القرية مسجد، فحرضت الذين اجتمعوا معنا على تأليف جمعية تتولى جمع التبرعات لبناء مسجد تلحق به

مدرسة لأبناء المسلمين، وقلت لهم: إننا في رابطة العالم الإسلامي مستعدون بمساعدتكم على ذلك.

وسرنا في الشارع الرئيسي الواسع في القرية الذي لم يسمع بالأرصفة أو التنظيم، فرأينا منظراً إفريقياً خالصاً، وهو منظر امرأة تصلح شعر فتاة، تجعله قروناً صغيرة شاخصة إلى أعلى، تشبه الأصابع، مما ذكرني بقول امرئ القيس يصف شعر امرأة:

**- غدائره مستشزرات إلى العلا -**

والغدائر: الجدائل. ومستشزرات أي: مرتفعات.

وعفواً عن إقحام أمير شعراء الصحراء في هذه البلاد الاستوائية الإفريقية الخضراء.



**تمشط شعر زميلتها في القرية الريفية في قابون عند دكان مغلق**

ووقفنا عند بقال، رأينا لديه شيئاً يشبه الملح أو الحجر الجيري، فسألناه عنه، فقال: إنه للمرأة الحامل تأكل منه فيفيدها. وعنده أيضاً زنجبيل طري،

أي: طازج.

وعنده أشياء قال: إنها كلها مستوردة، ووافقه الآخرون، مثل البصل والبطاطس، وهذا من العجيب أن يستوردوا البصل وبلادهم بهذه المثابة من الخصب وكثرة المياه. وكذلك السمك المملح، قال: إنه مستورد من الخارج أيضاً.

وكنا نسمع أغاني إفريقية من الحانوت، تشبه إلى حد ما نغمات الأغاني الإفريقية السواحلية الشائعة في شرق إفريقية.

وسألتهم عن شيء تذكاري يمكن أن يشترى من هذه القرية، فلم نجد شيئاً من ذلك.



**تذكارية مع بعض أهالي قرية أنتم وفيهم مسلمون**

**بيت قابوني أصيل:**

فرغنا من القرية ولا تزال في النهار بقية صالحة، فانتهزنا الفرصة

لمجاوزة قرية (أنتم) والإمعان في الريف لكي نرى البيوت الوطنية الأصيلة التي هي أقرب ما تكون إلى بيوت المواطنين عندما كانوا يسكنون الغابات قبل المدنية الحديثة، ولا يزال فريق منهم في الغابات.

تركنا قرية (أنتم)، وسرنا بضعة كيلات، وأنا ألتمس أن أرى حيواناً كثيراً في هذه المناطق الريفية، فلم أر إلا ماعزاً صغيراً جداً قصير القوائم، ذا لون مختلط ما بين الأسود والأبيض، وأما المزروعات فإن هناك موزاً قليلاً، أو هذا هو ما رأيناه من الطريق الإسفلتي.

ووصلنا إلى بيت منعزل في الغابة، وإن كان لا يبعد كثيراً عن الطريق، وهو بيت لأسرة واحدة، إلا أنه مؤلف من ثلاثة أقسام منفصلة:

**أحدها** مصنوع من الخشب وسقفه من القش، على هيئة الجملون الذي هو شكل سنام البعير، وهو مخصص لكبير الأسرة، يجتمع عنده الرجال، ويستمعون إلى نصائحه وتوجيهاته، لأن كبر السن له اعتبار عظيم في المجتمعات الإفريقية التقليدية، حيث يرون في الشيخ المسن الحنكة والتجارب والخبرة بشؤون الحياة، وهي أشياء لا تكتسب في المجتمعات الأمية مثل مجتمعهم إلا بالممارسة والتجارب، وذلك يستدعي وقتاً طويلاً لا يتيسر لحديث السن.

ووجدنا بالفعل في هذا البيت شيخاً مسناً أقدر عمره في حدود الثمانين، أخبرونا أن الناس يأتون إلى مجلسه هذا من البيوت المتفرقة الموجودة في المنطقة، والتي لم نر منها شيئاً لتباعدها، وفي داخل هذا البيت موقد النار كما يكون في بيوت الأعراب في البادية.

وقد عرضنا عليه أن يسمح لنا بصورة، فأخذ ابن له في حدود الأربعين يحدثه، حتى أذن بذلك.

أما القسم الثاني فهو بيت منفصل للنساء مقام من الخشب أيضاً،

ومسقف بالصاج على هيئة سنام.



**مع شيخ إفريقي حكيم في بيته في ريف قابون وهو جالس علىالكرسي، على يمينه المؤلف، فالسائق، فقنصل بالي**

ولم ندخله أو نحاول ذلك احتراماً لهم، غير أن صاحب البيت، وهو الرجل الشاب، تكلم معهن فخرجن من البيت، وجئن للضيوف يصافحنهم.

وأكرر القول هنا بأن أفضل ما في القابونيات هو أمن الافتتان بهن، وتطلع الرجل الشاب إلى صورة مع أفراد أسرته، فكان ذلك إلا فتاة في حدود الرابعة عشرة غلبها الحياء أو الخوف، فأبعدت عن هؤلاء الأجانب المتطفلين.

وأما القسم الثالث من المنزل، فإنه أيضاً منفصل عن القسمين السابقين، وهو مخصص للماشية، ويصح أن يقال عنه: إنه حظيرة من أن يقال إنه بيت لولا أنه مبني من المادة نفسها التي بني منها القسمان الآخران، وهو الخشب المتوفر عندهم، وسقفه من القش الذي تنتجه أشجار بلادهم.

وفي هذه الحظيرة ثلاث من الماعز الصغير الحجم القصير القوائم، وشياه

أربع صغيرات الأحجام، ولا أليات لها.

وحتى الكلاب هنا هي صغيرة، وتذكرت بهذه المناسبة أنه حتى الناس هنا قصار، ويغلب اللطف على أجسامهم.

وكان الرجل لطيفاً مرحاً بحيث سارع إلى ما خشينا أن لا يوافق عليه وهو التصوير، واطلاعنا على حالتهم، حتى إنه زيادة في التبسيط قال: إذا كنت تريد أن تأخذ هذه البنت الصغيرة التي امتنعت عن التصوير فإنني أقدمها لك هدية، إنها أختي.

فشكرناه على هذه المجاملة، وأعطيته نقوداً قليلة، قلت: وهذه أعطها إياها، كما رأيت الكبيرات يتطلعن إلى مثل ذلك فنفحناهن شيئاً قليلاً.

ومما يجدر ذكره أن النساء عليهن لباس لا بأس به من ناحية الستر في مثل هذه البلاد الإفريقية الاستوائية التي لم تكن تحفل كثيراً باللباس، وهو هنا فوطة واحدة تمتد من أعلى الصدر إلى ما حول الركبة.

وهؤلاء القوم من قبيلة (فَنْ) بحرفين اثنين فقط هما الفاء والنون، وهي قبيلة رئيسية في (قابون)؛ بل قال لي أكثر من واحد: إنها أكبر القبائل في قابون ومع ذلك فإن الرئيس (عمر بنقو) من قبيلة صغيرة تسمى (بابامبا) أكثرها يقطن الكنقو، وقد دخل في الإسلام عدد كبير منها بعد أن أسلم الرئيس، وهذه المنطقة من مناطق نفوذهم بخلاف منطقة العاصمة (ليبرفيل) فهي لقبيلة أخرى اسمها (ميني).

وانصرفنا قبل غروب الشمس بقليل، ومازال الجو حاراً، إلا أنه أقل مما عندنا في الصيف، ولا شك في أن هذا سببه كثرة هطول الأمطار، وإلا لأصبحت بلادهم جحيماً لا يطاق، لأنها استوائية تسقط عليها أشعة الشمس عمودية.

ورأينا في أثناء العودة بعض الأشجار العادية أي القديمة، وليس المعتادة،

وهي ضخمة الجذوع، سامقة السوق، فالتقطنا عندها صوراً تذكارية.



**بيت الحكمة في ريف القابون وهو الذي يجتمع فيه الكبار للتشاور في أمور القبيلة**

وكانت إحدى الصور تحت شجرة سحوق أقدر ارتفاعها بما يزيد على ضعف ارتفاع أطول نخلة رأيتها.

**ليس عندهم حمار:**

ولمناسبة الحديث عن الحيوان هنا وبخاصة عن القرد الذي يأكلونه في هذه البلاد، أخبرنا إخواننا أن غير المسلمين هنا يأكلون كل شيء، فلحم القرد يوجد في السوق ويباع طرياً ويابساً ومشوياً.

وحتى الفيل يأكلونه إذا وجدوه رغم كون لحمه صلباً يحتاج إلى طبخ كثير وبخاصة إذا كان كبير السن.

فسألتهم عن الحمار أينجو من بطونهم ؟ فأجابوا بأنه لا يوجد عندهم

حمار، وإلا فإن الأغلب أن الحمار على غبائه لن يكون أكثر حظاً في النجاة من الأكل من القرد على ذكائه.

وسكان الغابات منهم لا يفرقون بين اللحم المذكى وغيره، فالميتة عندهم مأكولة كما تؤكل المذكاة، وطبيعي أن هؤلاء ليسوا من المسلمين.

وماذا عن أكل لحوم البشر؟

وكان هذا السؤال الذي يستغربه كثير من الناس في بلاد الحضارة غير أنه لا يكون غريباً في البلدان الحديثة العهد بالمدنية.

وكان الجواب المؤكد من عدة أشخاص موثوق بهم بأن لحم الآدمي في كثير من أنحاء الغابة، بل وفي القرى التي ليست داخلة في الغابة هو مأكول ومرغوب فيه.

وضربوا مثلاً على ذلك بقرية اسمها (بيفون) فقالوا: إن أهل هذه القرية متهمون بأكل لحوم بني آدم حتى الآن، وإن كثيراً من الناس من مواطنين وأجانب يتحاشون أن يمروا بسياراتهم إذا كانت بالقرب من هذه القرية، لأن السيارة إذا تعطلت واضطر راكبوها إلى السير على أقدامهم، أو اللبث خارجها فإنهم بلا شك عندهم يكونون من المأكولين غير المذمومين، فهم هنا ليسوا كالشعير عند العرب الذي يأكلونه ويذمونه.

وتبعد هذه القرية عن العاصمة مائة وأربعين كيلو متراً على الطريق نفسه الذي سرنا فيه، وتوقفنا عند البيوت الإفريقية التقليدية، ورجعنا من هناك إلى العاصمة قبل أن نصل القرية المذكورة بأربعين كيلو متراً.

قالوا: وأهل القرية معروفون بذلك حتى عند الحكومة، وقد تكررت حوادث اختفاء الأجانب في القرية في الليل، وتحاول الحكومة عبثاً أن تصل إلى خبر عنهم. والسبب في ذلك أن أهل القرية يتكتمون هذه الأخبار ولا ينم بعضهم على بعض فيها.

وسكان قرية (بيفون) هذه يستوي في بطونهم الغريب عنهم، الأبيض بالأسود والأسود بالأبيض.

وقال محدثونا: إن الحكومة لم تستطع أن تقتلع هذه العادة منهم لأنهم متحدون ضد الحكومة في هذا الأمر. وهم ينكرون ذلك.

وهم من الوثنيين الذين لا دين لهم، ولا يأكلون إلا الآدمي الحي حباً منهم في أكل اللحم الذي يصاحبه الدم، وبعضهم يهدون إلى أصنامهم رؤوس الآدميين يتقربون إليها بذلك.

ورغم غرابة هذه الأقوال، وكونها تثير التقزز والاشمئزاز، فإنها متواترة سمعتها من أكثر من شخص، إلا أنها لا توجد إلا في الغابات والقرى النائية، وتكون حوادثها خفية بحيث لا تعلم بها الحكومة، وإن كان الجميع يقولون إن ذلك يحدث ولكنهم لا يستطيعون أن يحددوا فاعليه.

### لا يعرف أولاده إلا بالسبحة:

لم نذهب لدار الضيافة وإنما لبينا دعوة أخينا ومرافقنا (بكري جاوارا) فدخلنا منزله الذي يملكه وهو كبير بالنسبة إلى البيوت الإسمنتية في هذه البلاد.

وقد أسرع إليه عندما دخلنا معه طفلان قال إنهما من أولاده، فسألته عن عدد أولاده فقال ممازحاً: إنهم كثير، إنني لا أستطيع أن أعرف عددهم إلا إذا أحصيتهم بحبات السبحة، ولم يخبرني حقاً بعددهم.

وسألته عن عدد زوجاته؟ فقال: إنهن ثلاث فقط.

والأخ بكري جاوارا وأولاده وأهل بيته هم من السودانيين الغربيين الذين نسميهم في بلادنا التكارنة، أي من أهل منطقة مالي والسنغال والنيجر، وهم الذين كان أسلافنا العرب يعرفونهم بالسودانيين، وبعض المتأخرين يسمونهم

التكرور، وليسوا من البانتو أو الذين يسميهم الأوربيون بالزنوج وهم سكان المناطق الاستوائية في إفريقية، فهؤلاء يختلفون اختلافاً أساسياً عن السودانيين هؤلاء. ويختلفون في ماضيهم اختلافاً كبيراً عنهم.

فالسودانيون الغربيون أو التكارنة هم ذوو ماضٍ مجيد في تأسيس الدول وخدمة الإسلام، وكانت لهم دول بدأ قيامها بدولة غانة قبل ألف عام، وبلغت سلطتهم أوجها في عهد سلاطين مالي العظام قبل ستمائة سنة، بحيث كان الأمن فيها شاملاً إلى درجة لم تبلغها بل لا تحلم بالوصول إليها أو حتى الاقتراب من الوصول إليها دول مثل الولايات المتحدة وبريطانيا، وذلك بسبب تحكيم الشريعة الإسلامية، وتطبيق الحدود الشرعية.

حتى إن الرحالة الشهير ابن بطوطة وجد عند زيارة سلطنة مالي أن المسافر يسافر في مملكة سلطان مالي الشهر والشهرين في البرية لا يخشى سارقاً ولا منتهباً، وقال: إنه إذا مات أحد من البيضان عندهم احتفظوا بماله، ولا يتصرفون فيه ولو بقي محفوظاً لديهم سنين حتى يأتي من أهل بلاده من يستحق أن يسلم إليه شرعاً.

أما الإفريقيون الذين هم تحت خط الاستواء مثل أهالي القابون هؤلاء فإنه ليس لهم ماضٍ حضاري فضلاً من أن تكون لهم سلطنات، أو دول منظمة قديمة، بل إن بين بلادهم وبلاد مالي من وصفهم أسلافنا من مؤرخي العرب بأنهم من الهمج الذين يأكلون لحوم بني آدم.

ولكن قوماً من المحدثين من بني قومنا يجهلون التاريخ الذي سطره أسلافهم فيظنون أن الجميع أفارقة لا ماضي لهم، وبالتالي لم يسهموا في الحضارة الإنسانية بشيء، وهم بهذا لا يرتكبون الجهل بالتاريخ فقط وإنما يجحدون من حيث لا يشعرون المساهمة الفعالة العظيمة لهؤلاء الإخوة السودانيين الغربيين في الحضارة الإسلامية وتطبيق الشريعة المطهرة في

بلادهم، والدعوة إلى الإسلام بين الأقوام الإفريقية التي تقع بلادها إلى الجنوب منهم.

أجلسنا الأخ (بكري جاوارا) في غرفة للجلوس في بيته لم ندخلها في المرة السابقة لأنه لم يكن موجوداً، وهذه الغرفة مؤثثة تأثيثاً حديثاً من المقاعد الوثيرة إلى مكيف الهواء.

وكانت الضيافة التي أسرع الأخ (بكري جاوارا) بتقديمها لبناً مخيضاً في إناء من الخشب، ومعه مغارف - جمع مغرفة - من الخشب أيضاً مثل المعروفة لدينا ذات اليد الطويلة التي تشبه العصا، فأخذوا يغرفون من الإناء الخشبي بهذه المغارف الخشبية ويشربون، أما أنا فقد أخبرتهم أنني لا أسارع كثيراً إلى شرب اللبن، وبخاصة بعد أن عرفت منهم أنهم صنعوه من الحليب المعلب، لأن اللبن الطازج هنا قليل، بل يكاد يكون معدوماً كما قالوا، مع خضرة البلاد، ووفرة الحشائش والأعلاف فيها.

وكانت الضيافة التي تلت ذلك هي (الأتاي) وهو الشاي الأخضر المركز الذي يشبه في صنعته الشاي الموريتاني، وقد سارع الأخ فطيبه بالنعناع الأخضر الجيد، كما يفعل المغاربة، وقال: إن النعناع هذا أيضاً مستورد من الخارج.

وبينما كنا نتحدث تكاثفت السحب، واسودت السماء، ثم قصف الرعد، ولمع البرق، وما أسرع أن تساقط المطر لأن هذا هو شان البلاد الاستوائية الواقعة على البحار أو بقربها.

وعلق الحاضرون على ذلك بأن الفصل هنا هو فصل الأمطار، وقالوا: إنهم يعرفون من طبيعة هذه البلاد أن تسطع الشمس ثم يعقبها انعقاد السحاب الممطر، أما في الفصل غير الممطر، ولا يقولون: الجاف ،لأنه لا يوجد فصل جاف عندهم، وإنما يكون المطر قليلاً في غير الفصل المطير، فإن الغيوم

تتكاثر ويقل سطوع الشمس، ولكن الأمطار تكون قليلة.

### أكلة مالية:

ثم جاؤوا بأكلة شعبية مالية - نسبة إلى بلاد مالي - وهي دقيق من الذرة مطبوخ ومنشف في الشمس بحيث يبدو في المنظر كأنه السكر أو الملح، فغرفوا منه غرفات بمغرفة خشبية ذات يد طويلة، وأخذوا يلقون منه في إناء فيه حليب محلى بالسكر يخلطونه به، ثم يغترفون من ذلك بالمغارف الخشبية ويشربون، ويكررون الغرف بالمغارف من الإناء.

أما أنا فقد قلت لهم: إنني أكتفي عن ذلك بالنعناع، آكل من أوراقه الخضر بعد غسله، وقال لي رفيقي الشيخ الدكوري: إنه ليس من اللائق في عرفهم أن أرفض الأكل من هذه الضيافة، وإلا لكنت اعتذرت عن أكلها، لأنني لست بحاجة إلى الأكل.

ثم عدنا إلى دار الضيافة حيث تناولنا العشاء، وجاء بعض الضيوف إلا أن رفيقي الشيخ الدكوري قد كفاني أمر البقاء معهم، فصعدت إلى غرفتي أسود أوراقي بما تقرأه الآن.

### الداخلون في الإسلام:

حدثونا أمس عن ثلاثة دخلوا في الإسلام، وقالوا: إننا سميناهم بأسماء المسلمين. وإن كانوا يقولون ضمناً: إننا نأسف لكوننا لا نجد العدد الكافي من المرشدين الذين يرشدونهم للإسلام، ولا الجمعيات الخيرية التي تساعدهم بما يجتاز به بعضهم هذه المرحلة الانتقالية التي تتطلب على الأقل وفقاً لعادتهم ملابس خاصة يحضر بها المسلم صلاة الجمعة، وتكون له بمثابة الشعار.

وقد أخبرونا أن دخول الناس في الإسلام أصبح حدثاً أسبوعياً متكرراً وفي كثير من الأوقات يصبح حدثاً يومياً مألوفاً.

هذا ما كان بالأمس:

وأما في هذا اليوم فقد أخبرونا أن أحد الداخلين في الإسلام هذا اليوم هو عضو في البرلمان، وقد أعلن إسلامه على الملأ في المسجد، فلقنوه الشهادتين، وأسموه (إسماعيل).

وهذا من عجائب أمر هذا الدين الإسلامي الحنيف الذي ينتشر رغم قلة الأعوان، وانعدام المغريات المادية، بل رغم ضعف المنتمين إليه أنفسهم من الناحية المادية. وفي الحديث عن الإسلام في القابون ما يزيد العجب، ويثير الاستغراب لمن ينظر إلى الأمور نظرة مادية مجردة.

### يوم الخميس ٢٠/٢/١٤٠٤هـ

حضر إلينا في دار الضيافة في هذا الصباح أحد الذين أسلموا حديثاً، وقال: إنه أسلم منذ خمس سنين، ويحتاج إلى من يعلمه المزيد من أمور دينه. ثم قال: إنه واحد من مئات من الأشخاص الذين أسلموا حديثاً، ويشعرون بأنهم لا يزالون يحتاجون إلى المزيد من المعرفة بشؤون دينهم، ولكنهم لا يجدون ذلك في القابون.

وقال: نحن حوالي ٢٠٪ من القابونيين الذين دخلوا في الإسلام، ولكن لا توجد مدرسة إسلامية واحدة، ولا تعليم إسلامي مناسب.

وقال: إن أبناء المسلمين بحاجة إلى منح دراسية من الأقطار الإسلامية لأن المسيحيين يقدمون منحاً كثيرة لمعتنقي الديانة المسيحية.

ولا شك في أن كلامه صحيح، إلا أن مؤهلات الطلاب للالتحاق بالجامعات والمعاهد في البلاد الإسلامية ضعيفة، وقد قال في هذا الصدد قولة صحيحة هي أنه ينبغي التخفيف من شروط القبول لأبناء هذه البلاد المحتاجة للتعليم الإسلامي إلى أن يتم إنشاء مدارس إسلامية مناسبة هنا يستطيعون أن يلتحقوا بها ويحصلوا منها على المؤهلات المطلوبة.

والواقع أن كلامه هذا وجيه، ولقد لمسته حينما كنت في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، فلاحظت أن البلاد المحتاجة للتعليم الإسلامي، بل المفتقرة إليه هي التي توضع العراقيل أمام طلابها دون الالتحاق بالمعاهد والجامعات لنقص المؤهلات لديهم، أما البلاد الأقل حاجة فإن الطلاب فيها يحظون بالقبول أكثر من البلاد المحتاجة، وذلك بسبب وجود المدارس والمعاهد التي يستطيعون الدراسة فيها في بلادهم.

وهذا منطق معكوس، يمكن تصحيحه بالعمل على إيجاد مدارس ومعاهد ذات مستوى مناسب تؤهل الطلاب للقبول بالمعاهد والجامعات في

البلدان العربية الإسلامية.

وإلى أن يتم ذلك، فلا بد من تخفيف شروط القبول أو إيجاد دراسة خاصة أقل مستوى في المعاهد والجامعات العربية يلتحق بها الطلاب الذين يحتاجون إلى تأهيل، ومن نجح منهم التحق بالدراسة التي تناسبه، ومن لم ينجح عاد إلى بلاده وقد عاش - على الأقل - فترة في بلد إسلامي اختلط أثناءها بإخوانه المسلمين، وربما حصل على قدر من معرفة اللغة العربية.

وكنا أنشأنا في الجامعة الإسلامية دورة لتعليم اللغة العربية لغير العرب، كما أنشأنا معهداً متوسطاً أي إعدادياً تابعاً للجامعة لمن ليس لديهم إلا الشهادة الابتدائية وبلادهم محتاجة للتعليم الإسلامي.

**إلى حي باتافيا:**



**عند مسجد باتافيا في ليبرفيل وسيارة جوارا عند البوابة الخارجية التي يعلوها الشعار الإسلامي**

والمقصود من زيارته هو زيارة مسجد فيه يسمى (مسجد باتافيا) على اسمه لاحظت عندما وقفت السيارة بقرب المسجد وجود عدد من المسلمين من رجال ونساء نعرف ذلك من ملابسهم، فالنساء يغطين رؤوسهن بما يشبه المنديل الصغير، وإلا فإن الحجاب كما هو معروف في بلادنا لا وجود له إطلاقاً في كل أنحاء إفريقية الاستوائية.

أما الرجال من المسلمين فإن اللباس العربي الذي يتألف من قميص عربي طويل وطاقية هو الشائع لديهم، وهو لباس لا يلبسه غير المسلمين.

عندما وقفنا عند باب المسجد ولم يكن عند أحد من القائمين عليه علم مسبق بذلك كان أول من سلم علينا رجلاً اسمه (إدريس محمد عثمان) يعرف العربية قال: إنه تعلمها في السودان، وإنه هو ساوي، ولما سألته عن عمله، أجاب أنه (فقي) وأنه يزور هذه البلاد، وفسر بعض الحاضرين ما تعنيه هذه الكلمة عند العامة في هذه البلاد وأمثالها بأنه (حجّاب) أي يعمل الأحجبة والتعاليق التي يكون فيها أدعية أو نحوها يدفع بها شر العين والمرض كما يزعمون.

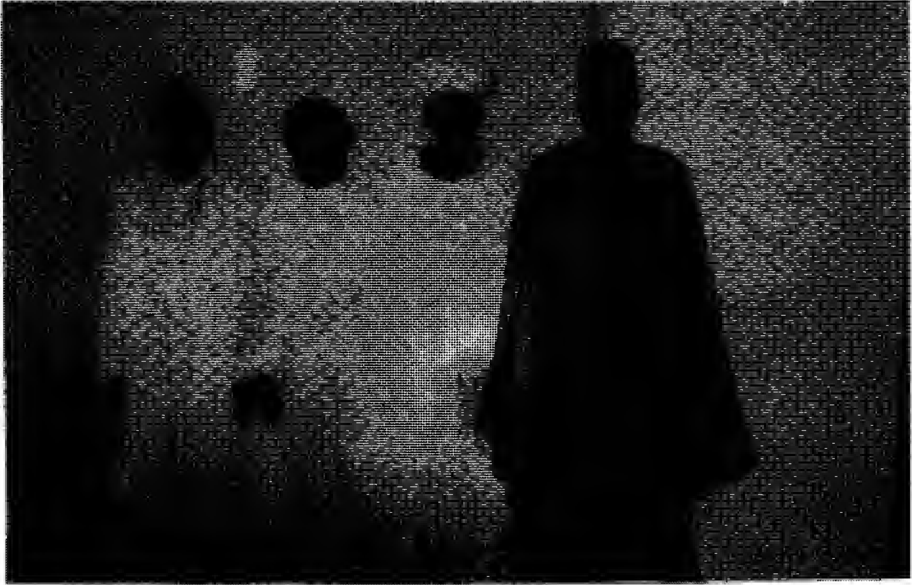
ثم حضر رئيس جمعية المسجد واسمه (مالم حسن) أي معلم حسن وهو فلاني - بالنون - وهي الفلاتي - بالتاء عندنا - ويعرف قدراً من العربية.

وحدثنا المعلم حسن فذكر أن المسجد بني منذ ثماني عشرة سنة بأموال جمعت من المسلمين الموجودين في هذه البلاد، من دون أية مساعدات من الخارج.

ثم حضر مسلم آخر يعرف العربية أيضاً واسمه (معلم محمد بن) من تشاد.

تفحصنا المسجد فوجدناه مبنياً بالإسمنت، ومسقفاً بسقف مسنم جيد

من الصاج شأن أكثر المنازل هنا ، وتحت السقف سقف آخر مستعار.



**بين المسلمين الذين يعرفون العربية في ليبرفيل وهم من تشاد والكاميرون**

وعندما خرجت من المسجد رأيت منظراً سيئاً ذكرني بمناظر مماثلة له في أماكن متباعدة في العالم ، وهو أنهم وضعوا على مجاري المياه المستعملة أو لنقل القذرة التي بجانب الشارع خشباً بمثابة الغطاء ، لما حاذى باب المسجد منها فقط.

وهذا ما رأيته في كثير من البلدان الاستوائية في آسيا وإفريقيا ، ومنها بانكوك عاصمة تايلند ، وغانا في غرب إفريقية ، وفي مدينة (دنبسار) عاصمة جزيرة بالي في إندونيسيا.

**لحم القرد يباع:**

استكمالاً لحديث الأمس عن لحم القرد ، وبيعه في السوق في هذه

البلاد ، أخذنا الأخ (بكري جاوارا) إلى سوق في العاصمة اسمه (أولومي) وهو سوق كبير إلا أن يومه الحافل بالمعروضات و(المتسوقين) هو يوم السبت، بحيث يكون فيه مزدحماً ، أما اليوم فإنها فيه غير كثيرة.

ومع ذلك وجدناه حافلاً بالناس، مليئاً بالبائعات اللائي كلهن من دون استثناء من النساء على عادة الأفارقة في أن تتولى النساء بيع البضائع القليلة.



سوق ليبرفيل في القابون

وكله عبارة عما نسميه في بلادنا بالبسطات، أي البضائع المعروضة على منصة خشبية، تحت مظلات وليس فيه حوانيت تفتح وتغلق.

من أهم ما رأينا فيه أنواع قليلة من السمك ما بين مملح ومدخن وطري، وطماطم صغيرة غير جيدة، وثمار نخيل الزيت الذي يشبه البسر تماماً ، إلا أنه صلب ويعالجونه، فيستخرجون منه الزيت الذي يأتدمون به يضيفونه إلى أنواع من طعامهم، وقرون من البامية كل ثلاثة قرون كومة واحدة، والبيع هنا بالعد وليس بالوزن.

ثم رأينا القرد أسود غير مذبوح، فهو إذاً ميتة قرد وقد تبين في جسمه جرح من أثر رصاصة أو أطباق حبالة عليه وهو حديث الموت فيما يظهر من منظره، وجدناه عند بائعة فسألناها عن ثمنه ؟ فقالت: خمسة آلاف فرنك ويعادل ذلك ثمانية وأربعين ريالاً تقريباً.

وجعلت أتأمله وأنا أغالب التقزز ورفيقاي يتبادلان الكلمات التي لا تدل على الارتياح فعرفت البائعة أننا لسنا راغبين في الشراء وإنما نحن طلاب فرجة، لذلك عندما أخرجت المصورة - آلة التصوير - لألتقط صورة للقرد مانعت البائعة وسارعت تستره بجسمها.

ويئست من الحصول على الصورة الثمينة فتركنا الركن الذي هي فيه إلى مكان آخر، فوقفنا على رأس أيِّلٍ، وهو أكبر من الظبي ورقبته مقطوعين من الجسم على حد الكتف أظن أنهما يزنان ستة كيلات عند بائعة جابونية مثل سائر الجابونيات لم ترزق حظاً من الجمال، فسألناها عن قيمة رأس الوعل ورقبته ؟ فقالت: ألف وخمسمائة فرنك، أي نحو ١٤ ريالاً سعودياً، أو أربعة دولارات أمريكية.

وكانت تلك المرأة تراقب على البعد ما دار بيننا وبين بائعة القرد الميت. فقالت لنا: أنتم لا تعرفون طريقة النساء في هذه البلاد، إنه ينبغي أن تغازلوها أولاً، وسترون أنها ستسمح لكم بتصوير القرد بسهولة، أما أن تطلبوا منها التصوير مباشرة فإنها لا تسمح لكم بذلك.

ولم تكن هذه (القابونية) الكافرة تفهم شيئاً عنا، وأننا لا نريد مغازلة النساء، ولو أردناها لوفرناها لغير ذات القرد.

إلا أن المغازلة جاءت من طرف آخر، فقد كانت بجانب بائعة رأس الوعل ورقبته امرأة سوداء لا تختلف في السواد عن نساء القابون، ولكنها جميلة جمالاً ظاهراً؛ بل ربما صح القول بأنه جمال باهر بالمقارنة مع أهل هذه

البلاد، أقبلت علينا بتأثر وهي تقول ما بين الجد واللعب بصريح العبارة: إنني أريد أن أذهب معكم بسيارتكم هذه.

وكان سائق السيارة قد قرب منا لأن المطر كان قد نزل الليلة البارحة غزيراً خلّف مناقع في الأرض فأصح المشي في السوق مؤذياً، ثم قالت بتأثر: خذوني معكم، إنني أريد أن أذهب معكم، إنني هوساوية مسلمة مثلكم، ولست من أهل القابون. وكنا جميعاً نرتدي الملابس الوطنية.

فقلت لصاحبيَّ: قولا لها: إننا مسلمون وهي مسلمة، ولا يجوز أن تذهب المسلمة مع رجل غريب عنها. فأرادت أن تقول شيئاً ولكنها استحت فغطت وجهها بيديها تاركة ما كانت تبيعه. وقال أحد الأخوين: إنها تريد أن تقول: ليتزوجني أحدكم، فلم تستطع.

وبهذه المناسبة لاحظت أنه توجد في السوق بعض البائعات اللاتي يتميزن بالجمال الظاهر بالنسبة إلى القابونيات فسألت عنهن فقيل لي: إنهن كلهن مسلمات من أهل السودان الغربي: مالي، والسنغال، والنيجر، أي من (التكرونيات) جئن إلى هذه البلاد مع أهلهن أو أزواجهن، واشتغلن بالتجارة القليلة، لأن الأنظمة في المستعمرات الفرنسية السابقة تجيز تنقل رعايا تلك الأقطار للتجارة والعمل، إضافة إلى روح التسامح والود التي تسود العلاقات بين الإفريقيين في تلك الأقطار؛ بخلاف المستعمرات الإنكليزية التي نذكر منها ما فعلته (غانا) في وقت سابق بترحيل عشرات الألوف من رعايا الدول الإفريقية المجاورة وأكثرهم من المسلمين عنها، ثم ما فعلته نيجيريا برعايا غانا نفسها وغيرها من الدول الإفريقية حين طردتهم شر طردة في مشاهد سمعتها الدنيا ورأتها من خلال الإذاعة والتلفزة. حيث جمعتهم مع أطفالهم وضعفائهم في معسكرات لا يتوفر فيها الغذاء والماء قبل أن تسوقهم بالجملة إلى الحدود، ومن بينهم طائفة من مواطني غانا التي سبق أن فعلت مثل هذه الفعلة في حق مواطني دول أخرى ولكن بطريقة أكثر تهذيباً من الطريقة

النيجيرية الفظة.

وهـذه الجـرأة بـل الوقاحـة مـن النسـاء ليسـت غريبـة علـى سـكان المستعمرات الفرنسية، لأن الفرنسيين أنفسهم لديهم من تلك الخصال المذمومة ما فاقوا به غيرهم.

**يذبحون الميتة:**

رأينا بائعة عندها غزال معلق، تقطع من لحمه ثم تشويه وتبيعه للمارة، وبعض الناس يشترون منها قليلاً ويأكلون وهم واقفون، فقال الأخ بكري جاوارا: لو كنت أعلم أن هذا الغزال مذبوح ذبحاً شرعياً لاشترينا من لحمه شواء، لأنه بري طيب. فقلت له: ألا يمكن أن تعرف ما إذا كان مذكى ذكاة شرعية وأن الذين اصطادوه هم من المسلمين ؟ فقال: إن معظم الصيادين في الغابات هم من الوثنيين، لأنهم الذين يستطيعون أن يصبروا على ملاحقة الوحوش فيها.

ثم ضحك وقال: لقد رأيت مرة في هذا السوق غزالاً حسن المظهر سميناً فوقفت أنظر إليه فقالت البائعة: لماذا لا تشتريه ؟ فقلت لها: لأنه غير مذبوح، ونحن المسلمون لا نأكل إلا ما كان مذبوحاً. فقالت: ليست هناك مشكلة نذبحه لك الآن.

وكان الغزال قد مات منذ أمس !

**وأخيراً صورنا القرد:**

ولو كان المقصود هو مجرد الحصول على صورة للقرد لما كان في ذلك ما يستدعي بذل أي مجهود، ولكنني أردت الحصول على صورة للقرد المعروض للبيع ليشتريه من يريد أكل لحمه.



**الرجل يحتضن القرد الميت المعروض للبيع في سوق ليبرفيل**

فقد رجعنا إلى صاحبته نحاول أن نتمكن من تصوير القرد فصادف أن رأينا رجلاً يشبه أن يكون موظفاً في البلدية أو في الأمن فسألنا عما نريد، فأخبرناه أننا نريد تصوير هذا القرد للذكرى، فقال: أنتم سياح ؟ (توريست) قلنا: نعم.

فقال: تفضلوا ثم اندفع يحتضن القرد ويقول: صوروا، أنتم (توريست)، واعترضت المرأة البائعة فدفعها بيده دفعة شديدة وهو يقول لها: (توريست. توريست)، ويقول لنا وهو يحتضن القرد الميت: خذوا ما شئتم من الصور !

ولما انتهينا من التصوير منحناه خمسمائة فرنك إفريقي أي خمسة ريالات سعودية فشكر وانحنى بالتحية.

وعندما كنت أتأمل هذا الحيوان المسكين القرد، وربما كانوا قد عذبوه خلال صيده، ثم هم سيأكلونه، وهم بهذا يخالفون الطريقة المثلى في معاملة الحيوان التي تأمر بالرفق بالحيوان حتى عند الذبح كما قال الرسول

ﷺ: (إذا قتلتم فأحسنوا القِتْلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذِّبْحة، وليحدَّ أحدكم شفرته وليرح ذبيحته ...).

كما أنهم في ضلالهم هذا على طرفي نقيض مع قوم ضالين آخرين رأيتهم يؤلهون القرد، أي يتخذونه إلهاً يعبدونه ويتقربون إلى تماثيله المنتشرة في بلادهم وهي الهند، وقد ذكرت ما شاهدته من ذلك في كتب (الرحلات الهندية)، ومن أوضحها كتاب "نظرات في شمال الهند" إذْ صادف يوم عيد القرد وجودي في مدينة لكنهو عاصمة ولاية (أترابرديش) وقد عطلوا الدوائر الحكومية والمدارس بمناسبة عيد القرد (هانومان).

فحمدت الله تعالى على نعمتي العقل والدين.

وتركنا هذا السوق القابوني متعجبين، فوقف السائق لأخذ الوقود من إحدى المحطات، فسألتهم عن قيمة اللتر من وقود السيارات (البنزين) فأجابوا إنه مائتان وخمسة وأربعون فرنكاً أي أقل قليلاً من ريالين ونصف الريال على حين أن سعره عندنا هو ربع ريال سعودي، أو جزءاً من ١٤ جزءاً من الدولار الأمريكي، مع أن القابون من الدول المصدرة للنفط، وهي مثلنا عضو في منظمة الدول المصدرة للنفط المسماة اختصاراً (أوبك).

ثم قضينا بعض الوقت في نزهة بالسيارة على ساحل المحيط ورأيتهم غرسوا أشجاراً قليلة من النارجيل فيه، فبدت هذه الأشجار جميلة ريانة مخضلة الخوص، واسعة الفروع، وقلت في نفسي: لماذا لم يغرسوا جانبي الشارع كليهما بالنارجيل ؟

وكان الجواب على هذا السؤال الذي ورد على ذهني وأنا في الريف القابوني أمس: وهو لماذا لم يكثروا من الموز ونخيل الزيت مادام أنهما نافعان، وليس عندهم مشكلة في الري ؟ وهو عدم العناية.

ثم عدنا إلى (١٢ مارس) والمراد بها دار الضيافة المسماة بهذا الاسم لأنها

بنيت من أجل المشتركين في اجتماع القمة الإفريقية التي عقدت في ١٢ مارس من عام ١٩٧٨م.

فكان في الوقت فسحة للتجول في منطقة دار الضيافة التي هي مساحة من الروابي والوهاد الخضر الجميلة قد أقاموا على قممها دارات (فيلات) للضيافة إحداها التي نقيم فيها، فرأينا أقفاصاً في داخل هذه المساحة الجميلة. وفيها أسد كبير في قفص من الحديد كالذي يكون في حدائق الحيوان المعتادة، وظبي كبير، وحيوانات أخرى قليلة، وبعض الطيور.

**وفي دار الضيافة:**

حضر إلينا إمام الجامع القديم الأول الشيخ (عيسى عبد الله) ومعه إمام جامع (كبي بلين) وبعض طلبة العلم، وشكوا من أنهم لا يكادون يحصلون على مصاريف الكهرباء الغالية للمسجد الذي فيه مراوح تعمل أكثر الوقت، كما أنه يظل مفتوحاً في أكثر النهار للمصلين والمستمعين لتلاوة القرآن الكريم.

وقالوا: إننا نطوف بالناس نجمع منهم بالفرنك والفرنكين لمصاريف المسجد، وإن بعضهم قد مل من مراجعتنا وأخذوا يقللون من عطائهم.

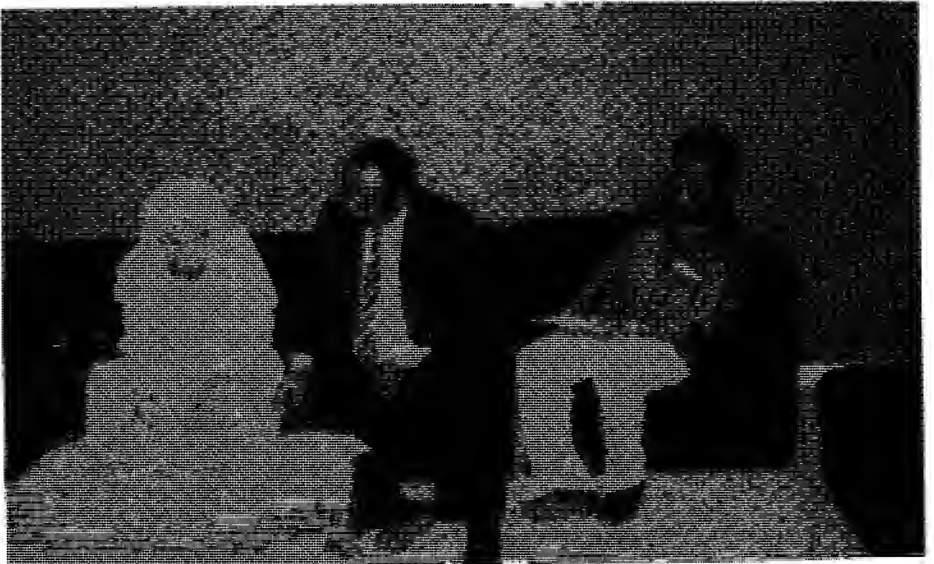
وقد وعدتهم خيراً لأنني أحمل معي مبالغ نقدية على هيئة صكات (شيكات) سياحية بمثابة المعونة العاجلة من صندوق المجلس الأعلى العالمي للمساجد التابع لرابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة، وقد خصصنا للمساجد التي زرناها منها نصيباً غير أن المشكلة أن وزير الشؤون الدينية هنا ومستشار الرئيس للشؤون السياسية وهما يمثلان الحكومة، كانا قد طلبا مني أن تكون المساعدات التي ننوي صرفها للمساجد أو غيرها بواسطة الحكومة، وقالا: إن ذلك أكثر ضماناً لصرفها في مصاريفها، لأن بعض الجهات قد تحملها الحاجة على التصرف بمثل هذه الأموال.

وهذا له وجه صحيح، إلا أننا في العادة نحتاط في صرف المساعدات فلا نضعها إلا في أيدٍ نتحرى أن تكون أمينة عليها، كما أننا لا نسلمها في الغالب للمسؤولين مباشرة عن المسجد مثل الإمام، أو رئيس جمعية المسجد بمفرده، وإنما نضعها في أيدٍ أمينة عند أحد المشهورين بالغنى وعدم الحاجة لمثل هذه الأموال. ونطلب منه أن يصرف منها بمعرفة المسؤولين عن المسجد حسب الحاجة، وبعد اقتناعه من ذلك.

وفي مثل حالتنا هذه فإن الأمر من أولي الأمر وهم المسؤولون في الحكومة وبينهم وبين الرابطة مشكلة في مكتب الرابطة وجدوا في أنفسهم شيئاً من أجلها، لذلك نريد أن يزول ما في نفوسهم، ولهذا لا نستطيع أن نخالفهم.

فحزمنا أمرنا على دفع المساعدات كلها للحكومة مع النص على حصة كل مسجد من المساجد التي زرناها حسبما اقتنعنا به من حاجته إلى المساعدة

**التوقيع على الاتفاقية :**



التوقيع على الاتفاقية مع وزير الشؤون الدينية في القابون

تم توقيع الاتفاقية بين رابطة العالم الإسلامي وأمثّلها أنا الأمين العام المساعد للرابطة، ورفيقي الشيخ عبد الوهاب الدكوري مدير مكتب الرابطة الإقليمي في غرب إفريقية ومقره دكار، وبين الحكومة القابونية.

وتبادلنا التوقيع على الاتفاقية وأخذت صوراً تذكارية في هذه المناسبة، وكان توقيعها في مكتب وزير الشؤون الدينية بمقر الوزارة، ومن نسختين إحداهما بالعربية والأخرى بالفرنسية.

## وهذا نص الاتفاقية:

بسم الله الرحمن الرحيم

**محضر**

اجتمع كل من صاحبي السعادة:

- السيد محمد ناصر العبودي، الأمين العام بالنيابة لرابطة العالم الإسلامي.
- والسيد الحاج محمد موابا بيوتسا، المفوض السياسي المكلف بالشؤون الخارجية والإسلامية.

وقد عقدت جلسة العمل هذه في مبنى المفوضية السياسية للشؤون الخارجية (ليبرفيل) بتاريخ: ٢٣ نوفمبر (تشرين الثاني) سنة ١٩٨٣ ميلادية، وقد تمت الجلسة للوفدين بحضور:

١) عن الرابطة:

- سعادة السيد محمد بن ناصر العبودي، الأمين العام للرابطة بالنيابة.
- سعادة السيد عبد الوهاب دوكوري الممثل الإقليمي للرابطة بداكار.

٢) عن الجهة القابونية:

- سعادة السيد الحاج محمد موابا بيوتسا ، المفوض السياسي المكلف بالشؤون الخارجية والإسلامية.

- سعادة السيد محمد هارسّاني، مستشار رئيس الجمهورية للشؤون الإسلامية.

خلال هذا الاجتماع تمت إثارة النقاط التالية والاتفاق عليها:

(١) - قرر الوفدان إبعاد مدير مكتب الرابطة الحالي عن كل مهامه السابقة كممثل للرابطة لدى الجمهورية القابونية.

(٢) - اقترح الطرف القابوني تعيين السيد يعقوب ولد داداه ليشرف على تسيير المكتب ما لم يتم رسمياً تعيين ممثل الرابطة الجديد.

(٣) - تعهدت الرابطة بقضاء ما تبقى من الديون المتعلقة بأجر مبانيها بليبرفيل، كما سجلت بامتنان واعتراف بالمعروف ما بذله فخامة الرئيس الحاج عمر بنقو من مجهودات مالية خاصة لصالح الإسلام والمسلمين. وستبقى الرابطة أخيراً على اتصال دائم مع سعادة الحاج محمد موابا بيوتسا؛ المفوض السياسي المكلف بالشؤون الخارجية والإسلامية ، وذلك بشأن كل القضايا الداخلة في صلاحياتها.

(٤) - تعهدت الرابطة بالاستجابة للطلبات القابونية المتعلقة بالمساعدة على إصلاح وترميم المساجد الموجودة ، وكذلك بالمشاركة عند الحاجة وفي حدود إمكانات الرابطة ، في إنجاز مشاريع مساجد جديدة.

سجلت الرابطة كذلك رغبة الطرف القابوني الخاصة بتمويل مركز إسلامي في ليبرفيل يكون مركزاً للمكتب الوطني لمسلمي القابون. وسيتم دعم هذا المشروع من طرف الرابطة ، وذلك عن طريق تقديمه للدول والهيئات والشخصيات الإسلامية الكفيلة بالمساعدة في إنجازه.

(٥) - فيما يخص منح الدراسة، تعهدت الرابطة بتقديم عدد محدود منها على حسابها الخاص، كما تعهدت بالاتصال بالجامعات السعودية لتخصيص منح لصالح المسلمين القابونيين.

ويتم توزيع هذه المنح لمن تتوفر لديه شروطها من الطلاب القابونيين بواسطة سعادة السيد الحاج محمد موابا بيوتسا، المفوض السياسي المكلف بالشؤون الخارجية والإسلامية.

٦) - أشار سعادة السيد المفوض السياسي إلى مفهوم السلطات القابونية لمهمة الرابطة، وأضاف مفصلاً أن هذه المهمة تكمن في تشجيع ودعم العمل الإسلامي بمجهود الرابطة الخاص من ناحية، وفي عملها على تشجيع التضامن الإسلامي من ناحية أخرى، وذلك عن طريق حث الدول والهيئات والشخصيات الإسلامية على بذل المجهود اللازم لصالح الدول والمجموعات الإسلامية المفتقرة إلى المساعدة، وعبر سعادة الأمين العام بالنيابة للرابطة عن موافقته على هذا التحديد.

| عن الرابطة: | عن الطرف القابوني: |
| --- | --- |
| السيد محمد ناصر العبودي | الحاج محمد موايا بيوتسا |
| الأمين العام بالنيابة | المفوض السياسي المكلف |
| | بالشؤون الخارجية والإسلامية |

ليبرفيل ٢٣ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٣ م

* * *

ثم أعطينا بعض النقود المخصصة لمساعدة مساجد العاصمة ليبرفيل إلى وزير الشؤون الدينية بحضور مستشار الرئيس وكاتب مكتب الرابطة، وذلك لتوزيعها على المساجد المذكورة.

**وماذا عن الحجز وسمات الدخول ؟**

كنا أعطينا الوزير حال وصولنا إلى القابون جوازي السفر وهما جوازان سياسيان وتذكرتي السفر وهما بالدرجة الأولى، وطلبنا الحجز إلى (ليبرفيل) عاصمة الكنقو في مساء هذا اليوم الخميس، كما طلبنا الحصول على سمة الدخول إلى الكنقو وأنقولا وذلك في أول لقاء بالوزير.

وقد أخبرني رفيقي الدكوري عندما رجعنا إلى دار الضيافة في تلك المرة أن الوزير قال بفخر واعتزاز: سوف نحصل لكم على (التأشيرة) بسرعة، وقد ترجم لي الشيخ الدكوري هذه العبارة إلا أن الجملة التي لم يترجمها هي قول الوزير بعد ذلك: نحن الأفارقة لسنا مثلكم يا أهل الشرق الأوسط تتشددون في إعطاء التأشيرة.

وطبيعي أنه ليس من اللائق أن يقول ذلك، ولذلك لم يترجمها الشيخ الدكوري.

والوزير يعرف البلاد العربية جيداً، وقد عمل فيها فترة، ويعرف صعوبة الحصول على سمات الدخول إليها لبعض الأجانب.

وعلى أية حال فإن هذا قد طمأننا إلى الحصول على سمات الدخول خصوصاً لأنقولا التي ليس بينها وبين حكومتنا علاقات، بل ولا ملاقاة في بعض الأهداف؛ لأنها دولة شيوعية يسارية وحكومتنا حكومة إسلامية، كما أننا إذا تيسرت لنا زيارتها فإنها تكون أول زيارة لوفد إسلامي من المملكة العربية السعودية يدخلها لأن الحركة الإسلامية فيها ناشئة، والمسلمون على قلتهم أكثرهم من المسلمين الجدد، ويبلغ عددهم في البلاد كلها خمسمائة شخص، وقد ألفوا مؤخراً جمعية إسلامية، وجمعوا قليلاً من النقود ليقيموا بها مسجداً، وقد طلب شخص منهم حديث عهد بالإسلام ويتكلم شيئاً من العربية تعلمه في السودان، طلب مني أن أزورهم للاطلاع

على أحوالهم ومساعدتهم على إقامة المسجد، بل مساعدتهم على ما ينفعهم في أمور دينهم.

وكان قد حج هذا العام واستضفناه في رابطة العالم الإسلامي.

ولقد قلت للوزير من باب التأكيد وإن كنت لم يخامرني شك في الأمر: أرجو أن تكون (التأشيرات) قد انتهت، وذلك لأن جوازاتنا لديهم والمقرر أن نسافر في التاسعة مساءً، ولم يبق على الخروج إلى المطار إلا ساعتان.

فرد عليَّ الوزير بقوله: لقد قال لي سفير أنقولا: إن الأمر يحتاج إلى بعض الوقت، وإنه لن ينتهي قبل سفركم، لذا يستحسن أن تطلبوها من الكنقو.

فقلنا له: الأمر كما قلت، ولكن المهم هو الحصول على سمة الدخول للكنقو التي سنسافر إليها بعد ثلاث ساعات.

فقال الوزير: لقد كلمت سفير الكنقو بنفسي اليوم، فقال: إن الجوازات منتهية ويمكنكم أن ترسلوا من يتسلمها، وقد أمرت مدير المراسم في الوزارة أن يذهب ويتسلمها في هذا الظهر وهو الآن غير موجود في المكتب فلعله ذهب بها إلى دار الضيافة.

وعلى ذكر موظف المراسم في الوزارة والجوازات لم نشأ أن نقول له: إن هذا الموظف قد طلب شيئاً غير مألوف وهو أن ندفع إليه نقوداً وصوراً من أجل التأشيرة مع أن الجوازات (دبلوماسية) والعادة جرت على ألا يطلب ممن يحملها شيء من ذلك.

## المضحك المحزن:

عدنا إلى دار الضيافة، فلم نجد موظف المراسم ولا الجوازات، فطلبنا من الكاتب في مكتب الرابطة عبد الواحد كونطة أن يحضر لنا الجوازين، لأن موعد السفر قرب ولا يمكن السفر بدونهما بطبيعة الحال، وأعطيناه

السيارة الرسمية ليكون ذلك أسرع في إنهاء الأمر.

فغاب طويلاً ثم عاد إلينا وهو يلهث ويروي القصة المضحكة التالية:

قال: لقد ذهبت إلى سفارة الكنقو، فلم أجد إلا السائق الذي هو الحارس في الوقت نفسه، وهو ساكن في مقر السفارة، فأخبرني أن الجوازين عند مستشار السفارة وأنه رآه يختمهما ويضعهما في مكتبه ويخرج مثل غيره من الموظفين لانتهاء موعد العمل بعد الظهر.

قال: فذهبت إلى بيت المستشار فقال لي: إن الجوازين عند السكرتير الأول للسفارة، فعليك أن تعود إلى السفارة وتأخذ السائق معك ليدلك على بيته، فتأخذه من بيته وتعود به إلى السفارة حتى يعطيك الجوازين، لأنه لا يملك سيارة، وبالطبع لن يستأجر من جيبه.

قال: فقلت له: ألا يمكن أن تذهب أنت معي وسيارتنا هذه حاضرة تذهب بك وتعود ؟

فقال: لا، إن وقت العمل قد انتهى ولا يمكن أن أذهب في عمل الآن.

قال: فرجعت إلى السفارة وكلمت الحارس الذي هو السائق، فقال: إنه لا يستطيع أن يغادر السفارة إلا بأمر من السفير لأنه مسؤول عن ذلك.

قال: فذهبت إلى بيت السفير فأخبرني أهله أنه ذهب إلى المستشفى لأن لديه مراجعة فيه، قال: فرجعت إلى بيت المستشار فقالت امرأته: إنه نائم، وقد أمرنا ألا نوقظه.

قال: فعدت إليكم لأخبركم بالأمر، ولتشيروا عليَّ بما أفعل، فقلنا له: إن الوقت يمضي بسرعة فاذهب إلى الوزير وأخبره بما حصل حتى يتولى الأمر بنفسه.

وذهب الأخ (كونطة) إلى وزير الشؤون الدينية، فذهب معه الوزير إلى

بيت مستشار السفارة الكنقوية فوجده قد خرج من البيت، وقالت زوجته: إنها لا تعلم أين ذهب.

فقال لها الوزير: قولي له أنا الوزير، أنا الحكومة إذا كان موجوداً، وإلا فدلينا على مكان وجوده، لأنه سيسبب لنا حرجاً عند ضيوف الحكومة الذين حبست السفارة جوازاتهم، فكررت المرأة قولها: إنها لا تعرف إلى أين ذهب.

فأمر الوزير الأخ كونطه أن يذهب إلى دار الضيافة ليخبرنا بما حدث، وبأن الوزير سوف يبحث بنفسه عن مكان مستشار السفارة الكنقوية ويأتي بالجوازين إلينا في دار الضيافة.

هذا ولم يكن بقي على الخروج إلى المطار كثير وقت، إذ الخروج في الثامنة، وموعد قيام الطائرة التاسعة من هذا المساء.

وقد أعددنا أمتعتنا في دار الضيافة انتظاراً لوصول الجوازين.

وفي التاسعة والنصف اتصل بنا مستشار رئيس الجمهورية من المطار، وكان قد خرج لتوديعنا، فقال: إننا قد أخرنا قيام الطائرة من أجلكم، فلماذا لم تأتوا ؟

فأخبرناهم بأمر الجوازين، فقال: سوف نؤخر الطائرة أيضاً في انتظاركم.

وما زلنا في انتظار على أحر من الجمر في دار الضيافة، حتى سمعنا صوت الطائرة تغادر المطار في الساعة الحادية عشرة، بعد أن أخروها من أجلنا ساعتين كما أخبرونا.

وغلبنا الضحك المبكي، وبخاصة حين تذكرنا قول الوزير القابوني: إننا لسنا مثلكم أيها العرب أهل الشرق الأوسط. إن الحصول على (فيزا)

لأحد الأقطار الإفريقية سهل علينا.

وقد لبث الوزير ثلاثة أيام لم يحصل على تأشيرة واحدة لأي من القطرين.

وعندما غلبني التأثر من التأخر، قال لي رفيقي الشيخ الدكوري: إنهم الذين ينبغي أن يتأثروا، لأنهم أظهروا عدم القدرة على إنجاز أمرنا، إضافة إلى المصاريف التي سيتحملونها لإضافتنا في الأيام المقبلة.

فقلت: إنني أتأثر للوقت الذي سنخسره هنا في ليث لا لزوم له بعد أن انتهى عملنا وكنت أحب أن أقضي هذا الوقت في بلد آخر أستفيد من وجودي فيه.

## يوم الجمعة ١٤٠٤/٢/٢١ هـ

أصبحت مصاباً بإنفلونزا حادة مع التهاب بالحلق، ربما كان ذلك من أثر تعرضي للشمس الاستوائية في ضحى أمس، وأنا من الناس الذين تؤذيهم الشمس حتى في بلادهم، فكيف في هذه البلاد الاستوائية التي تنزل فيها أشعة الشمس رأسية على الأرض ؟

وقد بقيت في الغرفة أكتب، وأطفأت مكيف الهواء.

وقال رفيقي الشيخ الدكوري قواه الله: العرب يقولون " **ما حك جلدك مثل ظفرك** " ينبغي ألا نعتمد على أحد، ثم ذهب إلى سفارة الكنغو، وما أسرع أن عاد وهو يحمل الجوازين كليهما، ويقول: قال لي سفير الكنغو: إن كل الروايات التي سمعتموها غير صحيحة، فنحن لم نتوقف عن منح التأشيرة، وكيف نتوقف وأنتم تريدون أن تساعدوا بعض مواطنينا ؟ وتنفقوا في بلادنا عملة صعبة نحن بحاجة إليها ؟ ثم إنه لا توجد في علاقات بلادنا بالمملكة العربية السعودية ما يوجب التوقف عن منح التأشيرة.

وقال: إننا لم نطلب نقوداً ولا صوراً ولا غيرها، وقال مستشار السفارة: إن الوزير قد اتهمني أمام زوجتي بأنني قد أخذت نقوداً، وهذا غير صحيح، فإذا كنتم قد دفعتم نقوداً لموظف المراسم فإنه قد أخذها لنفسه، ولو كان راجعنا بعد ظهر أمس لكان وجد الجوازين جاهزين.

وبالفعل كان ختم الجوازين مؤرخاً بتاريخ الأمس.

وبقي موضوع الحجز، ولم نجد إلا مساء غد السبت، فانتظرنا مكرهين.

**في سوق حديث:**

زرنا أمس وقبل أمس سوقين شعبيين، فرأينا أن نزور اليوم سوقاً حديثاً في البلاد (سوبر ماركت) كان أول ما لفت النظر فيه أن المتسوقين مختلطون ما بين مواطنين إفريقيين وبين أوروبيين من العاملين في البلاد، وكانت العادة أن يكون المشترون من هذه السوق هم من الأوروبيين وحدهم.

ولقد راق لي أن أعرف أسعار بعض الفاكهة الموجودة في هذا السوق، فوجدتها كلها غالية لا يمكن أن تقارن بأسعار الفاكهة في بلادنا، فبلادنا أرخص منها بكثير، بل تبلغ الزيادة في الأسعار عندهم عما هو عندنا أكثر من ثلاثة أضعاف.

ومن ذلك العنب وهو مستورد ٤٨ ريالاً سعودياً للكيلو الواحد، والتمر وهو مستورد من الجزائر أو تونس ٣٢ ريالاً، واللوبياء ٢١ ريالاً، والبطيخ الأصفر (الشمام) ٣١ ريالاً.

ومع هذا الغلاء فإنني رأيت الناس يشترون، وبخاصة منهم الأوروبيين أو البيض كما يسمونهم. وقد لاحظت أنه يوجد بين المشترين بعض المسلمين نعرفهم من قمصانهم الطويلة التي تشبه القمص العربية.

وهذا الغلاء في الخضروات والفاكهة غريب لأن المستورد يوجد بثلث ثمنه في بلادنا ونحن نستورده أيضاً، وأما الذي يمكن أن يستزرع عندهم فإن غلاءه أعجب، إذ كيف لا يزرعون وعندهم الأراضي والمياه والأيدي العاملة التي إن لم تكف الوطنية منها يمكن أن يستوردوها من البلاد الإفريقية المجاورة التي تتوفر فيها الأيدي العاملة بكثرة.

ثم ذهبنا إلى فندق ديالوج وهو على شاطئ البحر وأحد فنادق الدرجة الأولى وعنده مشارب ومسبح بحري على الشاطئ، فشربنا فيه الشاي.

ووجدنا في الفندق بعض العرب وهم من جنوب لبنان، وقد دار معهم

حديث عن العرب في القابون:

فحدثوني عن عددهم التقريبي، وعن وضعهم الاقتصادي، وقد ضممت ذلك إلى ما أعرفه عن العرب هنا من معلومات من مصادر أخرى غيرهم وتتلخص في التالي:

أكبر عدد من العرب هنا هم من اللبنانيين قالوا: إنهم يبلغون خمسمائة أسرة وجلهم من المسلمين الذين أكثرهم من الشيعة من جنوب لبنان.

ولا يوجد بين اللبنانيين من المسيحيين مثلاً إلا أعداد قليلة لا تبلغ العشر أسر منهم وأكثرهم يشتغلون بالتجارة، ومنهم من يعمل بالصناعة أي بإدارة مصانع صغيرة أو الإشراف عليها، ولا يشكون من أية مضايقات من الحكومة القابونية أو من الشعب.

وبعضهم يعملون خارج العاصمة وليست لديهم أي مشكلة تتعلق بالأمن مثلاً.

وقد سألت الإخوة من المسلمين الإفريقيين عن مدى تعاون اللبنانيين على أمور دينهم أو حضور الصلوات معهم ؟

فأجابوا: بنفي ذلك وقالوا إنهم لا يساعدوننا في أمور ديننا، وإنهم منعزلون عنا، وقال بعض السذج من عوام المسلمين: إن اللبنانيين هنا هم من المسيحيين فهم لا يصلون معنا، ومظهرهم مظهر الأوروبيين.

والواقع الذي قاله لي بعض هؤلاء اللبنانيين: إنهم لا يساعدون في أمور الدين لأنهم يخشون أن يصيبهم ضرر من ذلك، مثلما أنهم لا يتدخلون في شؤون السياسة لهذا السبب.

وهذا بطبيعة الحال منطق غير مقبول لأن للمسلمين جمعيات رسمية معترفاً بها ومساعدتها لا تنتج عنه أية مشكلة سياسية، ثم من الذي سيسبب

هـذه المشـكلة والحكومـة الآن برئيسـها وأكـثر وزرائـها تعتـبر حكومـة إسلامية؟

ولكن الواقع أنهم قد نشأ عندهم اعتقاد بأنهم إذا أرادوا أن يساعدوا المسلمين فإنهم لا بد من أن يصطدموا بموضوع السنة والشيعة وهم لا يريدون ذلك.

غير أن السؤال يبقى في مكانه وهو: لماذا الاصطدام والقضية قضية مساعدات على أشياء من البدهيات في الإسلام مثل المساعدة على بناء المساجد والمدارس الإسلامية، والتبرع للجمعيات الإسلامية الخيرية التي تقوم على مساعدة المسلمين في الأمور العامة، مثل تجهيز الأموات وإسعاف الفقراء والمحتاجين ؟.

ومما يجدر ذكره أن أكثر هؤلاء هم من العوام في الدين الذين لم يكونوا من العاملين لدينهم في بلادهم فنقلوا ذلك معهم إلى المهجر.

الطائفة الثانية، هم المغاربة، وهؤلاء لهم مقام كبير في الدولة لأن العلاقة وثيقة جداً بين الملك الحسن الثاني ملك المغرب، والرئيس القابوني عمر بنقو.

ولهذا السبب كان حراس القصر الجمهوري هم من المغاربة، وهناك حراس أيضاً من المغاربة، على الأماكن المهمة الأخرى في الدولة من إخواننا أهل المغرب.

وهم يعملون مع الدولة في الأغلب بعكس اللبنانيين الذين يعملون في ميدان الأعمال الحرة.

الطائفة الثالثة، الموريتانيون: هؤلاء موجودون في العاصمة وفي القرى والأرياف خارجها وهم في خارج العاصمة أكثر منهم في داخلها، وكلهم تجار إلا أن تجارتهم صغيرة أو متوسطة، ومنهم أفراد يعملون في الدولة مثل الأستاذ

(يعقوب ولد داداه) المستشار في وزارة التربية والتعليم.

**السفارات العربية:**

والحديث عن العرب في القابون يجر إلى الحديث حول التمثيل السياسي العربي في القابون، والحقيقة أن عدد السفارات العربية والتمثيل السياسي على وجه العموم هنا لا يتفق مع ما للقابون من روابط ثقافية وتعاطفية مع الدول العربية الإسلامية.

وكان القياس يقتضي أن يكون ذلك أوسع وأشمل.

إذ لا يوجد في الوقت الحاضر في ليبرفيل إلا سفارات المغرب وموريتانيا ومصر والعراق ولبنان، وقد سبق أن أبعد السفير الليبي وأقفلت السفارة هنا بتهمة تدخله في الشؤون الداخلية للبلاد كما قيل.

**عدد الذين أسلموا اليوم:**

قلنا إنه لا يكاد يمر يوم من أيام الجمع إلا ويعلن فيه عدد من الناس دخولهم في الدين الإسلامي، ويتم هذا عادة في المساجد بعد صلاة الجمعة لكي يكون هذا أدعى للإعلان عن إسلام المسلم، ولكي يسارع أهل الخير ممن يشهدون الصلاة بالتبرع لمن يسلم بشيء عاجل من التبرع لأن إسلامه يتسبب في الغالب في قطع الصلات التي تكون بينه وبين أقاربه غير المسلمين، أو على الأقل يحتاج المسلم الجديد إلى ملابس جديدة ليصلي فيها الجمعة ونحو ذلك.

وقد بلغ عدد المسلمين الذين أسلموا اليوم في الجامع الأول في ليبرفيل اثني عشر شخصاً وكلهم من الشباب، وهذا أمر مفرح لأن الشاب أقوى على العمل ولأنه سيكون أسرة تصبح مسلمة كلها ويزيد عدد المسلمين بذلك.

ولكن الأهم في الأمر أن يجدوا من يحتضنهم بعد إسلامهم ويبصرهم بأمور دينهم، ويساعدهم على شؤون الحياة الإسلامية الجديدة.

وهذا مع الأسف الشديد يكاد يكون مفقوداً في هذه البلاد، والأمل أن يتغير الوضع عندما تتقلد إدارة مكتب رابطة العالم الإسلامي في ليبرفيل شخصية جديدة عاملة، فتكون واسطة ما بين الرابطة والمسلمين في هذه البلاد.

وقد أخبرني القنصل الفخري لمالي الأخ (بكري جاوارا) وغيره من المسلمين أنه منذ أربعين جمعة لا يذكر أنهم خرجوا من المسجد من دون أن يشهدوا إسلام أعداد جديدة من المواطنين.

قال: وهذا بخلاف الذين يسلمون في بيوت المسلمين أو على أيدي زعمائهم، أو أئمة المساجد، وقال لي إخوة من المسلمين: إنه نتيجة لإسلام الرئيس وغيره من كبار الموظفين فإن التحية الإسلامية (السلام عليكم) قد أصبحت شائعة الآن حتى عند غير المسلمين من الوثنيين والمسيحيين.

ومن الطريف ما أخبرونا به من أن بعض المسيحيين والوثنيين يأتون إلى المسجد الجامع يوم الجمعة، ويقولون: في سبيل الله، وهم يسألون ويشحذون لعلمهم أن المسلمين كرماء وأنهم يتصدقون على الفقراء الذين يحضرون للمسجد.

وكان الوزير محمد موابا قد قال لي: الناس يدخلون في الإسلام كل يوم ولكن لا تعليم.

وزل لسانه مرة فقال: لقد وعدتنا الجهة الإسلامية الفلانية أن تبني لنا مساجد، ولم تفعل.

فقلت له: إن بناء المساجد يحتاج إلى إعداد ودراسات ومخططات، وربما كان هذا من أسباب تأخير البناء، والتأخير لا يعني إغفال الموضوع.

وقال الوزير: إن الرئيس عمر بنقو يعتني برفع مستوى الأقلية المسلمة، ويتبرع لذلك من جيبه الخاص، لا من الدولة، لأن الدولة علمانية إذا أعطى المسلمين من مالها طالبه النصارى بمثل ذلك.

وقال أكثر من واحد من إخواننا: إنه من العجيب أن المسلمين الجدد إذا اعتنقوا الإسلام يذهبون إلى القرى والأرياف يدعون قومهم إلى الدخول فيه.

وذكروا أنهم يحاربون المسلمين غير الملتزمين كالذين يتركون الصلاة، أو يذهبون إلى محلات الفحش، ونساؤهم يتسترن ويهجرن الرقص والخمر، حتى بعض العادات الاجتماعية، ومن ذلك أنهم لا يذهبون إلى الأقارب غير المسلمين عند موت أحد منهم لئلا يفعلوا مثل فعلهم.

ومما يجدر ذكره أن الوثنيين أو لنقل: البدائيين كثير في البلاد، وحتى المسيحيين منهم فإن عددهم كثير إذا كان المراد بذلك المسيحيين بالاسم، لكن أكثرهم هم مسيحيون بالاسم والمظهر، ولم يتغلغل الاعتقاد بالمسيحية في نفوسهم، لذلك يدخلون في الإسلام بكثرة.

وقد اعتنقوا المسيحية مع دخول فرنسا واستعمارها للبلاد، وقال أحد زعمائهم لي من باب التظرف: إن فرنسا أخذت آباء هؤلاء بالملح الذي هو من أنفس البضائع لديهم، ثم أخذوا أبناءهم إلى مدارسهم فعلموهم المسيحية.

**مسجد الرئاسة:**

ويسمى مسجد الرئاسة لكونه قريباً من رئاسة الجمهورية، وفيه يصلي الرئيس عمر بنقو، وهو مفتوح للجميع للصلاة.

وقد بني على الطراز الأندلسي المغربي الجميل، بنته المملكة المغربية وقدمته هدية إسلامية للمسلمين في هذه البلاد.

وطراز بنائه أندلسي بديع بالأقواس التي تركب الأعمدة وتحمل الأروقة

المزينة بنقوش جصية أندلسية رائعة، وبمحرابه الفريد في هذه المنطقة من حيث الصنعة والذوق الرفيع.



**مسجد الرئاسة أو المسجد المغربي في ليبرفيل**

وقد استقبلنا عند باب المسجد مؤذن المسجد وهو مغربي أصله من الصحراء الغربية، ومقيم في الدار البيضاء قبل أن يكون في القابون واسمه (الزمري المدني).

سألته وهو يفتح الباب عن المغاربة الموجودين هنا، فقال وهو يشير إلى قصر الرئاسة القريب من المسجد: إن حرس القصر هم من المغاربة.

والواقع أن وجود هذا المسجد الذي بنته المملكة المغربية وقدمته هدية للمسلمين من شعب القابون مثل وجود المسجد الكبير الذي بنته المملكة العربية السعودية في (نواكشوط) عاصمة موريتانيا وقدمته هدية للإخوة المسلمين في موريتانيا قبل أسبوع تقريباً، وهو خير مظهر من مظاهر التعاون على البر والتقوى، وهو الشاهد الخالد على الأخوة الإسلامية الخالصة الباقية

على مدى السنين.

وقد أعجبتني (صومعة) هذا المسجد وهي المنارة الأندلسية المربعة الجميلة المتناسقة، ولولا أن الوقت ليل ولا تستطيع المصورة التي أحملها أن تلتقط صورتها لكانت جديرة بالتصوير في هذا المكان.



**مع الأخ بكري جاورا أمام منبر المسجد الغربي أو مسجد الرئاسة في ليبرفيل**

**محمد عايشة ومحمد خديجة:**

مررنا ببيت صديقنا الأخ بكري جاوارا، فرأينا طائفة من الناس أكثرهم من أهل بلاده مالي موجودين في البيت على عادة وجهاء القوم في مالي والسنغال من الاجتماع في بيت الوجيه أو الثري، وبعضهم يظلون في البيت

أوقات الطعام وبعضهم جاء للزيارة.

وقد أدخلنا مجلساً خاصاً في بيته جاء إلينا فيه طفل صغير سألت الأخ بكري عن اسمه ؟ فقال: محمد. فقلت له: ألم أكن سمعت منك أمس بأن ولدك الذي أكبر من هذا اسمه محمد ؟

فقال: بلى، فقلت: إذاً لك ابنان كل واحد منهما اسمه محمد ؟ فقال: بل لي ثلاثة أبناء كل واحد منهم اسمه محمد.

فسألته، لماذا ؟ فأجاب: لأن الزوجات تريد كل واحدة منهن أن يكون لها ابن مني اسمه محمد، وأنا لي ثلاث زوجات ! فسألته ؛ وكيف تميز بين هؤلاء الأبناء مادامت أسماؤهم متشابهة ؟ فقال: نميزهم باسم الأم فنقول لأحدهم (محمد عائشة) لأن أمه اسمها عائشة، ونقول للآخر (محمد خديجة) لأن اسم أمه خديجة، وهكذا لا يكون هناك اشتباه.

## يوم السبت ١٤٠٤/٢/٢٢ هـ

**إلى كب:**

كلمة (كب): تعني بالفرنسية معنى كلمة (كيب) بالإنكليزية التي معناها الرأس من اليابسة الداخل في البحر.



**شاطئ البحر عند ليبرفيل**

وهي هنا يراد بها مكان على شاطئ البحر يسمى بهذا الاسم قد جعلوه معلماً سياحياً يزوره الضيوف والسياح، ليس ذلك من أجله هو فقط، وإنما من أجل أنه واقع في منطقة غابات استوائية كثيفة، كما أن الطريق إليه يمر بغابات كثيفة.

واذكر أن ابني (خالد) عندما ذهب مع الوفد السعودي في اجتماع وزراء المالية للدول المصدرة للنفط ذكر لي أن زيارة هذا المكان كانت في البرنامج الذي رتبته حكومة القابون.

ويقع شمالاً من العاصمة (ليبرفيل) على بعد يزيد قليلاً عن الثلاثين كيلاً.

انطلقنا إليه ومعنا الأخ بكري جوارا فسلك بنا السائق طريقاً على ساحل البحر جميلاً، ومررنا بفندق كبير هو فندق (أنتر كونتننتال) وهو الفندق الذي أنزلتنا فيه حكومة القابون عندما زرت القابون لأول مرة، وهي آخر مرة قبل هذه الزيارة، وكانت في عام ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م وذلك للاشتراك في حضور حفلة إعلان الرئيس (بنقو) دخوله في الإسلام، وكنت رئيس الوفد السعودي في هذا الاحتفال، وكان من أعضائه الشيخ محمد محمود الصواف من رابطة العالم الإسلامي.

وليس هذا موضع الحديث عن تلك المناسبة الكريمة، وإنما موضعها كتاب: "**ذكريات من أركان العالم**" الذين لا يزال مخطوطاً.



**حي في ليبرفيل مشرف على البحر**

وفي ذلك التاريخ لم تكن دار الضيافة الحالية موجودة، ومع ذلك فإن

حكومة القابون لا تزال تنزل ضيوفها في هذا الفندق إذا كانوا على درجة معينة، ومنهم على سبيل المثال ابني خالد الذي ذكرت أنه سافر في الوفد السعودي إلى مؤتمر وزراء مالية الدول المصدرة للنفط (أوبك). فقد أنزلوهم فيه في العام الماضي وهو فندق غالٍ في كل شيء.

**حي لالالا:**

واخترقنا حياً اسمه كما كتب عليه (لالالا) بثلاث لاءات غير سياسية. أخبرونا أن في هذا الحي سوقاً واسعة تباع فيها الخضرات واللحوم ومن بينها لحم القرد.

وعندما تجاوزناه وجدنا بوابة توقف السيارة التي تخرج منه إلا إذا دفع سائقها ثلثمائة فرنك إفريقي (حوالي ثلاثة ريالات سعودية) رسماً لاستعماله الطريق الريفي الذي يعبره.

ووقفنا بعده في منطقة غابات ليس فيها ما له ثمر إلا قليل، وأكثرها من أشجار الأخشاب.

ثم في منطقة مرتفعة أكثر ما فيها من الأشجار النافعة أشجار نخيل الزيت وقليل من أشجار النارجيل، وهما شجرتان إن لم نسارع فنقول إنهما نخلتان من أشجار البلاد الاستوائية إذا رآهما على البعد من يكون مثلي في صباه قد ألف رؤية النخيل نخيل التمر، فإنه يتذكر النخيل، وتمرها الأصيل، وإن كان الأمر في ذلك على حد قول الشاعر:

**وقد تلتقي الأسماء في الناس والكنى كثيراً ولكن لا تلاقي الخلائق**

والخلائق هنا: الصفات.

فنخلتنا المباركة التي ورد في الحديث الصحيح أنها شجرة لا يسقط

ورقها، وأنها مثل المؤمن. وورد في حديث موضوع أي مكذوب: (أكرموا عمتكم النخلة) تطلع تمراً - بالتاء المثناة - هو غذاء من الأغذية، وفاكهة من الفاكهة. وأما هذه النخيل الاستوائية فإنه تطلع ثمراً - بالثاء المثلثة - هو أدم إذا نضج، ولكنه لا يغني من جوع، وإن كان يسمن كما تفعل سائر الزيوت.

### في منطقة الغابات الكثيفة:

وصل بنا الطريق إلى منطقة غابات كثيفة مظلمة، وقد زادها إظلاماً أن الجو كان غائماً بل كان يركبه فوقها سحاب مظلم، ما أسرع أن بدأ يجود هذه الغابة بمطر متواصل اضطرنا في بعض الأحيان أن نقف، واضطرت السيارات إلى أن تشعل مصابيحها كي تتنبه لها السيارات القادمة من بعيد.



**منطقة الغابات على شاطئ البحر قرب ليبرفيل**

ووجود الغابات في هذه البلاد الاستوائية ليس بغريب، بل هو المعتاد

المعروف، وفي هذه البلاد بالذات يعتبر وجود الغابات الكثيفة والمستنقعات هو المعروف من طبيعتها، إذْ كانت قبل الاستعمار غابات كثيفة تغذيها مستنقعات كثيرة تعيش فيها ذبابة (تسي تسي) الكبيرة الخطرة التي تنقل مرض النوم المميت، وتقتل الإنسان والماشية النافعة.

ولذلك كان عدد السكان فيها قليلاً في الماضي، ولا يزال أثر ذلك موجوداً حتى الآن.

وقد أبقوا على هذه المنطقة من الغابات الكثيفة عذراء أو شبه عذراء لم يمسوها بتهذيب ولا بتشذيب، حتى يشاهدها الناس وهي كذلك فكأنهم قد شاهدوها قبل أن يمس الإنسان الغابات العذارى بالعمارة أو بالخراب.

وقد ساعد على بقائها كذلك كونها تقع في منطقة استوائية ذات تلال مجاورة لساحل البحر المحيط الغربي كما كان أسلافنا العرب يسمون ما عرفوه منه أو (**بحر الظلمات**) كما كان الأقدمون منهم يسمونه، وهي ذات أمطار كثيفة على مدار السنة.

وقال لنا الأخ (بكري جاوارا) إن أكثر أرض (القابون) هي مثل هذه الغابات إلا ما تصرف فيه الإنسان فأخرجه عن طبيعته المعتادة بالقطع أو بالاستصلاح للزرع.

وهذه الغابات تكون في العادة خالية من السكان، لأن أشجارها العالية تكون مشفوعة بأشجار أخرى أقصر منها، وهذه تنمو تحتها أشجار أصغر وحشائش برية، وإنما يوجد السكان في أطراف الغابة أو في أماكن قد قطعت أشجارها الكبيرة، وأعدت للسكنى فيها إعداداً.

ووجود هذه الغابات الكثيفة في القابون هو الذي جعل منها دولة مصدرة للأخشاب، كما جعلها وجود النفط فيها دولة مصدرة للنفط، وإن يكن ذلك بمقادير غير وفيرة.

وقد مررنا بفرقة من العمال قد انكمش أفرادها على أنفسهم بسبب المطر، وعلمنا أن مهمتهم أن يكافحوا أغصان هذه الأشجار الكثيفة التي يغلبهاالفضول فتمتد لتغلق الطريق الإسفلتي الذي لم يكن ضيقاً ولكن أذرع الأشجار طويلة

وقد رأيناهم عند العودة وبعد أن توقف المطر يعملون في هذه الأغصان أو الأذرع الطويلة قطعاً ...

**قرية كب:**

هذه مثل غيرها من المنطقة، ذات أشجار استوائية كثيفة، إلا أنهم قطعوا أشجارها ولم يبقوا إلا أشجاراً باسقة متباعدة، وغرسوا بدلاً من ذلك أشجاراً مثمرة كالنارجيل والعمبة (المانجو)، وقد رأيت أشجار العمبة وتحتها ثمارها قد سقط ولم أر من جمعه، أو من يسعى في ذلك رغم وجود العمال وبعض الأهالي في هذه القرية الصغيرة من أهل البلاد الذين يسميهم الأوروبيون الزنوج أو البانتو، وهم السود بل الشديدو السواد الذين تقع بلادهم تحت خط الاستواء في هذه القارة الإفريقية.

ولا شك في أن أهل القابون لو أكثروا من غرس الأشجار المثمرة التي تنمو عندهم من دون تعب، كالنارجيل ونخيل الزيت والعمبة لكان ذلك أنفع لهم، ولكن هذه الأشجار المثمرة تحتاج إلى عناية ورعاية ثم تحتاج إلى عناية بثمرها أو طلعها، وهم قد اعتادوا على أشجار هذه الغابات التي لا تحتاج منهم إلى غرس ثم لا تحتاج منهم إلى عناية ولا رعاية، فهي تشرب من (ضرع السماء) كما قال أحد الظرفاء في مثلها، وهي لا تحتاج حتى إلى سماد ولا تحتاج أرضها إلى إخصاب، لأن الغابة تعيد تسميد نفسها بما تسقطه من أوراقها التي تتعفن من كثرة الأمطار فتصبح سماداً مغذياً للأشجار

**كنكا:**

قد يكون اسم (كب) غريباً على قراء العربية وهو اسم هذا الموضع، ولكن اسم المقصف المؤلف من مطعم ومقهاة وحانة فيه هو غريب بلا شك على قراء العربية والعجمية وهو (كنكا).

ولكن ما دام أن السياح يبحثون من بين ما يبحثون عنه عن الغرابة في أكثر نواحي الأشياء فليكن الاسم غريباً، ولا يهم ذلك، وإنما يهمهم المسمى.

المسمى: مكان جميل على شاطئ المحيط رطب ندي بل بالغ الرطوبة، أشجاره خضرة بل خضلة، وأشجاره العادية - بمعنى القديمة جداً وليس المعتادة - تطاول السماء، وطيوره كأشجاره، فيها طيور خضر ووجوه أهله كأشجاره خضر، إلا أن خضرتها قد تضاعفت حتى أصبحت سواداً.

وأمواج المحيط تصفع شاطئه، تكاد تلمسها بيدك وأنت في هذا المقصف، ولكنك إذ لم تستطع لمسها من مائدتك، فإنك تسمع أنين رمالها عندما يصفعها الموج وكأنها تشكو من هذا الصفع الأبدي الذي تغدو به عليها الأمواج وتروح من دون أن تكون جنت جناية أو اكتسبت إثماً، وإنما ذلك لكي يعجب الآدميون ويطربوا لهذا الصفع المتواصل، وليشنفوا آذانهم بذلك الأنين الحزين، الذي ربما كان معناه الشكوى إلى غير المشتكى.

وإذا أردت بالفعل أن تلمس الأمواج فإنه من السهل عليك أن تطلق رجليك فتخوض في الرمال التي تحاول أن تروغ بين قدميك، فتردها الأمواج إلى صوابها ذليلة مستكينة، فتمتع نفسك وحسك، وربما تنسى يومك وأمسك، فيطول مقامك هنا، أو ربما يطول مقالك إذا كنت - مثلي - من أرباب القول ولو إلى حين.

**حتى الكلب فضولي :**

ومنذ أن وقفت على هذا الشاطئ الجميل، ونسيت أو كدت أنه لم يبق من وقتي في هذه الديار إلا القليل وكلب فضولي رشيق قد وقف لي بالطريق، فمنذ أن نزلنا من السيارة قد اختصني من دون القوم الذين كانوا كلهم من الإفريقيين، فأخذ يتدلل ويتذلل يبصبص بذنبه، ويقبل ثيابي وما تصل إليه شفتاه، ثم ينظر إليّ وأنا الشيخ الكبير - في السن طبعاً - كما تنظر الغادة إلى الشاب الطرير.

ولقد نهيته بلطف فلم ينته، وأوعزت إليه برفق أن لا يخصني من بين رفاقي بهذا اللطف أو الاستلطاف، فما طاف بواحد منهم.

والظاهر أنه رأى فيَّ وأنا الغريب في اللون عنهم لون صاحب له قديم أو صاحبة له كان يهيم بها، أو تهيم به - من يدري - .



**الكلب الفضولي في المنتزه على شاطئ البحر قرب ليبرفيل**

ولكنه على أية حال قد كان لطيفاً حتى في فضوله، وكان في رشاقته بل في نحوله ما يدل على أنه ليس شرهاً على الطعام، وإنما كان يطمع في عطف من هام في حبه.

وبحثت عن طعام أشتريه لأقدمه إليه كفاء وفائه لبني الإنسان، ولكنني لم أجد فقنع مني بالابتسامة والإيماءة، وأبى أن يفارقني حتى فارقت المكان.

وأذكر أننا عندما أردنا أن نلتقط صورة تذكارية لهذه النزهة (القابونية) أبى إلا أن يشارك في الظهور في الصورة، فكان له ما أراد، وما أرخصها من ثمن لما بذله من وداد.

ولم يكن الزوار من الكثرة بما كنا نظنه، وذلك لأن اليوم – وهو السبت - لا يكثر الزوار من التسيار في أوله، وإنما يكون ذلك في آخر النهار.

# أحوال القابون

أزف موعد مغادرة القابون، وحان موعد تقديم بعض المعلومات العامة والمعلومات الخاصة بالوضع الإسلامي فيه، وأكثرها مستوفى من مكتب رابطة العالم الإسلامي في القابون.

## تعريف سريع بالقابون:

يقع هذا البلد في قلب إفريقيا الوسطى، ويحده من الشمال دولتا الكامرون وغينيا الاستوائية، ومن الجنوب والشرق دولة الكونقو، ومن الغرب المحيط الأطلسي على امتداد ساحل يبلغ طوله ٨٠٠ كم.

وتغطي الغابة الاستوائية (يمر خط الاستواء بوسط القابون حيث يبعد أقل من مائة كيلو متراً من ليبرفيل العاصمة) ثلاثة أرباع مساحة البلد الإجمالية، والتي تصل إلى مائتين وسبعة وستين ألف كم٢.

يصل عدد سكان القابون - حسب آخر التقديرات - إلى ما يقارب مليوني نسمة، أي أن كثافته السكانية تقدر بـ (٥,٠٥) سكان في الكم٢ الواحد.

وقد وصل الملاحون البرتغاليون لأول مرة شواطئ القابون عام ١٤٨٤ م، وترتب على ذلك فتح الطريق لتجارة العبيد الذين يذهب بهم بائعوهم إلى أمريكا.

وكان الاسترقاق من الكثرة بحيث أدى إلى هدم البنية الاجتماعية والاقتصادية التقليدية في القابون وفي غيره من المناطق الاستوائية الغربية من إفريقيا.

ثم جاء الاستعمار الفرنسي الذي كان يستعمر بلداناً مسلمة في إفريقيا الغربية، ففتح القابون على بلدان إفريقية الغربية المسلمة، مما نشط صلة القابون بالإسلام والمسلمين، مع أن النشاط التنصيري ظل كثيفاً جداً في التعليم والتنظيم الاجتماعي وغير ذلك، وكله بإرادة وتشجيع السلطات

الاستعمارية.

وقد ظلت الأمور هكذا في هذه المرحلة حتى جاء الاستقلال الذي لم يتغير فيه الوضع عما كان عليه في زمن الاستعمار من هذه الناحية، إلى أن حدث أمر مهم جداً وهو إسلام الرئيس عمر بنقو، فأسلم في عام ١٣٧٣ هـ، ١٩٧٣ م.

وكان للمؤلف شرف رئاسة الوفد الرسمي الذي حضر إسلامه من المملكة العربية السعودية، وكان معي وفد ضم في عضويته الشيخ محمد الصواف والشيخ رحمة ولد بابا من موريتانيا، وقد حضرنا بتنظيم من رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة، وكنت آنذاك أعمل في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة.

وقد لقناه الشهادتين نحن والشيخ محمود صبحي رئيس جمعية الدعوة الإسلامية في ليبيا سابقاً، وأسميناه (عمر) بناء على رغبته إذْ جلس معنا نحن الوفد السعودي جلسة خاصة في قصره، وطلب أن نختار له اسماً إسلامياً، فاستعرضنا عدة أسماء، وافق منها على (عمر) أن يكون اسماً له بعد إسلامه.

وقد كان إسلامه انطلاقة جديدة للإسلام في القابون، حيث اعتنق آلاف من المواطنين الدين الإسلامي الحنيف في مكتب الرابطة، منذ أن فتح المكتب في عام ١٩٧٤ م، ولا يزال الإقبال على الدخول إلى الإسلام مستمراً ولله الحمد.

ويوجد في ليبرفيل الآن ١٥ مسجداً ما بين كبير وصغير، تكلمت على بعضها في اليوميات، كما توجد مدارس إسلامية عدة على هيئة كتاتيب في عديد من أحياء العاصمة.

## جهود المملكة العربية السعودية في القابون:

نتكلم هنا على الجهود المتعلقة بالنشاط الإسلامي المتمثل بالتعاون على

البر والتقوى، والتعاون من جانب المملكة العربية السعودية في هذا المجال هو العطاء والبذل، تحقيقاً لسياسة التضامن الإسلامي التي تسير عليها بلادنا، وتتلخص في توثيق العلاقات الإسلامية مع الإخوة المسلمين في أنحاء العالم من دون التدخل في شؤونهم الداخلية.

وتتمثل جهود المملكة العربية السعودية في هذا المجال في أمور كثيرة نذكر منها:

**أولاً:** إقامة أربعة مراكز إسلامية يتألف كل مركز من مسجد ومدرسة ذات فصول مكيفة، وشقتين إحداهما لسكن إمام المسجد، والثانية لإسكان المؤذن.

وقد أوشك العمل في هذه المراكز الأربعة على الانتهاء، وتقع في أربع مدن من القابون هي: فرانس فيل، ماكوكو، بورجانتيل، أويم.

ويقوم على إنشاء هذه المراكز الصندوق السعودي للتنمية، وتبلغ نفقاتها الإجمالية اثني عشر مليون دولار أمريكي، قدمت هدية من المملكة العربية السعودية إلى شعب القابون الكريم.

**ثانياً:** فتح مكتب رابطة العالم الإسلامي، ومن عمله أن يقوم بالخدمات التالية:

أ- التوعية الإسلامية.

ب- الإشراف على الدعوة إلى الله في المساجد.

ج- إفتاء وإرشاد المسلمين الذين يراجعونه لغرض الإفتاء والسؤال عن أمور الدين.

د- بث برنامج أسبوعي ديني بالإذاعة والتلفزة.

٥- توثيق إسلام من يدخلون حديثاً في الإسلام، بإصدار الأوراق الرسمية اللازمة لذلك، وقد تم تغيير مدير المكتب ودعمه بالإمكانات اللازمة.

ومن المعلوم أن رابطة العالم الإسلامي منظمة شعبية عالمية تقوم في المملكة العربية السعودية، وهي جهة واحدة من عدة جهات تقدم الخدمات الإسلامية للإخوة المسلمين كوزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد، والندوة العالمية للشباب الإسلامي؛ إضافة إلى جمعيات أهلية سعودية.

**ثالثاً:** إرسال الدعاة والمرشدين للتعاقد معهم وتفريغهم للإرشاد والتوجيه في القابون، وأكثر هؤلاء ينتمون لدول إفريقية مسلمة ممن يتكلمون الفرنسية.

ويقوم هؤلاء الدعاة بالتدريس وإمامة المساجد والإفتاء في الأمور الإسلامية العامة، كما يشرفون على إسلام المسلمين الجدد.

**رابعاً:** تقديم المساعدات للمشروعات الإسلامية الصغيرة، التي يقوم بها الإخوة المسلمون في البلاد، مثل بناء المساجد وفتح المدارس الإسلامية، وغالباً ما تكون هذه المشروعات مقامة من المواد المحلية، ولكنها تحتاج إلى مساعدة لأن القائمين عليها ليسوا من القادرين مالياً على ذلك.

**خامساً:** تقديم عدد من المنح الدراسية لأبناء المسلمين القابونيين في جامعات المملكة العربية السعودية، كالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، وتوفر المنح للطلاب للدراسة الإسلامية العربية، مع توفير المسكن، وإعطائهم مخصصاً شهرياً من المال.

**سادساً:** إرسال ترجمة معاني القرآن الكريم باللغة الفرنسية والكتب الدينية الأخرى باللغات المقروءة في البلاد.

إلى غير ذلك من الأعمال الإسلامية التي تقدمها المملكة للإخوة المسلمين في القابون، مثلما تقدمها لغيرهم من المسلمين.

## الحالة الاقتصادية:

ليس هذا الكتاب كتاب دراسة وإحصاءات وإنما هو كتاب رحلة ومشاهدات، ومع ذلك آثرت أن أشير فيه بصفة مختصرة جداً إلى بعض الأمور المتعلقة بهذه البلاد، وإن كنت ذكرت في ثنايا اليوميات أحاديث متعلقة بهذه الأمور وغيرها.

تتوافر لدى القابون إمكانات اقتصادية جيدة، لأن لديه معادن عديدة منها: النفط، فهو من الدول المصدرة للنفط، وإن كان ذلك بمقادير غير كبيرة، كما تضم أراضيه معادن عديدة منها: اليورانيوم، والمنغنيز على سبيل المثال.

ولديه إمكانات زراعية ضخمة، لأن أراضيه صالحة في معظمها، إما للزراعة الحقلية، أو لأشجار الغابات التي تغطي معظم تلك الأراضي، ويصدر القابون مقادير جيدة من الأخشاب.

وأما الزراعة فإن الأراضي مهملة، إذ اعتاد الأهالي على الزراعة على الأمطار الغزيرة المنتظمة في سقوطها، وهي تسقط بمعدلات عالية، حتى إن معدل الأمطار السنوي يبلغ ثلاثة أمتار ونصف.

ومع ذلك نجد أن الخضرات والبقول بل والفاكهة غالية فيه، وبعضها يستورد بالطائرات وأسعارها على وجه الإجمال أغلى مما هو في البلدان الصحراوية كبلادنا السعودية.

وهناك ثروة معدنية هائلة لم يبدأ بعد استغلالها (الحديد في مناجم "بيليندا": كميات تقدر بمليار طن؛ الذهب؛ الماس، إلخ ...)

يستنتج مما سبق أن القابون تعتبر واحدة من أثرى الدول الإفريقية (الدخل الفردي الثالث في القارة بعد ليبيا ودولة جنوب إفريقيا).

إلا أن القابون، شأنها في ذلك شأن الدول المنتجة للبترول الأخرى، قد تأثرت تأثراً عميقاً بانخفاض سعر النفط وانخفاض قيمة الدولار الأمريكي في الوقت نفسه، هذا بالإضافة إلى الأزمة العامة التي تجتازها حالياً معظم الدول الإفريقية.

## الحالة السياسية والاجتماعية:

عاش البلد حالة استقرار سياسي مستمر منذ تولي الرئيس بنقو الحكم عام ١٩٦٧ م، ونتيجة لهذا الاستقرار أنجز الكثير من المشاريع التنموية الرئيسية وحقق الكثير من الرخاء النسبي لمواطنيه.

وبعد دخول القابون في دائرة الأزمة الاقتصادية وإخضاعه لبرامج صندوق النقد الدولي (تقلص الاقتصاد ؛ النقص من عدد موظفي الدولة، ومن المساعدات التي تقدمها ...) كانت هنالك تخوفات من احتمال تأثيرات سلبية على الصعيدين الاجتماعي والسياسي.

والواقع أن هذه التأثيرات لم تحصل بدرجة ملحوظة، وبالتالي يرى المراقبون أن استقرار البلد لا يتعرض لتهديدات جذرية، وأن وحدته الوطنية وبنيته الاجتماعية قد أبرزتا بالمناسبة صلابتهما مما يؤدي للتفاؤل.

## القابون: مكانته الإقليمية والقارية ووزنه على المستوى العالمي

يعتبر القابون - بسبب موقعه المهم وثرائه النسبي واستقراره السياسي - دولة ذات نفوذ واسع على مستوى منطقتها وقارتها، فليبرفيل تعتبر عاصمة دبلوماسية نشطة، والرئيس بنقو يعتبر واحداً من أقدم أنداده في مهام الرئاسة، الأمر الذي أكسبه مكانة مميزة على الصعيدين الإقليمي والقاري، وتتجلى

هذه المكانة في مبادرات أساسية على مستوى الإقليم والقارة، وفي الدور الأساسي الذي يقوم به الرئيس بنقو في تكوين التكتلات الإفريقية، وفي حل النزاعات القائمة بين الدول المجاورة للقابون.

فالقابون هو صاحب المبادرة بإنشاء مركز حضارات البانتو العالمي "CICIBA" (٢٣ دولة)، وتأسيس المنظمة الاقتصادية لدول إفريقيا الوسطى "CEAC_" (١١ دولة)، ويوجد مقر هاتين المنظمتين في ليبرفيل.

كما أن الرئيس بنقو يرأس لجنة منظمة الوحدة الإفريقية الخاصة بحل النزاع حول الحدود القائم بين تشاد وليبيا ويقوم الرئيس بنقو في الوقت الراهن بدور أساسي في تطورات دول جنوب القارة حالياً (استقلال ناميبيا ؛ الصلح بين حكومة أنقولا ومعارضتها المسلحة (UNITA) إلخ ...

يضاف إلى ما سبق عدالة ووضوح مواقف القابون من القضايا الإسلامية والعربية، ومن ذلك وجود سفارة فلسطينية في ليبرفيل ؛ والعلاقات الممتازة القائمة بينه وبين الدول الإسلامية المعتدلة، وعلى رأسها المملكة العربية السعودية.

يتجلى من كل ما سبق أن القابون صالحة لأن تكون قاعدة لانتشار الدين الإسلامي في جزء شاسع من القارة الإفريقية وجنوبها، وأن سلطات هذا البلد لديها استعداد جيد لتشجيع الدعوة الإسلامية خاصة إذا عرفت الهيئات والدول الإسلامية حقيقة وضع القابون، وكيفية استغلال هذا الوضع على الوجه المطلوب.

وعلى أية حال فإن إسلام الرئيس بونقو قد أوجد فرصة ذهبية لنشر الدين الحنيف في مناطق من القارة كادت تكون مسدودة أمام الدعوة لمدة طويلة، مثل أنقولا، وهذه الفرصة لا تزال قائمة لا يجوز التفريط فيها ولا التهاون في اغتنامها.

وإذا حصل هذا الاغتنام على الوجه المطلوب، فإنه سيمكن من وضع تأثير القابون، وتسخير دورها الإقليمي في خدمة نشر الإسلام ورفع مكانة المسلمين بإذن الله.

## النتائج المباشرة وغير المباشرة

١- تزايدت أعداد المسلمين في القابون بصفة مستمرة خلال السنوات الماضية، ولا يزال الإقبال على ملتنا السمحاء يكوّن ظاهرة متميزة من ظواهر تطور المجتمع القابوني.

إلا أن الأوضاع العالمية الراهنة، والدعاية الدائرة ضد الإسلام والمسلمين أثرت على حركة انتشار الإسلام في القابون، وعلى حجم الإقبال عليه، وهذه الحقيقة تقتضي الانتباه والبذل والاستقصاء.

٢)- تحسن نوعية المسلمين بفهم أكبر لحقائق الإسلام ومعانيه، ووجود مستوى أفضل من الوعي بين المسلمين، حيث أصبح الإسلام حقيقة ثابتة من حقائق المجتمع القابوني، وهذه الظاهرة الإيجابية تعتبر جديدة وتستحق كل التشجيع.

٣)- وصل عدد المساجد في القابون إلى سبعين (٧٠) مسجداً، موزّعة على المدن والقرى القابونية تقريباً. ولم يكن عدد هذه المساجد يتجاوز العشرة قبل سنوات قليلة جداً.

وهناك حاجة ماسة إلى مساجد إضافية، وإلى مساعدة أهل المساجد القائمة على توسيعها وجعلها قواعد لنشر الإسلام الصحيح.

٤)- وصل عدد المدارس الإسلامية إلى (١٥) من المدارس والكتاتيب، ثمانٍ منها في ليبرفيل العاصمة، وسبع في داخل البلاد، ولم يكن هناك قبل سنوات سوى مدرستين أو ثلاث مدارس صغيرة.

وتحتاج هذه المدارس إلى العناية وإلى شتى أنواع المساعدة، كما تحتاج إلى التوجيه والمتابعة، وهناك بطبيعة الحال علاقة كبيرة بين تقديم المساعدة والتمكن من التأثير.

## الوضع الراهن في القابون

يعيش القابون كباقي البلدان الإفريقية مرحلة حاسمة من تطوره السياسي والاجتماعي، حيث تنتابه موجة التعددية، ويتعرض منذ ثلاث سنوات للاضطرابات السياسية والاقتصادية المترتبة عليها.

وما نريد الإشارة له الآن هو التالي:

١)- برزت قيادات سياسية (في المعارضة) معادية للإسلام، تقرن ظاهرة انتشاره بوجود الرئيس بنقو وتحلم بإزالة ذلك معه.

٢)- أحدث التكتل على أسس القبلية والجهوية تخلخلاً ملموساً في قواعد المجتمع السابقة، وتأثر انتشار الإسلام، في جو الحيرة والتساؤل القائم حالياً بهذه الوضعية.

٣)- صاحبت أزمة اقتصادية حادة الأزمة السياسية (تقاعس نسبي للاستثمارات الغربية وغيرها)، وذلك في القابون وفي معظم الدول الإفريقية الأخرى، الأمر الذي أثر كثيراً في البنية الاجتماعية والاقتصادية.

٤)- يهيئ جو التعددية انفتاحاً أكبر على العاملين في الدعوة (معرفة وكسب أصحاب الرأي والنفوذ ...) وتحديد طرق التعامل معهم سلبياً أو إيجابياً.

أما فيما يخص القابون، فإننا نؤكد على أهمية دعم التقدم الإسلامي فيه بصفة ملموسة، وذلك للأسباب التالية:

- أهمية البلد الذي يتمتع بمساحة متوسطة (٢٦٧٠٠٠) كم٢ ويملك ثروات طبيعية لا يستهان بها (بترول، يورانيوم) تكسبه ثراء نسبياً يجعله هدف هجرة، وبلداً مؤثراً في منطقته وفي القارة، لموقعه الإستراتيجي في قلب القارة الإفريقية ...

- كونه البلد الوحيد في منطقة إفريقيا الوسطى الذي يرأسه رئيس مسلم وينتمي إلى المؤتمر الإسلامي.

- كون الرئيس بنقو (في حالة إعادة انتخابه سيصبح العميد الفعلي لرؤساء إفريقيا مما سيزيد من تأثيره ويجعل بلده صالحاً لأن يكون قاعدة للعمل الإسلامي في منطقة إفريقيا الوسطى وجنوب القارة.

من أجل ما سبق نشير بالتركيز على هذا البلد خاصة وأنه على استعداد كامل لجعل علاقاته مع المملكة العربية السعودية تكتسب صبغة خاصة.

ومن هذا التركيز، يعتبر تنشيط المجهود المالي والاستثماري الإسلامي أحد المحاور المهمة، كما ينبغي تشجيع الوجود العربي على ساحة التمويل والاستثمار في القابون، وفي إفريقيا لما سوف يترتب على ذلك من أسباب التأثير الإيجابي في الوضع الإسلامي.

## الحالة الدينية في القابون وفي منطقته:

كانت تسود في القابون وفي دول منطقته الأخرى ديانات وثنية تقليدية (ANIMISME) تعبد القوى الطبيعية باعتبارها أرواحاً إلهية وتقدس الأوائل وتلجأ لإرضاء معبوداتها، إلى بعض الطقوس من احتفالات ومواسم ورقص إلخ ...وإلى القرابين بما فيها القرابين البشرية.

وكانت هذه الديانات – من وراء تعدد معبوداتها – تؤمن بإله أعلى واحد فوق الجميع، شأنها في ذلك شأن أكثر الديانات الإفريقية التقليدية.

وحتى القرن السادس عشر الميلادي، لم تتعرض هذه الديانات التقليدية لتأثر يذكر بحضارات روحية أو ديانات أخرى، وخاصة في قلب الغابة الاستوائية العازلة (القابون والدول المجاورة لها).

قبل هذا التاريخ ظلت علاقة مسلمي الشاطئ الشرقي لإفريقية بهذه المنطقة معدومة؛ حيث لم تبتعد التيارات التجارية كثيراً عن السواحل، ولم يصل نفوذها إلى المجموعات البشرية المقيمة داخل القارة بصفة فعالة.

وبعد فترة وجيزة من محاولة التنصير الذي قام به البرتغاليون اقتصر نفوذهم على شواطئ الموزمبيق وأنقولا، وعاد سكان داخل القارة إلى ما كانوا عليه من الوثنية والعزلة؛ بل زادتهم التجربة مع البرتغال حرصاً على الانزواء وابتعاداً عن التيارات الأجنبية.

بينما فتح العهد الاستعماري الباب واسعاً أمام الإرساليات التنصيرية، وقدم لها المساعدات والتسهيلات بشتى أنواعها ... فانتشرت الكاثوليكية والبروتستانتية في القابون وفي منطقتها، متجاوبة مع الديانات التقليدية متأثرة بها أو ممتزجة معها في بعض الحالات (SYNCRETISME)

وكان تساهل الكنيسة من أهم العناصر التي أسهمت في نجاح البعثات التنصيرية، بالإضافة إلى معونة الإدارة الاستعمارية في التعليم والعمل الاجتماعي وغير ذلك.

## النشاط التنصيري:

النشاط التنصيري في القابون كثيف، ويعود تاريخ وجوده بكثافة إلى أكثر من قرن ونصف.

ويهتم التنصير هنا في الدرجة الأولى بالتعليم، حيث يوجد الآن في مدارس المنصرين ١٤٠,٠٠٠ تلميذاً.

كما يهتم بالمجال الصحي والمجال الاجتماعي، وتتبعه أملاك من عقارات وأراضٍ، وغيرها من ممتلكات مزدهرة تدرّ ريعاً وافراً، ويستفيد المنصرون من عمق التأثير الفرنسي في القابون سياسياً واقتصادياً.

هذا وقد اتصف القابون وباقي دول المنطقة الغابية الاستوائية (الكونقو، زائير...) بالعزلة السياسية والثقافية نتيجة لصعوبة الظروف الطبيعية (كثافة الغابة، التفتت القبلي، انتشار الملاريا والأمراض الاستوائية الأخرى).

لذلك ظل لا يتأثر بصفة تذكر بما دار من تطورات أساسية في الجزء الشمالي والغربي من القارة، وكذلك الجزء الشرقي والشرقي الجنوبي منها.

لم تتأثر المنطقة الاستوائية – والجابون بالذات – بهذه التيارات والتطورات بصفة مباشرة وملموسة، واستمرت عزلتها حتى النصف الأخير من القرن الميلادي الخامس عشر، حيث وصل الملاحون البرتغاليون، ولأول مرة، إلى شواطئ (القابون، عام ١٤٨٤ م ...).

احتل البرتغاليون إمبراطورية الكنقو التي كان جزء كبير من أراضي القابون يخضع لها، وما لبثوا أن أحلوا الفوضى في ربوعها، وحولوها في أقل من نصف قرن إلى ساحة حروب قبلية وتدهور اقتصادي واجتماعي مستمر، يغذي ذلك التيار الغربي لتجارة العبيد (من إفريقيا إلى القارة الأمريكية المستهلكة في نشاطها الزراعي وفي مناجمها لكميات متزايدة من الأيدي العاملة المملوكة).

نصّر البرتغاليون شرذمة من الطبقة الاجتماعية العليا (الملك وحاشيته)، وأسسوا بعثات تنصيرية، وبنوا كنائس، ولكنهم ما لبثوا أن تجلى أن هدفهم الأول إنما هو احتكار التجارة عبر المحيط الهندي، واستغلال الخيرات، وأنهم لا يحترمون العهود التي أبرموها مع القادة الأفارقة.

لكل هذه الأسباب كانت ظاهرة التنصير في الكنقو سطحية جداً في هذه المرحلة، وما مر عليها قرن من الزمن حتى تلاشت وزالت زوالاً تاماً.

نتيجة لما سبق ازدادت هذه المناطق - بما فيها القابون - عزلة، وعاشت تدهوراً سياسياً واقتصادياً رهيباً امتد حتى عتبة القرن التاسع عشر، حيث ظهرت بعض المؤشرات لنهضة إسلامية واسعة في أكثر من منطقة إفريقية، كنهضة الشيخ عثمان دان فوديو الإصلاحية في نيجيريا الحالية ؛ وحركة الحاج عمر الفوتي في السنغال ومالي ؛ وحركة الشيخ أحمدو أحمدو في ماسينا بمالي.

والجدير بالإشارة أن هذه الحركات كانت تتجه بالدعوة إلى وسط القارة الإفريقية، وإلى غربها على وجه الخصوص: فاحتل آدم تاه (من أتباع الشيخ عثمان دان فوديو) منطقة شمال الكامرون.

- وصل المهديون إلى دولة وسط إفريقيا الحالية ومنطقة ويلي في زائير، إلخ ...

وكان من المفروض أن تصل هذه التيارات إلى المحيط الأطلسي شاملة بمنطقة نفوذها كلاً من القابون والكونقو وزائير وأنقولا، إلخ ...

إلا أن هذه التيارات التي كانت في صميمها تيارات إسلامية عاصرت التدخل الاستعماري الغربي في القارة، الذي تصدى لمقاومتها وإيقافها في كل مكان وبكل الوسائل، من التنصير إلى حرب الإبادة، مروراً بفرض حدود جديدة تقطع المناطق بعضها عن بعض، وإيجاد تيارات تجارية احتكارية تربط المستعمرات مباشرة بأوروبا على حساب الصلات القارية السابقة.

لذلك بقي القابون والدول المجاورة له في بعد عن التأثير الإسلامي المباشر، واستمرت العزلة الثقافية والحضارية لفترة طويلة.

## بعض الاقتراحات والمرئيات في مجال العمل الإسلامي:

من أجل الدفع بالعمل الإسلامي إلى الأمام، وتنميته انطلاقاً من الإمكانات والوسائل الموجودة وبأنجح اغتنام للفرص المتاحة، يمكن التعبير عن بعض الاقتراحات والمرئيات في هذا الصدد.

ونريد أن نجدد الإشارة لأن المتطلبات الرئيسية والعراقيل الأساسية التي نلمسها أو نتعرض لها في مجال الدعوة، لا تختلف في جوهرها عن تلك التي يقتضيها أو يتعرض لها العمل الإسلامي في أي بلد آخر من بلدان إفريقيا المشابهة للقابون.

والفروق التي قد يلاحظها المراقب إنما تتعلق في أكثر الحالات بالحجم والشكل، لا بالنوعية والمضمون.

وحتى يأخذ العمل الإسلامي بعين الاعتبار كل هذه المعطيات، ويصل إلى أكبر فعالية وأعلى جدوى، نرى أهمية المبادرات التالية:

### - مستوى التعليم:

لا حاجة للتذكير بأهمية هذا المجال القصوى، لذلك فإن الإرساليات التنصيرية كانت ولا تزال تعتبره المحور الأساسي لنشاطها، وتوليه أهمية خاصة.

وقد حان للعمل الإسلامي أن يطرق هذا المجال بصفة منظمة وفعالة، ويقتضي ذلك تأسيس وتسيير مدارس، تقدم لتلاميذها البرامج الوطنية المقررة في الدول التي تقام فيها، بالإضافة إلى المواد الإسلامية واللغة العربية.

بهذه الطريقة سوف تؤدي المدارس الإسلامية الغرض من إنشائها، وترفع من مستوى أبناء المجموعات الإسلامية، في الوقت الذي تحظى فيه أيضاً بتشجيع دول القارة وبمساعدات بعضها، إذ لا تنظر الدولة العلمانية إلا في

مدى التقيد بالبرامج التربوية المقررة، ولا تهتم بالمواد اللغوية أو الدينية التي تضاف إليها.

## - مستوى الإعلام الإسلامي:

لا شك في وجود حاجة ملحة في هذا المجال، ولا بد من وجود سوق واسعة للنشرات الإسلامية باللغة الفرنسية على وجه الخصوص، وعلاوة على تأثيرها الأكيد، فإن عملاً منظماً بهذا الشأن سيكون في الوقت نفسه ذا مردود يسهم إلى حد ما في تمويل استمراره.




الخريطة الإدارية لجمهورية القابون من إعداد مكتب الرابطة في ليبر فيل

# إلى الكنقو

**قبل الوصول إلى الكنغو:**

هذه بعض المعلومات العامة عن جمهورية الكنقو، ذكرتها تمشياً على ما كنت اعتدت عليه من ذكر المعلومات المختصرة عن أحوال البلاد العامة التي أزورها، مع تبسيط نسبي في الحديث عن الأمور المتعلقة بالمسلمين، لأنني أتكلم على ما أشاهده فيها بالتفصيل أثناء الحديث عن الرحلة.

**اسم الدولة: جمهورية الكونقو**

أصبح اسم الكنقو لها منذ بداية الاستعمار الفرنسي في عام ١٨٨٠ م، فكانت تسمى (الكنقو الفرنسي) من أجل تمييزها عن الكنقو البلجيكي التي أصبحت تسمى الآن (زايير)، واستمر ذلك حتى الاستقلال بتاريخ: ١٥/٨/١٩٦٠ م، بل استمرت هذه التسمية لغاية سنة ١٩٦٨ م، حيث تغيرت إلى "جمهورية الكنقو الشعبية" بعد انقلاب عسكري شيوعي بتاريخ: ١٥/٨/١٩٦٨ م بزعامة الكوماندان/ ماريان انقوابي.

وقد استمرت تسمية الدولة بجمهورية الكنقو الشعبية لحين انعقاد المؤتمر الوطني الشعبي، الذي انعقد بالبلاد في عام ١٩٩١ م، والذي اتخذ قراراً بإعادة جميع الشعارات والرموز السابقة، وإعادة تسمية البلاد بجمهورية الكنقو.

**مساحتها وحدودها الجغرافية: تقدر مساحة جمهورية الكنقو بـ (٣٤٢,٠٠٠ كلم مربع) ولها حدود مشتركة مع الدول التالية:**

من الشمال: جمهورية وسط إفريقيا – جمهورية الكاميرون.

من الجنوب: جمهورية أنقولا.

من الشرق: جمهورية زايير.

من الغرب: جمهورية القابون.

مناخها: تتمتع الكنقو بمناخ استوائي يتميز بموسمين كبيرين: الموسم الجاف، والموسم الممطر.

أما الموسم الممطر فيبتدئ من شهر أكتوبر إلى ديسمبر، بينما يبتدئ الموسم الجاف من شهر مايو وينتهي في شهر سبتمبر.

إلا أنه توجد مواسم قصيرة للأمطار، ومواسم قصيرة للجفاف، فالمواسم القصيرة الجافة هي من يناير إلى فبراير، والمواسم القصيرة للأمطار هي من مارس إلى إبريل، في حين إن أقصى الشمال للبلاد يتمتع بمناخ أو بانغي، أي أن موسم الأمطار يبتدئ من مايو إلى سبتمبر، والموسم الجاف من سبتمبر إلى إبريل.

أما إقليم بلاتو (الهضبة) فإن الأمطار تهطل عليه طوال السنة تقريباً، علماً بأنه لا توجد أنهار في هذه المنطقة، وهي مملوءة بالغابات، وعاصمتها مدينة جامبالا، والمدن الكبرى فيها هي: أنغو - وغامبوسا التي تبعد عن برازافيل بمسافة ثلاثمائة كلم.

كما أن المناطق الحارة هي منطقة برازافيل خصوصاً في أيام الأمطار، ومدينة "ماكوا" الاستوائية بإقليم كويفيت (المنخفضات) فهي أعلى المناطق حرارة، حيث تبلغ أحياناً ثلاثين درجة مئوية.

**عدد السكان:** يقدر عدد سكان الكنقو بثلاثة ملايين نسمة ونصف، وتقدر الكثافة السكانية بـ (٠١) ساكن على المتر المربع.

وتكثر نسبة السكان في جنوب البلاد، خصوصاً في المناطق المجاورة لجمهورية القابون، وهي أقاليم: نياري - بوينزا - ليكوسو، بالإضافة إلى إقليم: "بول" الذي كان يشمل مدينة برازافيل قبل إعلانها كياناً مستقلاً.

**نسبة المسلمين:** يقدر عدد المسلمين في الكنقو بثلثمائة ألف مسلم (٢٥٠.٠٠٠)، من مليونين ونصف أو ثلاثة ملايين نسمة، أي بنسبة مئوية قدرها (٩٪) في المائة على وجه التقريب.

وهم موزعون بين المدن الكبرى للبلاد، وهي: برازافيل - بوينت نوار - دوليزي - إنكاي - موسينجو - أواندو - ماكوا - إيفوندو - موساكا.

أما الأغلبية منهم فتسكن العاصمة برازافيل، وبعدها تأتي مدينة بوينت نوار.

**نسبة غير المسلمين:** يمكن حصر غير المسلمين في الكنقو فيما يلي:

- الكاثوليكيون: (٥٠ ٪) خمسون في المائة.
- البروتستانتيون: (٤٨ ٪) ثمانية وأربعون في المائة.
- الوثنيون: (٠٢ ٪) اثنان في المائة.

وجدير بالذكر أن الديانة المسيحية كانت دين الدولة منذ دخول الاستعمار إلى الاستقلال، كما استمرت هذه الحالة بصفة غير رسمية لغاية سنة ١٩٦٨م عندما استولى الشيوعيون على السلطة، والغوا هذا الامتياز الممنوح للديانة المسيحية.

ومنذ تلك السنة إلى تاريخه فإن الدولة علمانية، ودستورها صريح في ذلك، لذلك فإن الدولة لا دين رسمياً لها.

## الأديان المعترف بها رسميا:

الأديان المعترف بها رسمياً في البلاد سبعة، وهي:

(١) _ الإسلام _ (٢) _ الكاثوليكية _ (٣) _ البروتستانتية _ (٤) _

الكيمبانغية وهي ديانة متنبئ زاييري تتسم بالقبلية، حيث إن اغلب معتنقيها من قبيلة الكنقو، وهي قبيلة موجودة في كل من زايير و الكنقو _ (٥) _ سالوتيسيت -(٦)- تيرينكيو ،وهي ديانة يابانية _ (٧) _ ايفيرين ،وهي ديانة متنبئ كونقولي ذات صبغة قبلية كذلك.

## اللغات الرسمية وعناصر السكان:

يتكون الشعب الكنقولي جوهريا من البانتو الذين يطلق عليهم الأوربيون اسم الزنوج بنسبة (٩٧ ٪)، ومن الأقزام: (٠١ ٪) والأوبانغيين (٠١ ٪) والأجانب (من غرب إفريقيا) (٠١ ٪).

واللغات الرسمية للبلاد هي: الفرنسية _ اللينغالا _ الكيكونقو ،في حين انه توجد لهجات محلية كثيرة.

فاللهجة " اللينغالا " هي اللغة المحلية الأكثر انتشاراً حيث يتكلمها أكثر من (٦٠ ٪) من السكان، لأن الشمال كله يتحدث بهذه اللغة، بالإضافة إلى نسبة مهمة من قبائل الجنوب.

ويمكن تقسيم المجموعات بالبلاد إلى ثلاث، وهي:

١ - الكنقو، وتبلغ نسبتهم بالبلاد ٤٨ ٪ يسكنون الجنوب.

٢ - التيكي، وتبلغ نسبتهم بالبلاد ٢٢ ٪ ويسكنون وسط البلاد وجنوبها وشمالها.

٣ - أمبوشي ،وتبلغ نسبتهم بالبلاد ١٣ ٪ ويسكنون في الشمال علماً بأنه لا توجد حروف لمختلف هذه اللغات، ولا تكتب إلا بالحروف اللاتينية_

### الموانئ الرئيسية:

(١) _ الميناء الجوي: ما يا مايا الدولي ببرازافيل _ مطار مدينة بوينت نوار العاصمة الاقتصادية،كما توجد مطارات صغيرة في بعض المدن الكبرى

مثل: مدينة دوليزي عاصمة إقليم نيان _ مدينة إنكاي العاصمة الاقتصادية لإقليم بوبينزا _ مدينة أواندو عاصمة إقليم كويفيت _ مدينة ويسو، عاصمة إقليم لاسانغا _ مدينة إيفوند و عاصمة إقليم ليكوالا.

**الميناء البحري:** ميناء مدينة بوينت نوار الدولي الذي يطل على المحيط الأطلسي، والذي ترد عليه البضائع من الدول الأوروبية والآسيوية والأمريكية والإفريقية، ويبعد عن العاصمة برازافيل بمسافة خمسمائة وخمسين كيلو متراً (٥٥٠ كلم).

_ بالإضافة إلى ميناء برازافيل الذي هو ميناء للتوقف (ترانزيت) يخدم الملاحة الداخلية على النهر، والعبور من وإلى مدينة كينشاسا عاصمة جمهورية زايير المقابلة.

إن نهر الكنقو (ويسمى في زائير: نهر زائير) الذي يفصل بين أقرب عاصمتين في العالم ،أي كينشاسا و برازافيل بمسافة لا تبعد عن ثمانية كيلو مترات، هذا النهر هو الذي يشق الكنقو من الجنوب إلى الشمال، ابتداءً من شلالات كاتاراكت قريباً من مدينة قوماتيتي في الجنوب، مروراً ببرازافيل، إلى مدينة موساكا في إقليم كويفيت، وهناك يتقابل مع نهر آخر يشكلان نهراً واحداً يسمى هناك نهر "أوبانقي"، وهو الذي يؤدي إلى مدينة بانقي عاصمة جمهورية وسط إفريقيا.

ومن الملاحظ أنه توجد الملاحة البحرية بين العاصمتين برازافيل بالكنقو، وبانقي بجمهورية وسط إفريقيا عن طريق نهر الكنقو الذي يسمى ابتداءً من مدينة موساكا بنهر أوبانقي.

## موجز للحالة الاقتصادية بالكنقو:

إن أراضي الكنقو تزخر بثروات طبيعية كبيرة، وبكثرة مياه الأمطار والمياه الجوفية، إلا أنها تعاني من تراكم الديون الخارجية، بعد ما كانت

تتوفر البلاد على مصانع عديدة.

وكان الدخل الفردي يقدر في عام ١٩٧٨ م بمبلغ: (٩١١) دولاراً للفرد الواحد، ويقدر معدل النمو السكاني بـ (٣,٤٥٪) والسكان الحضريون بـ (١٥,٢٪)، ومعدل الولادة بـ (٤٢,٢٪)، ومعدل الوفيات بـ (١٢,٣٨٪).

أما الثروات التي تتوفر في الكنقو نذكر منها على سبيل المثال ما يلي: البترول - الذهب - النحاس - الحديد - الفوسفات - الخشب - القهوة - البن.

**وفي مجال الزراعة:** رغم كثرة مياه الأمطار والمياه الجوفية، فإن الإنتاج المحلي في الزراعة في تقهقر كبير، ولذا فقد استوردت الدولة في مجال الأغذية في عام ١٩٩٢ م أي قبل سنتين بما قيمته أربعون ملياراً ومائتا ألف مليون من الفرنك سيفاً، (٤٠,٢٠٠,٠٠٠,٠٠٠) فرنك سيفاً (أي قبل تخفيض قيمة العملة بخمسين في المائة)، وهو ما يعادل بعد تخفيض قيمة العملة بمبلغ (٨٠,٤٠٠,٠٠٠,٠٠٠) ثمانين ملياراً وأربعمائة مليون من الفرنك سيفاً. علماً بأن هذا المبلغ يعادل ثلث رواتب موظفي الدولة خلال العام الواحد.

أما الديون الخارجية، فقد بلغت ثمانمائة مليار فرنك سيفاً.

تلك كانت معلومات يمكن الاستفادة منها عند دراسة أحوال الدعوة الإسلامية ونشر الإسلام واللغة العربية في الكنقو.

## أهم احتياجات المسلمين في الكنقو بشكل عام:

إن احتياجات الأقليات المسلمة بالكنقو هي كاحتياجات المسلمين بالقارة الإفريقية بصفة عامة، والمسلمين بمنطقة إفريقيا الوسطى بصفة خاصة، حيث تحتاج إلى المساعدات العاجلة لبناء المدارس، وإلى المنح الدراسية، وبناء المستشفيات والمستوصفات، والدعاة والمدرسين، والكتب والمراجع الإسلامية باللغة الفرنسية.

## الجمعيات الإسلامية العاملة بالبلاد:

توجد بالكنقو سبع جمعيات إسلامية، وأهمها هي الجمعية الأم "الجمعية الإسلامية بالكنقو" التي تم الاعتراف بها منذ عام: ١٩٧٢ م.

بالإضافة إلى جمعيتين أخريتين تابعتين لهذه الجمعية، وهما:

١) - اتحاد النساء المسلمات، وتم الاعتراف بها في: ١٩٩٣/٦/٢٥ م

٢) - رابطة الشباب المسلم التي تم الاعتراف بها في: ١٩٩١/١٢/٢٠ م

أما بقية الجمعيات الإسلامية الأخرى فقد نشأت حديثاً، ولا يوجد لها نشاط كبير حتى الآن، وهي:

١)- اتحاد الجمعيات الإسلامية بالكنقو بتاريخ: ١٩٩٣/٦/٢٦ م.

٢)- المنظمة الوطنية لمسلمي الكنقو بتاريخ: ١٩٩٤/٤/٦ م.

٣)- الاتحاد الإسلامي للتأطير والإغاثة بتاريخ: ١٩٩٤/٤/٢٦ م.

٤)- الجمعية الإسلامية للتنمية الاجتماعية والثقافية بتاريخ ١٩٩٤/١٠/٦م.

## الجمعية الإسلامية بالكنقو:

لا تتلقى الجمعية الإسلامية في الكنقو أية مساعدات من الدولة، وتعتمد الجمعية على بعض التبرعات الهزيلة لتكوين صندوقها الذي هو صغير.

وهي الجمعية الإسلامية الوحيدة التي تمثل المسلمين رسمياً بالكنقو، ولقد تأسست في ٢٩ يوليو ١٩٧٤ م على إثر اجتماع عام للمسلمين ببرازافيل (عاصمة جمهورية الكنقو الشعبية)، وكان ذلك في ٢٨ - ٢٩ يوليو ١٩٧٤ م.

ولقد تم الاعتراف رسمياً بالجمعية من طرف الدولة في ٧ مارس ١٩٧٥ بناءً على التصريح رقم: ٦٧٠ / س سي س / ل أد، أ / د س ل.

ولقد كان على رأسها الحاج ميمي، ثم قررت إحداث تغيير في قيادتها، فعهدت برئاستها إلى السيد يونس إيمانويال دوزونغي.

مع الإشارة إلى أن الجمعية عادة ما تكون حاضرة الاحتفالات أو المناسبات الرسمية التي تنظمها الدولة والحزب الحاكم.

لقد شاركت الجمعيات في مؤتمر نواكشوط و داكار ومؤتمر الدعوة الإسلامي، ومن هذا المنطلق فإن الجمعية على علاقة طيبة بالحكومة.

وتقول الجمعية: في الواقع إنه ليس لدينا تصور دقيق لمشاريعنا في المستقبل، ولكن هناك أشياء ملحة تشغلنا من أهمها:

السعي لبناء مساجد في المدن الكبيرة كـ: لوبومو، نكايا، انقوندو، ويسو، أوراندي.

ونحن نأمل كذلك ببناء مركز ثقافي إسلامي ببرازافيل وبوينت نوار لأنك لا تجد مكاناً يمكن أن يستقبل المسلمين ويساعدهم على المعرفة الدينية.

هناك بعض المدن قد بدأت تعمل بها مدارس قرآنية على تكوين التلاميذ وهي: لوبومو، نكابي، أواندو، أوسو، ايمسغندو.

وفي هذا النطاق نفسه نرجو تكوين خبرات كونقولية مسلمة.

## تقرير مفصل عن المسلمين في مدينة بوينت نوار:

(مدينة بوينت نوار) هي المدينة الثانية من حيث وجود المسلمين في الكنقو، وقد حصلنا على تقرير من المركز الثقافي الإسلامي في المدينة فصل فيه أحوال المسلمين و أعدادهم بها وهذا نصه:

## النشاطات الإسلامية في بوينت نوار:

الإسلام في بوينت نوار بصفة عامة يجري على ما يرام حيث عندنا أربعة مساجد والمركز الثقافي الإسلامي، وأول مسجد أسسه المسلمون في سنة ١٩٣٠ م، ثم تلاه الجامع الكبير، حيث تم بناؤه عام ١٩٣٦ م، والمسجد الثالث عام ١٩٥٨ م، أما الجامع الثاني فقد افتتح عام ١٩٨٢ م وكذلك المركز الثقافي الإسلامي أسس لأول مرة في تاريخ المدينة عام ١٩٨٢ م، أي ٢٦ / ٦ / ١٩٨٢ م، يوافق ٤ رمضان ١٤٠٣ هـ.

وفي هذا المركز نحو ١٥٠ طالب وطالبة وأربعة مدرسين متطوعين وهم: الأستاذ محمد توري من مالي، والأستاذ إدريس لي من السنغال، والأستاذ محمد علي جدة من تشاد، ومدرس واحد من أهل الكنقو.

## حالاتهم الاقتصادية والاجتماعية والصحية:

إن المسلمين هنا يحتلون المرتبة الثانية في النشاطات التجارية والاقتصادية في البلد، وهم على ثلاث فئات:

الفئة الأولى: هم الأثرياء وأصحاب رؤوس الأموال.

الفئة الثانية: متوسطون.

والمرحلة الأخيرة: محدودو الدخل.

أما حالاتهم الاجتماعية فمجتمع المسلمين في بوينت - نوار مجتمع إسلامي نتعاون ونتعاطف بعضنا مع بعض ونتبادل الزيارات والهدايا.

أما حالاتهم الصحية فيوجد هنا المستوصفات والمستشفيات التابعة للحكومة والشركات أو الكنائس نداوي أمراضنا فيها بأموالنا حسب الإمكان.

## الجمعيات الإسلامية:

أما الجمعيات فيوجد في بوينت نوار جمعية إسلامية واحدة والمجلس الاستشاري لها. وأهداف الجمعية توحيد صفوف المسلمين، والدعوة إلى الاعتصام بحبل الله جميعاً وأن لا يتفرقوا، ونشر الثقافة الإسلامية والعربية، وقد أسست الجمعية الإسلامية في ٩ / ٢ / ١٩٨١ م وهي معترف بها رسمياً من قبل الحكومة المحلية.

أعداد المسلمين في مدينة بوينت - نوار وجنسياتهم في عام ١٤٠٤ هجرية بالنسمة الواحدة.

| البلد | العدد | البلد | العدد |
|---|---|---|---|
| جمهورية الكنقو الشعبية | ١١١٢ | جمهورية السنقال | ٥٣٣٧ |
| جمهورية مالي | ٤٣٣٦ | الجمهورية الإسلامية الموريتانية | ٣٣٩٢ |
| جمهورية بنين الشعبية | ٣٣٩٦ | جمهورية الكامرون | ١٤٥٢ |
| جمهورية نيجيريا | ٦٠٩ | جمهورية تشاد | ٦٩٢ |
| الجمهورية الزائيرية | ٢٠١ | جمهورية إفريقيا الوسطى | ٥٠٨ |
| جمهورية ساحل العاج | ٥٠ | جمهورية النيجر | ١٣١ |
| جمهورية غامبيا | ٥٨ | الجمهورية اللبنانية | ٣١ |
| الجمهورية التنزانية | ٣ | الجمهورية الجزائرية | ١٢ |
| جمهورية فولتا العليا | ٥٧ | المملكة المغربية | ٤ |
| الجمهورية التونسية | ٥ | الجمهورية العراقية | ٣ |
| المملكة التيلاندية | ١ | الجمهورية غينيا | ٩٢ |
| العدد الإجمالي | | ٢١٤٨٢ نسمة. | |

# عود إلى المشاهدات

**من ليبرفيل إلى برازافيل :**

تركنا (دار الضيافة) في برازافيل في الرابعة والنصف عصراً إلى المطار، وتركنا المطار في الخامسة والنصف إلى برازافيل عاصمة جمهورية الكنغو.

ولم نجد أماكن خالية في الدرجة الأولى من الطائرة التي هي صغيرة من طراز بوينج ٧٣٧، وذلك لأن وفداً إيطالياً كان قد حجز المقاعد القليلة في الدرجة الأولى من الطائرة وكان هذا كما قال الأقدمون (غلطاً بصواب)، فالدرجة السياحية تتيح لمن يحب الاطلاع مثلي على أحوال عامة الناس، وتصرفاتهم وطرائق حديثهم ومستوى ما يحملون من أمتعة يدوية، وما يرتدونه من ملابس أن يرى ذلك، بخلاف ركاب الدرجة الأولى الذين هم في الأغلب من صفوة القوم الذين لا يصلحون أمثلة على سائر الناس أو يكونون من الأجانب.

الطائرة تابعة لشركة الطيران القابونية وهي شركة حديثة، إذْ كانت القابون مشتركة مع عدد من الدول الإفريقية التي كانت مستعمرات فرنسية في الماضي في الشركة الكبيرة (أيرإفريك) فانسحبت منها وأسست لنفسها هذه الشركة لأن حالتها المالية تمكنها من ذلك بخلاف أغلب الدول المشتركة في شركة (أير إفريك).

وتكاد الطائرة تمتلئ أو هي قد امتلأت بركاب أغلبهم من الإفريقيين وبعضهم جاؤوا من مدينة (دوالا) في الكاميرون، حيث كانت الطائرة قد قدمت لتوها من تلك المدينة.

وكانت إعلانات الطائرة بالفرنسية وبالإنكليزية لا تكاد تفهم، لأن المضيفة القابونية قد تعود لسانها النطق بالحروف الفرنسية، فتخرج الكلمات الإنكليزية من مخارج الحروف الفرنسية.

وعندما ارتفعت الطائرة كانت الشمس تتدنى تهم بالغروب، ووجدت الأرض من الطائرة خضراء استوائية ذات غابات كثيفة بل مطبقة.

وقد أحسنوا صنعاً إذْ فعلوا ما تفعله الشركات العالمية من تخصيص المقاعد الأولى في الطِائرة لغير المدخنين .

عندما استوت الطائرة في الجو كانت الشمس الإفريقية تسقط في مياه المحيط كأنما لتغتسل أمام عيون أهله السود في مياهه.

وقد أعلنت المضيفة أن الطيران سيستغرق ساعة وعشرين دقيقة، وقد أسرعوا بتقديم وجبة عشاء خفيفة لركاب الدرجة السياحية، وهذا شيء جيد منهم بالنسبة إلى شركات الطيران الإفريقية الأخرى.

وقد حل الظلام فأصبحنا لا نرى إلا من بداخل الطائرة.

**مطار (مايا مايا):**

وهو المطار الدولي لمدينة (برازافيل) يسمى بهذا على اسم المكان الذي يقع فيه، وهذا لفظ إفريقي أصيل، وبعد ساعة وربع كانت الطائرة تحوم فوق مدينة (برازافيل) التي بدت أنوارها في الظلام لا بأس بها إشراقاً .

ثم نزلت في مطار (مايامايا) .

وحالما وقفت الطائرة أسرع الركاب إسراعاً غير معتاد بمغادرة الطائرة، ثم أسرعوا بدخول قاعة الوصول واصطفوا أمام ضباط الجوازات وكأنهم يتسابقون .

وقد فهمت السبب في ذلك وهو البطء الشديد من الموظفين في إنجاز معاملات المسافرين .

وقد زاد من البطء أيضاً أنهم لم يوزعوا بطاقات الوصول في الطائرة، وإنما وجدناها في المطار، فجعل المسافرون يملؤونها في المطار وهم واقفون .

أما نحن فعندما انتهينا من ذلك، وقفنا في آخر الصف الذي أبى أن يتحرك، فترك زميلي السفير الدكوري الصف وتجاوزه إلى ضابط جوازات رآه يقدم قوماً على آخرين، فسأله الدكوري، لماذا يقدم هؤلاء على غيرهم ؟

فأجاب الضابط: لأنهم ممن يحملون إقامة دائمة في الكنقو. فقال له السفير الدكوري: ونحن نحمل جوازات سفر دبلوماسية ومعنا تأشيرات دخول دبلوماسية، فقال الضابط: لا مانع من تقديمكم.

فتركت الصف وأنا محرج من ذلك ودخلت قبل من كانوا قبلي، إلا أن الضابط الذي دعانا سرعان ما حادث رجلاً أوروبياً فأخرجنا من عنده، ثم نادانا عندما أنهى العمل في جواز ذلك الأوروبي.

وقال رفيقي الدكوري: إنه سمع الضابط يكلم ذلك الأوروبي بالفرنسية والرجل يقول له: إنني لا أحمل تأشيرة دخول ولكنني مستعد أن أدفع نقوداً مقابل ذلك، والضابط يقول للشيخ الدكوري: اخرجا حتى أنتهي منه.

أما نحن فلم ندفع أي شيء من النقود، لأنه لا حاجة بنا إلى ذلك.

وعندما انتهينا بعد فترة من الزمن من ضابط الجوازات، وجدنا أمامنا ضابطين يفحصان الحقائب اليدوية، إما من أجل الجمرك، أو من أجل الخوف من الأسلحة والمتفجرات، إلا أنهم جاملونا فلم يفتحوا حقائبنا اليدوية بسبب الجوازات السياسية.

وهذا أنقذنا من إشكال ربما كان سيحصل لنا لأننا نحمل ما يزيد على ثمانين ألف دولار أمريكي على هيئة صكات (شيكات) سياحية كنت قد أحضرتها معي من رابطة العالم الإسلامي، وذلك لنصرفها معونة فورية لما نراه بحاجة إلى المعونة العاجلة من أهل المساجد في الكنقو وزايير.

وبطبيعة الحال فإن هذه النقود لا غبار على وجودها معنا، لأنها نقودنا

غير أن ذلك يلفت الأنظار إلينا، وقد نتعرض لمحاولة سلبها أو نهبها .

### سائق التاكسي في الجمرك:

ذهبنا إلى حيث تسلم الحقائب فوجدنا عند بابها سائقاً بل سائقين لسيارات الأجرة يسألون: أتريدون (تاكسياً) ؟ فقلنا: نعم بالطبع. وفرحنا لأن السائق سيحمل عنا الحقائب، وليس الغريب في أمر الجمرك هذا هو وجود سائق في سيارة الأجرة في منطقته بل إن ضباط الجمرك كانوا في قاعة وصول الأمتعة، فما على من يريد أخذ حقيبته مثلاً إلا أن يفعل ذلك ويناوله مباشرة إلى ضابط الجمرك .

أما نحن فقد اكتفينا بالسائق وأريناه الجوازين فأفسح الطريق لنا من دون فتح، وكان المكان ضيقاً، وكانت الضوضاء، واختلاط الأصوات فيه هي اللافتة للنظر، ومع ذلك فإن ضابط الجمرك نفسه هو الذي قام بمطابقة الإيصالات التي نحملها التي هي القسائم التي يوضع جزء منها على الحقيبة، ويعطى جزء منها لصاحب الحقيبة بعد تسلم الأمتعة .

وطبيعي أن يقارن المرء في ذهنه بين قوم يصل بلادهم لأول مرة وبين قوم فارقهم منذ قليل، فكان الانطباع الأول أنهم كأهل (القابون) في السواد أو هم أشد، وأما الأجسام فإنهم يختلفون عنهم، إذ هؤلاء أطول قامات، وأكثر نحافة من أهل القابون. ووجوههم يغلب عليها الطول، بخلاف أهل القابون الذين تغلب الاستدارة على وجوههم، أو هذا الانطباع الأول يكون صحيحاً في الغالب كما جربته في عدد من أنحاء العالم .

### مدينة برازافيل:

هي عاصمة دولة الكنقو التي تفردت بشرف هذا الاسم منذ أن تنازلت شريكتها فيه، وهي شقيقتها في الموقع على النهر، وشقيقتها حتى في النسب لبعض القبائل التي تقطن على ضفتي النهر مثل قبيلة (باكنقو) .

وقد أخذ الاسم من اسم النهر الكبير نهر الكنقو الذي استأثر الفرنسيون بما كان إلى الشمال منه، وأسموه الكنقو الفرنسي وأستأثر البلجيكيون المستعمرون بما كان عنه جنوباً فأسموه بالكنقو البلجيكي وإن كانوا قد ضموا إليه قبائل وشعوباً أخرى من شعوب وسط إفريقية لا يمتون بصلة النسب أو المظهر بهؤلاء الكنقويين.

وعندما ولى الاستعمار الأدبار، وحصل الاستقلال مع ما صاحبه من أهوال سمي الجنوبي من النهر باسم (كنقو ليوبولدفيل) على اسم عاصمته التي كانت قد سميت على اسم ملك للبلجيكيين اسمه (ليوبولد) وفيل بالفرنسية: مدينة كما هو معروف، وسمي الجزء الشمالي منه باسم (كنقوبرازافيل) على اسم عاصمته (برازافيل) وبقي هذا الجزء الشمالي ولا يزال راضياً بتسمية الكنقو، قانعاً بهذه النسبة.

أما القسم الجنوبي فقد أخذ يتحول من تسمية إلى تسمية كما كان رئيسه الداهية (موبوتو) يتحول أحياناً كثيرة من موقف إلى موقف فغير اسم عاصمته من الاسم الاستعماري (ليوبولدفيل) إلى اسم وطني هو (كنشاسا) وصار الاسم الرسمي للبلاد (كنقو كنشاسا)، ثم غير اسم البلاد كلها من كنقو كنشاسا إلى (زايير)، وغير اسم النهر أيضاً من الكنقو إلى زايير، ومعنى زايير كما أخبرونا هو الأسد في إحدى اللغات المحلية هناك.

أما (الكنقو) الشمالي فكأنما فرح بتفرده بهذه التسمية فأبقى اسم البلاد (الكنقو) مجرداً من الوصف أو الإضافة، وأبقى عاصمته هذه التي وصلناها الآن على اسمها الاستعماري القديم (برازافيل)، وصار اسم الدولة الرسمي (جمهورية الكنقو) فقط من دون مضاف أو مضاف إليه.

كان وصولنا ليلاً كما تقدم ولذلك لم نتمكن من رؤية ما مررنا به مما بين المطار والمدينة.

وقصدنا فندقاً كنا عرفنا اسمه من قبل وهو (أوليمبك) فوجدناه قد حجزته الحكومة لوفد رسمي كما أخبرتنا بذلك امرأة فرنسية كانت في إدارته، وقالت: إن هناك فندقاً أفخر منه وأغلى وهو جديد، وحجزت لنا بالهاتف غرفتين فيه، وهو فندق (أم بامو بالاس)، وقد أنزلونا في غرف في الطابق التاسع، وأجرة الغرفة الواحدة (٢٥) ألف فرنك إفريقي أي مائتان وأربعون ريالاً سعودياً أو خمسة وسبعون دولاراً، وليست هذه الأجرة كثيرة على المستوى الرفيع في الأثاث والمعدات فيه .

وعندما استقر بنا المقام في الفندق نزلنا نتمشى في أبهائه، فوجدناها مليئة بالزوار مع أنه غالي القيمة، ولكن اليوم هو مساء السبت الذي يسفر صباحه عن يوم الأحد وهي ليلة العطلة الرئيسية في البلدان الغربية ومن سار على نهجها. ورأينا في مقهى الفندق طائفة من اللبنانيين الذين لا يزالون في الكنقو، مثلما أن اللبنانيين لا يزالون يعملون في القابون .

ومن المواقف المحرجة أننا كنا نحمل معنا أوراقاً من فئة عشرة آلاف من الفرنك الإفريقي، وهو عملة المستعمرات الفرنسية في غرب إفريقية، فلم يقبلها الفندق وقال الموظف: لقد تبين أن هذه الأوراق فيها تزييف كثير، ولا نقبل إلا نوعاً معيناً منها أرانا إياه لم يكن موجوداً لدينا.

وقال: النوع الذي معكم لا يصرف إلا في البنك، هو الذي يعرف المزيف من الصحيح، واضطررنا إلى أن نصرف الدولارات بثلثمائة وخمسين فرنكاً، وهو يقل عن قيمتها في البنك والتي هي أربعمائة وعشرة فرنكات لنحصل على العملة التي تنفعنا وبخاصة أن غداً هو الأحد الذي لا تفتح فيه (المصارف).

## يوم الأحد ١٤٠٤/٢/٢٣هـ

### صباح برازافيل:

صحوت مبكراً لأنني كنت قد نمت مبكراً فأزحت ستارة النافذة بعيد الفجر فوجدتها مثل سائر ما في الفندق قد صممت وفق ذوق فرنسي رفيع، وقد انزلقت بنعومة فأسفرت عن حائط يكاد يكون كله نافذة من الزجاج الصافي السميك قد جعلوه ثابتاً إلى ما يقرب من صدر الرجل حذراً من أن يتأذى به الأطفال أو الغافلون من البالغين .

وهذا الزجاج الصافي قد حجب الحر والمطر دون أن يحجب النور، بل إنه رشح النور حتى صرت تتخيل أن (البلور) نفسه من النور .

وبخاصة إذا كان هذا النور نور الفجر الذي يقع على النافذة مباشرة لأنها واقعة في جهة الشرق .

وتطل نافذة الغرفة الواقعة في الطابق التاسع على منظر بديع، كمنظر المطر في الربيع في بلادنا التي يشتاق الجميع فيها منظر تساقط الأمطار، كما يشتاق غيرهم منظر تمايل الأزهار في وقت الإسفار .

ذلك بأنه يطل من عل بكبرياء وزهو على نهر الكنقو العظيم الذي أسماه القاطنون على ضفته الجنوبية نهر زايير، وقال لي بعضهم: إن معنى كلمة زايير يعني الأسد الهصور .

وتجلل جانبي النهر شعاب لها ضفاف خضرة وارفة، وبخاصة في هذا الوقت الذي ضرب به المثل لوقت الجنة، في الحديث الذي ما معناه: أن الجنة ليس فيها شمس ولا قمر، قالوا: يا رسول الله: كيف يبصر أهلها ؟ قال: في نور كنور الشمس قبل شروقها .

وقد زاد المنظر شاعرية أن السحاب لا يزال يرسل رسلاً خفيفة الظل

من مطر يربت على زجاج النافذة بحنان، ويجود على صفحة النهر الملآن .

وفي الأضواء الاصطناعية لا تزال بقية تتحدى الإسفار، إلا أنها ما لبثت أن انهزمت أمام ضوء النهار .

وكل شيء هنا جميل ما عدا السياسة التي فرقت بين الكنقويين وقلبتهما من أخوين إلى عدوين لدودين، ورغم أنهما من أهل الشمال والجنوب، بالنسبة إلى هذا النهر الدؤوب، إلا أن الجنوب منها من أهل الغرب أو إن شئت قلت من أهل الغروب، والشمال منهما معدود من أهل الشرق ولا نقول الشروق لأنه ليس فيه ما يروق.

ومع ذلك فإن هذا الشمال المسمى شرقياً في اتجاه السياسة وقد يسمى يسارياً عند أهل الكياسة رغم كونه واقعاً يمين النهر في اتجاهه إلى نهايته في المحيط، فإن مذهب أهل الشرق الذين ينسبونه إليه، ليس أثيراً لديه، بدليل أنه ما يزال يتمسك بأهداب الفرنسيين، ويتاجر بل يعامل أهل اليمين الذين لا يأخذون كتابهم يوم القيامة باليمين .

وعلى أية حال ربما يكون المقال في السياسة له مقام غير هذا المقام .

وطارت بي الذكريات إلى زمن فات، وكان ذلك قبل ثمانية عشر عاماً بالتمام عندما كنت أرى هذا النهر الكبير من جانبه الجنوبي، وكنت أمني النفس أن أراه من جانبه الشمالي هذا الذي أنا فيه الآن، ولكن حال ضيق الوقت، وخوف الفوت في تلك الأوقات، دون تحقيق الأمنيات .

وها أنذا الآن يتحقق لي ذلك بل آمل أن يتحقق لي الجمع في الرؤية بين الضفتين، ويخيل إلي أن ضفاف النهر لم تتغير، ما عدا أبنية حديثة قد ارتفعت فيها لا أدري أزانته أم شانته، ولكنها على أية حال قد غيرت ضفتيه، حتى تحول من نهر يتخيل المرء فيه صيحات قبائل الكنقو و(الباكنقو) وهم يضربون الطبول ويسرعون إلى مصيرهم المجهول إلى نهر قد مسخته المدنية

الدنية فلم تترك فيه بقعة عذراء، ولا نبتة خضراء إلا وقد لونتها بلونها، وإن بقي في روحه وطموحه أسمر الطلعة، إفريقي النزعة .

وطارت الذكريات تفسح الطريق في ذهني للمشاهدات فرأيت النهر يجري في حالة فيضان، بدليل أنه أحمر المياه، سريع الجريان، يحمل على صفحته ألواناً من الأغصان، من أشجار خضر قد قصمتها مياهه، ومن غثاء امتلأت به صفحاته .

وذكرت وأنا أشاهده كذلك ما شاهدته في شمال السنغال، وفي موريتانيا من الجدب الشامل والجفاف المستطير .. فذكرت قول الشاعر القديم:

عجباً للناس في أرزاقهم ذاك عطشان وهذا قد غرق

## يوم الإثنين: ٢٤/٢/١٤٠٤هـ

### جولة في مدينة برازافيل:

يعني اسمها (مدينة برازا) بالفرنسية، وفيل: مدينة بالفرنسية. وتفصيل ذلك أنه ابتداءً من عام ١٨٧٧م أخذت فرنسا ترسل المكتشفين إلى وسط إفريقية وأهمهم على الإطلاق كان المبشر الإيطالي الأصل (برازا BrRAZZA) وهو برتبة ضابط في قيادة المستعمرات الفرنسية، وقد أرسلته على رأس بعثة لاستكشاف الضفة الأخرى من نهر الكنقو، فوصل إلى منطقة (لاجوا) وأسس مدينة (فرانس فيل) التي سميت إلى اليوم باسمه (برازافيل) وهي عاصمة الكنقو.




الشارع الرئيسي في القسم الحديث من برازافيل

استأجرنا سيارة أجرة سائقها خبير بأحياء المدينة وأماكنها المهمة بمبلغ خمسة عشر ألف فرنك مدة عشر ساعات بدأت من الثامنة صباحاً، وتنتهي في السادسة مساءً، وهو موعد غروب الشمس. وهذا يساوي ١٥٠ريالاً، وهو

رخيص لأن السائق دليل أيضاً والوقود من عنده، ولأن هذا اليوم هو يوم ماطر عقب ليلة هاطلة تركت مياهها شوارع برازافيل السيئة في حالة أسوأ، فصار مرور السيارات عليها أصعب .

كان الوقت مبكراً والمطر ينزل، ومع ذلك كان أول رجل وقعت عيني عليه مسلماً يلبس الملابس العربية رغم قلة المسلمين في هذه البلاد .

خرجنا من الحي الصغير الجيد الذي يقع فيه فندقنا (أم بامو بالاس) وقد دعوت الله تعالى أن يوقف المطر لأنه إضافة إلى الضيق في إغلاق نوافذ السيارة فإنه يمنع من توفر الضوء اللازم للتصوير على البعد .

**حي الطين المبلول:**

كان أول حي وصلناه بعد أن خرجنا من الحي الراقي الذي يقع فيه فندقنا يسمى (فوتو فوتو) ذكروا أن معنى ذلك الطين المبلول، فقلت: إن هذا هو ما نحن فيه الآن، فالحي شوارعه طينية، والمطر ينزل مدراراً مما جعل طينه يبتل أيضاً .

وذكروا أن هذا هو اسمه منذ أن كان قطعة من الريف، وقبل أن يصبح حياً سكنياً، وفي البلاد المتخلفة كثيراً ما يظل الحي الريفي أو الخالي من السكان على ما هو عليه حتى بعد أن يسكن وتنتفي صفة الخلاء عنه، بخلاف ما عليه الحال في البلدان الراقية حيث تصحب المرافق تطور الحي، فيفارق كونه حياً ريفياً ويصبح جزءاً من المدينة كسائر أجزائها.

والغرض من زيارة حي (فوتو فوتو) أوالطين المبلول هو الاطلاع على مسجد فيه يسمى مسجد فوتو فوتو على اسم الحي، والغرض أيضاً من زيارة المسجد هو الاطلاع عليه ومعرفة ما يحتاج إليه من إكمال مرافق أو نحوها، كما أن تسجيله لدينا في الرابطة يعطينا صورة صحيحة عنه عند بحث المساعدة على تعيين إمام راتب له، أو إرسال داعية أو مرشد إلى أهله.

وقد وجدنا المسجد مغلقاً في هذه الساعة التي هي الثامنة صباحاً، وأخبرنا المرافقون أن أول من سكن هذا الحي من المسلمين كانوا من أهل مالي، ولذلك بنوا منارته عالية.

**مسجد أهل السنة**

ثم توجهنا لرؤية مسجد أهل السنة فوجدناه مفتوحاً ولكن ليس فيه إلا الحارس، ووجدنا منارته بيضاء أشبه بالصومعة على طريقة بناء المآذن في الأندلس ومن سار على هذا النهج من أهل المغرب وبعض أهل إفريقية الغربية. والمسجد متوسط السعة تقام فيه الجمعة.

وذهبنا مع الحارس إلى بيت إمام المسجد واسمه سليمان الينقا وهو من أهل برازافيل الأصلاء، إذ الأكثر أن يكون أئمة المساجد والقائمون عليها هم من أهل غرب إفريقية مثل السنغال ومالي أو الكاميرون؛ وذلك لكونهم أهل مال وتجارة وقد قدموا إلى هذه البلاد لهذاالغرض.



**بيوت الطين غرب مسجد أهل السنة في برازافيل**

وقد ازداد نزول المطر، وقال الإمام سليمان الينقا: لقد جئتم في موسم الأمطار.

وكان أصعب ما في الأمر علي أنني لم أستطع أن أقيد ما أريد قيده خلال سير السيارة بسبب الحفر والنقر الموجودة في الشوارع وقد زادها المطر سوءاً.

وزاد المنظر سوءاً مجاري المياه القذرة التي جعلوها على هيئة قنوات (مجار) تمر بالبيوت من تحت الحيطان، ويرسل كل بيت إليها فضلات بيته، وقد اكتظت بمياه الأمطار، واختلطت بها ففاضت على أرض الشوارع، وهم يعتمدون في تنظيفها بل في انسياب مجاريها على المطر الذي يفعمها بالمياه، ويسرع بها إلى حيث هي ذاهبة إليه وهو نهر الكنقو.

وعندما رأيت حالة الشوارع والبيوت عجبت من كونها بعيدة كل البعد عن حالة الحي الراقي الذي فيه الفندق لأن شوارعه مزفلتة وأبنيته أغلبها إسمنتية، ولا غرو في ذلك لأنه حي الدوائر الحكومية والسفارات الأجنبية، والمحلات التجارية، التي تديرها المؤسسات الأجنبية.

أما منازل هذا الحي الشعبي فإن معظمها مبني بلبن الإسمنت ومسقف بالصاج، وتكاد تكون الشوارع مقفرة في هذا الصباح من المارة، إذ منع المطر خروج الناس مبكرين ماعدا بعض النسوة اللاتي خرجن لطلب الرزق مثل البائعات بالزنابيل وغيرها، وهن كسائر أهل الكنقو هؤلاء أحسن منظراً من ناحية الجمال المظهري من نساء القابون، ولكنهن أرق حالاً وأكثر فقراً من القابونيات.

ثم جاءنا الإمام (مودي سيسي) المعروف بآدم سيسي. ومودي لقب معناها: شيخ وكأنما أصلها مؤدب أو نحو ذلك، وهو مدرس في مسجد أهل السنة ويعمل بمثابة مدير للمركز الإسلامي الذي سيأتي الكلام عليه.

وأصله من مالي، وقدم هذه البلاد الكنقوية منذ عهد الفرنسيين، ويعرف العربية جيداً ويتكلم بها بطلاقة، وذلك لكونه تعلمها في دار العلوم الشرعية في المدينة المنورة أيام صباه.

وقد أنست بصحبته، واستفدت من المعلومات الكثيرة التي يملكها عن هذه البلاد، بحكم اهتمامه الديني وطول بقائه فيها.

وهو إلى ذلك مؤلف بالعربية، له كتاب اسمه (مقدمة ابن سليمان) وهو جده فيما قال، ويتضمن الكتاب محاربة أهل البدع وتأييد السنة النبوية، لأن الشيخ آدم سيسي من أنصار السنة ومحاربة البدعة.

ولا مانع هنا من أن نتذكر ما ذكره الشيخ عن نفسه من كونه متزوجاً من اثنتين، وعنده الآن عشرون ولداً ما بين ذكر وأنثى، وهذا أمر مفرح لأنه يزيد عدد المسلمين في هذه البلاد لاسيما إذا تذكرنا في مقابل ذلك كون النصارى أو المنصَّرين - بفتح الصاد - من أهلها لا يتزوجون إلا واحدة.

سألته عن الجنسية التي هو عليها الآن بعد هذه المدة الطويلة التي قضاها في الكنقو؟ فقال: هي جنسية (مالي) وهي جنسيته الأصيلة التي لا يبتغي بها بدلاً.

### المركز الثقافي الإسلامي:

ذهبنا مع الشيخ آدم سيسي أو مودي سيسي لرؤية المركز الإسلامي، ويقع في ناحية من هذا الحي (فوتو فوتو) أوالطين المبلول على شارع (فولو كامبا) وهذا اسم رجل موسيقي من أهل البلد سموا الشارع به، وكتب عليه اسمه بالفرنسية وتحتها بالعربية (المركز الإسلامي الثقافي في الكنقو).

كان المطر لا يزال يهطل، ولم تتحسن حالة الشوارع في هذا الجزء من الحي، رغم كون البيوت بعضها أحسن من جهات أخرى من الحي.

وقد منعنا المطر من التصوير لأنه من الصعوبة بمكان السير في الشارع من أجل التصوير.

أنشأ هذا المركز الإسلامي لأول مرة أحد المسلمين الفرنسيين واسمه: (محمد الأمين الباني) وقد ظل مدة طويلة يجمع المال من المسلمين وغيرهم من أجل هذا المركز الذي اشتراه من الحكومة الفرنسية عندما كانت تستعمر البلاد وجعله وقفاً للمسلمين تديره الجمعية الإسلامية.

وذكروا أنه توفي قبل عشر سنين.

وتقوم الجمعية الإسلامية بالإنفاق عليه وبإدارته الآن، وذكر الشيخ آدم سيسي أنه سافر هو والشيخ (مال أحمد) إلى الكويت ومرا بجدة من أجل جمع التبرعات لإعمار المركز، وأنهم لم يحصلوا إلا قليلاً من المال، كما حصلوا من صندوق التضامن الإسلامي في جدة على تبرع للمشروع في السنة الماضية.

**يسلمون بكثرة:**

قال الشيخ آدم سيسي ومعه بعض الإخوة من أهل البلاد يسمعون كلامه ويصدقونه: إن الإقبال على الدخول في الإسلام شديد جداً في هذه البلاد والناس يدخلون في الإسلام في الليل والنهار، ولكن الشأن في تعليم هؤلاء المسلمين الجدد وفي رعايتهم، فالجمعية الإسلامية التي تشرف على المركز ليست لديها قوة مالية ولا تعليمية لهذا الأمر.

وذكروا أن هذه المشكلة إذا تمت معالجتها، فإن عدد الداخلين في الإسلام سيزيد كثيراً ؛ لأنه من الصعوبة عليهم كما ذكروا أن يتركوا المسلمين الجدد مهملين بدون عناية أو رعاية دينية أو اجتماعية حتى يرسخ الإسلام في نفوسهم.

وقلنا لهم: أنتم تستطيعون الكتابة للجهات الإسلامية في البلدان العربية

مثل رابطة العالم الإسلامي، وتطلبون مساعدتها على هذا الأمر بالمال والرجال، ونحن سوف نجتهد في هذا الأمر بعد أن نرجع إلى مكة المكرمة.

والمركز الإسلامي واسع المساحة، مسور بسور جيد، ولكن لا يشغله الآن إلا المدرسة الإسلامية، ومقر اجتماع الجمعية الإسلامية، وكان مقرراً للجمعية أن تجتمع في التاسعة من صباح هذا اليوم، وكانت هذه فرصة لنا للاجتماع معهم غير أن الاجتماع لم ينعقد بسبب توالي نزول المطر.

ووجدنا في المركز شخصاً اسمه (محمد قاني) وهو مدرس في المدرسة، وتدفع رابطة العالم الإسلامي مرتبه الشهري، وهو كنقوي أصلي أو (كنقوليه) كما يقول الفرنسيون.

وهم هنا يفرقون في باب التعريف بين المسلمين الذين هم من بلاد إسلامية عريقة كأهل مالي والسنغال وغينيا، وبين المسلمين (الكنقوليين) فأولئك هم أهل السبق إلى الإسلام، وهم الذين بدؤوا عمارة المساجد عمارة حسية بالتشييد والبناء، ثم عمارة معنوية بالصلاة والكتاتيب الإسلامية.

وقد بدأ الإخوة الكنقوليون من أهل البلاد الأصلاء في اللحاق بهم في هذا الأمر، ولكن المسلمين القدماء أكثر مالاً لأنهم يعملون في التجارة.

ثم اطلعنا في ركن من المركز على ما سمي بمكتب الرابطة، وهما غرفتان إحداهما مملوءة بنسخ من ترجمة معاني القرآن الكريم بلغة اليوربا الذين مساكنهم في غرب نيجيريا ويوجد منهم أناس في بعض البلدان المجاورة لها مثل بنين، وينبغي إرسال هذه النسخ إلى نيجيريا ؛ لأن الناس يحتاجونها هناك حاجة عظيمة، وبخاصة أن اليوربا لا تزال توجد بينهم بنسبة لم تدخل في الإسلام بعد، وإن كان الداخلون في الإسلام منهم يزيدون على الأيام.

والواقع أن الأخ الشيخ (آدم سيسي) أحق من غيره بالقيام على مكتب الرابطة بعد تجهيزه، لأنه يعرف العربية جيداً، وهو حسن العقيدة، ويعرف

سبع لغات إفريقية منها المحلية، ومنها لغات معروفة في (مالي)، وهو الآن لا يتقاضى أي مرتب أو إعانة من أية جهة خارجية .

ويدرس في المدرسة الإسلامية لبعض الوقت أحد دعاة الرابطة وهو الذي تقدم ذكره وهو محمد قاني، وبعض أيام الأسبوع يقضيها في (مسجد فيصل) الذي قام على إنشائه المسلمون الكنقوليون، وسوف يأتي الكلام عليه .

كما يقوم بالتدريس في المدرسة شخص آخر تدفع رابطة العالم الإسلامي أيضاً راتبه هو (محمد عيسى كانتي) وثلاثة من مدرسي تحفيظ القرآن الكريم جاؤوا من داكار في السنغال، ويتقاضون مكافآت شهرية من الرابطة. والمدرسة ذات غرف واسعة، ومقاعد جيدة .

وقد أخبرونا أن صلاة العيد تقام في فناء المركز الإسلامي هذا لأنه واسع مصان، وذكروا أنه يحضر صلاة العيد معهم سفراء الدول الإسلامية من مصر والجزائر وليبيا وفلسطين والعراق .

وفي المدرسة ٢٥٠طالباً وطالبة وسبعة مدرسين كلهم تدفع رابطة العالم الإسلامي رواتبهم ماعدا واحداً فهو على نفقة الحكومة العراقية .

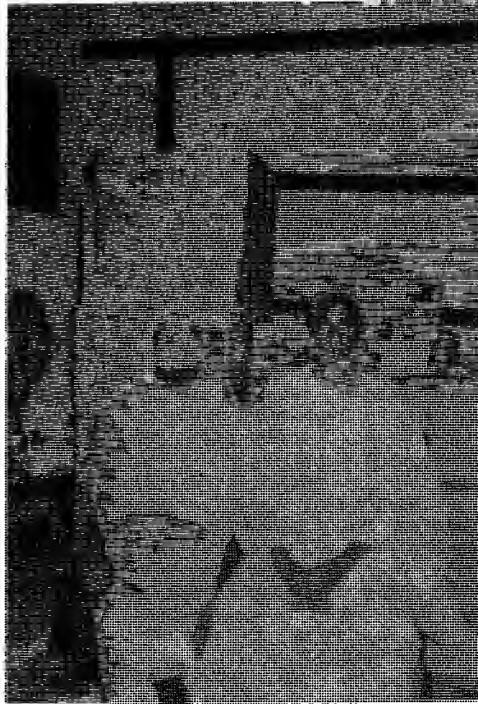
فرغنا من زيارة المركز الإسلامي وذهبنا إلى زيارة الأخ المسلم النشيط في العمل الإسلامي وهو (بلا موسى ماقاسا) فرأينا على حدود حي (فوتو فوتو) فيما بينه وبين المنطقة الجيدة من العاصمة (برازافيل) مركزاً لإحدى الجمعيات المسيحية أشار إليه المسلمون المرافقون بحسرة، وقالوا: ليس لنا مثله، وذلك لأن بناءه وتجهيزه ومحتوياته كلها تدل على التوسع في الإنفاق بل السخاء فيه، وعلى توفر المال لدى القائمين عليه .

### في متجر أحد المسلمين:

وجد الأخ (بلا موسى ماقاسا) في متجر له كبير وهو نفسه متميز في مظهره فهو مديد القامة، وجيه المظهر، شأن الإخوة الماليين - نسبة إلى مالي -

هنا إذ يتميزون بذلك على الأهالي الأصلاء الذين أكثرهم تميل أجسامهم إلى القصر .

ورأينا عنده طائفة من الإخوة من أهل مالي وكلهم كذلك متميز المظهر وبخاصة من جهة الملابس الوطنية الفضفاضة المعتنى بها التي يحرصون على ارتدائها ، وكلهم يعرف قدراً من العربية رغم وجودهم في الكنقو لسنوات عديدة، وذلك لكونهم غالباً قد تعلموا شيئاً من العربية في المدرسة في الصغر، ثم احتكوا بالموريتانيين سواء في مالي أو في هذه الأقطار الإفريقية الغربية.



**مع بلا موسى في متجره**

وفي متجر الأخ (بلا) بضائع مستوردة، منها علب كبيرة كثيرة مكتوب عليها بالعربية تبين أنها مستوردة من المملكة المغربية، وأغلبها من سمك السردين .

ولما أبديت للأخ (بلا) عجبي من حرصه على التكلم بالعربية رغم كونه لا ينطلق بها لسانه انطلاقاً يعادل قوة فهمه لها، أجاب بأنه تعلم العربية محبة في الدين الإسلامي، وأنه واصل تعلم العربية في برازافيل مع كبر سنه بسبب ذلك .

وذكر أن عدداً كبيراً من الماليين يعملون بالتجارة هنا، وأن اللبنانيين يعملون تجاراً هنا أيضاً، ولكن تجارة الماليين أقل حجماً، غير أنها أوسع انتشاراً لأن بعضهم يساكنون الوطنيين في مساكنهم ويختلطون بهم .

وقد حملني الأخ (بلا موسى) بسيارته الخاصة التي يقودها بنفسه وأمر سيارة الأجرة التي كنا قد استأجرناها يوماً كاملاً بأن تتبعنا إكراماً لنا جزاه الله خيراً .

**حي فونجا :**

عرف الأخ الكريم (بلا موسى ماقاسا) هدفنا من المجيء هنا فقرر أن نبدأ بزيارة بقية المساجد، وأن يشرح لنا أمر ما تهم معرفته من أحياء مدينة (برازافيل) عاصمة جمهورية الكنقو .

فسرنا في حي اسمه (فونجا) شارعه الرئيسي مزفت ولكن دون أرصفة، وأما شوارعه الأخرى فإنها طينية غير مزفتة، وبيوته مبنية بلبن الإسمنت ومسقفة بالصفيح، ومجاري المياه المستعملة تساير جميع البيوت، فتمر من أسفل حوائطها مما يلي الشارع وتتسلم منها المياه المستعملة التي منها المياه القذرة حيث تذهب بها إلى النهر، وإذا تلكأت تلك المياه لسوء حفر المجرى مثلاً أو لعدم انحداره انحداراً جيداً، أو بسبب الإهمال في عدم إبعاد بعض الأشياء الصلبة أو الشبيهة بالصلبة كالخرق ونحوها من المجرى فإن مياه الأمطار تساعد على دفع مياه الفضلات القذرة في المجرى، وقد تجعلها أو بعضها يفيض إلى أرض الشارع فتذهب بها السيول، وذلك لكون أغلبها

مكشوفاً .

ومن لطف الله بأهل المناطق الاستوائية التي تكثر فيها قنوات المجاري هذه أن الأمطار تنزل عليها بكثرة فتروي الأرض، وتلطف الجو، ولو كانت الأمطار قليلة، وكان إرواء الأشجار والمزروعات بالري من الآبار مثلاً لاحتاجت لأضعاف أضعاف ما تحتاجه الأشجار والمزروعات في البلدان غير المطيرة البعيدة عن خط الاستواء نظراً لشدة حرارة الشمس وقوة تجفيفها، أي تبخير المياه منها .

بل إن هذه الأمطار الغزيرة تعطي السكان أنفسهم جواً مكيفاً في هذا الموقع الاستوائي الذي تنزل فيه أشعة الشمس عمودية على الأرض، ولذلك لا ترتفع درجة الحرارة فيها كما ترتفع في البلدان الجافة البعيدة عن خط الاستواء مثل بلادنا التي تصل فيها درجة الحرارة في الصيف إلى ٤٥درجة، ولذلك أيضاً كانوا إذا تأخر المطر في هذه البلاد وأمثالها شعروا بالحر الشديد، وبقوة حرارة الشمس وسبحان الله ﴿ الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ﴾.

**مسجد فيصل :**

سماه أهله (مسجد فيصل) نسبة إلى الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود رحمه الله لأن عماد النفقة عليه جاءتهم من المملكة العربية السعودية بوساطة رابطة العالم الإسلامي في عهد الملك فيصل، وذكروا أنها لم تكن كافية لكل بناء المسجد، ولكنها كانت كافية للعزم على بنائه .

ووجدنا فيه إمامه ويدعى (عبد الله كايا) تدفع رابطة العالم الإسلامي له مكافأة شهرية لقاء قيامه بالإمامة، وهو أحد إمامين للمسجد إذْ للمسجد إمام آخر اسمه (حامدو شام) وقد جاء إلينا بعد أن علم بوجودنا في المسجد وعليه لباس عربي، والقميص العربي هنا موجود على بعض المسلمين وهو

مألوف المنظر غير أن الأخ (حامدو شام) كان يضع على رأسه شماغاً أحمر كما نفعل نحن في المملكة.

وهو يتكلم العربية رغم كونه لم يتعلمها في أي بلد عربي، وإنما تعلمها في هذه البلاد وذكر أن خاله طالب الآن في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة. وهو من أهل البلاد الأصلاء.

ثم تجولنا في المسجد فألفيناه ليس على نوافذه أبواب وإنما هي قطع من الحصير قد أسدلوها على النوافذ ؛ لأنهم لم يستطيعوا أن يجدوا ما ينفقونه على أبواب النوافذ.

هكذا قالوا لي، وهمس أحد الحاضرين في أذني قائلاً: يقال: إنهم لم يحافظوا على المال الذي حصلوا عليه للمسجد.



**في محراب مسجد فيصل في برازافيل**

والمسجد ليس له محراب داخل الجدار كما هي العادة، وإنما هو خارج عنه.

وفيه منبر بسيط جداً وليس على واجهته كتابات كالتي تكون في العادة على المحاريب أو فوق المنابر مثل الشهادتين، أو بعض الآيات القرآنية، وهذه أمور معتادة، وليست من الواجبات أو اللازمات للمسجد.

وقبة المسجد متطامنة أي غير واقفة.

وهو مبني من الإسمنت المسلح وهذا أمر جيد، غير أنه يحتاج إلى إكمال، وقد بنوا عمارته هذه الموجودة قبل سبع سنين.

وذكروا أنه يوجد حوله عدد من الإخوة الموريتانيين، إلا أنهم كانوا في أول الأمر ينتقدون إمامه بأنه لا يحسن إخراج الحروف العربية من مخارجها الصحيحة، ولكنهم الآن أصبحوا يصلون معه.



**مع إمام مسجد فيصل في برازافيل**

وذكروا أن المسجد يمتلئ بالمصلين يوم الجمعة.

وعلى يسار القبلة حوش تابع للمسجد، اشتروه من امرأة مسلمة، تحف به أشجار خضرة من بينها شجرة مروحية من اللاتي تكثر في المناطق الاستوائية وما أشبهها من المناطق المطيرة.

## المدرسة في أماكن الوضوء:

مما يحز في النفس أننا رأينا المدرسة الإسلامية، وهي كتّاب من الكتاتيب قد جعلوها في جانب من أماكن الوضوء، وأماكن الوضوء عندهم غير أماكن قضاء الحاجة، وإنما هي التي فيها صنابير المياه، وأمامها فراغ استغلوه للمدرسة؛ لأنه لا يوجد عندهم مكان آخر مسقوف صالح للمدرسة، ولو استطاعوا أن يجدوا من يبني لهم في الحوش التابع للمسجد مدرسة، أو يبني لهم ملحقاً في مكان آخر من المسجد لما احتاجوا إلى أن يضعوا المدرسة في هذا المكان غير المناسب.

ومن الطريف أن سبورة في المدرسة وجدناهم قد كتبوا عليها بالعربية، وقبل أن يعرفوا بأننا سنمر بهم: ما حكم الشارع في علم التجويد ؟

والجواب: التجويد لا خلاف في أنه فرض كفاية والعمل به فرض عين على كل مسلم ومسلمة من المكلفين.

وهذا الجواب يحتاج إلى تفصيل، ويحتاج قبل ذلك إلى بيان المراد من التجويد الذي وضع السؤال حوله.

## ليس للمسلمين مقبرة خاصة:

وجدنا في جانب من المسجد خارجاً عنه غرفة مخصصة لغسل أموات المسلمين، فسألتهم بهذه المناسبة عما إذا كان للمسلمين مقبرة خاصة بهم ؟

فأجابوا بأنه لا توجد مقبرة خاصة بالمسلمين، وإنما هناك منطقة منفصلة عن مقبرة النصارى لا يحجز بينها وبين قبور المسلمين حاجز إلا فراغ

قليل.

وذكروا أن المقبرة تبعد عن المدينة ١٩ كيلومتراً.

وأردت أن ألتقط صورة لمنارة المسجد فلم يتيسر لي ذلك إلا من بيت مجاور كان مفتوحاً، رأيت فيه عدداً من الأطفال فقالوا يحيونني: (بوتي) ترجمها الإخوة المرافقون، فذكروا أن معناها خير بلغة (باكنقو)، وهي من القبائل الكبيرة في هذه البلاد وموجودة على ضفتي نهر الكنقو أي في جمهورية الكنقو هذه، وفي (زايير) التي سنذهب إليها بعد الكنقو بإذن الله.

وسألت عن أهل هذا البيت أهم مسلمون وهم يسكنون بجانب المسجد؟

فأجابوا إنهم غير مسلمين، وذكروا والحديث الآن مع قوم من الوطنيين الأصلاء وليس مع الإخوة الماليين الذين سبق أن تحدثت معهم في هذا الموضوع من قبل أن الناس يدخلون في الإسلام بكثرة، ولكن يحتاجون إلى رعاية وتعليم، وأن المسيحيين والوثنيين يدخل منهم أناس في الإسلام في كل وقت، وأن الداخلين في الإسلام من المسيحيين أكثر من الداخلين فيه من الوثنيين.

وذكروا أن نفوذ الدعاة إلى المسيحية من الأجانب قد ضعف الآن بين السكان بعد الاستقلال، وبعد أن رحل البيض عن إفريقية.

ويذكر أن لغة (باكنقو) هي أوسع اللغات المحلية هنا، التي ذكروا لنا أن عددها أي عدد اللغات المحلية في الكنقو يصل إلى اثنتين وخمسين لغة غير أن أكثرها محلي لا يتكلم به إلا قليل من الناس.

**أول مسجد:**

ودعنا الإخوة أهل (مسجد فيصل) وانطلقنا لرؤية أول مسجد في مدينة برازافيل، واسمه المسجد الكبير. ذكروا أن بناءه كان ما بين عام ١٩٢٠ م إلى عام ١٩٣٢ م.



**أول مسجد، أو المسجد القديم في برازافيل**

وذكروا أن الفرنسيين ساعدوا على بنائه، بمعنى أنهم كانوا يساعدون على جمع التبرعات ويشرفون على صرفها تقرباً إلى رعاياهم من المسلمين، وفيهم من ساعدوهم في إدارة البلاد أول ما دخلوها وبعد ذلك، وضربوا على ذلك مثلاً بالشخص الذي اسمه (الأمين سيسي) كان مساعداً للقائد الفرنسي الذي سميت هذه المدينة (برازافيل) على اسمه أي مدينة برازا كما سبق.

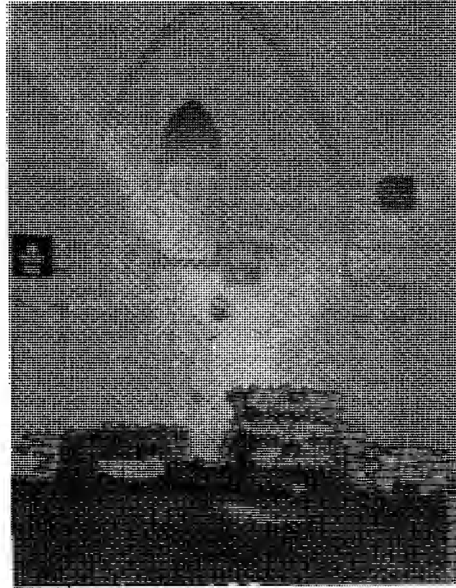
وذكر أن الأمين سيسي حكم برازا نفسها للفرنسيين مدة ثلاث سنين ولذلك سميت باسمه حارة فيها (لامينس) أي حارة الأمين أو الأمينية.

والمسجد كبير حقاً بالنسبة إلى سعة المساجد في هذه البلاد، ويدل على القدرة المالية أو لنقل السخاء بالنفقة مما يدل على أن التبرعات التي كانت جمعت له كانت سخية .

ورأينا على يسار المسجد مما يلي مستقبل القبلة فناء واسعاً مكشوفاً ذكروا أنه يصلح لبناء مدرسة عليه وهم في أمس الحاجة إليها ، إلا أن النفقة لا تسعفهم إمكاناتهم بالحصول عليها في الوقت الحاضر .

**واجب المسلمين :**

وكل هذه الأشياء التي رأيناها هنا أو أكثرها يذكرنا بواجبنا المؤكد إزاء الدعوة الإسلامية بصفة أساسية لأن وظيفة المسلمين أن يدعوا إلى الله على بصيرة كما قال تعالى لرسوله ﷺ : ﴿ قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾ ، ثم إنه واجب من ناحية مساعدة الإخوة المسلمين الموجودين وسط أكثريات غير مسلمة ، وأمام تحديات من دعوات دينية أو اجتماعية ذات إمكانات ضخمة .



**في محراب الجامع العتيق في مدينة برازافيل وهو أول مسجد**

ونحن المسلمين في مختلف أقطارنا وأمصارنا نملك من الإمكانات المالية والبشرية التي يمكننا أن نقدم بعضها إلى إخواننا المسلمين في بلاد

الأقليات ما يكفي لسد حاجتهم ويزيد .

ولكننا لا نفعل ذلك بسبب التقصير من العارفين بأحوال المسلمين - أمثالنا - في شرح الموضوع و بسبب عزوف بعض حكام البلدان الإسلامية عن الدعوة إلى الله، بل بسبب صد بعضهم الناس عنها ، وذلك لأنهم أنفسهم لم يربوا تربية إسلامية تجعلهم يشعرون بشعور المسلمين، ولكون بعضهم يخشى الناس ولا يخشى الله فيخاف من أن ينبز بأنه رجعي ومتخلف أو حتى بأنه يحارب النصرانية التي يقوم بها أناس غربيون متمدينون.

إننا ونحن نذكر هذه الأشياء التي تدعو للأسف نعرف أن حالنا الآن هي أحسن مما كانت عليه من قبل من ناحية الاتصال بالإخوة المسلمين ومساعدتهم على أمور دينهم، وأن الشعور بذلك في بعض البلدان الإسلامية هو أحسن مما كان عليه الأمر في الماضي بكثير، وناهيك بالجهود التي تنطلق من المملكة العربية السعودية في الوقت الحاضر إذا قورنت بما كان عليه الحال قبل عشرين سنة .

ولكن هذا لا يكفي عن إخواننا المسلمين الذين لم يقدم بعضهم شيئاً في هذا الأمر حتى الآن يستوي في ذلك منهم الحاكم والمحكوم.

والعجيب من بعض العرب الذين يدعون القومية العربية، ويكافحون من ينكر التعلق بها وهم يرون أن المسلم في أي مكان في العالم إذا اعتنق الإسلام أو تمسك به فإنه يبدأ أول الأمر بكلمات من العربية يؤدي بها شعائر دينه، ويبدأ بتعلم الكتابة العربية ، فهذا مكسب عظيم، بل مكاسب عظيمة للغة العربية لا تقدر بثمن، ولو كانت لغتنا العربية لغة أمة من الأمم المتعلمة في الوقت الحاضر كالأمم الأوروبية، ووجدت أمامها هذه الفرص العظيمة للتعلم والانتشار لسارعت إلى تشجيع تعلمها وتعليمها ولاستدانت إذا كانت لا تستطيع أن تجد ما تنفقه عليها .

وإذاً فإن الوفاء للدعوة الإسلامية يعتبر وفاء بالتبعية للغة العربية وللثقافة العربية، ويجدر بالعرب سواء أكانوا متدينين أو غير متدينين أن يشجعوا الدعوة الإسلامية ويحرصوا على تقوية الروابط الثقافية مع الإخوة المسلمين في بلاد الأقليات المسلمة .

وقد رأيت مثالاً على ذلك في سبورة موضوعة في رواق هذا المسجد مكتوباً عليها سورة الكافرون بخط عربي مغربي، وكرر الأخ المالي (بلا موسى) ما قاله عن نفسه، وهو أن كثيراً من المسلمين هنا يتعلمون العربية محبةً في الدين الإسلامي ولو كانوا تعلموها عن كبر، أو قصروا عن تعلم العلوم الأخرى.

ومن الأشياء التي استرعت انتباهي في مظهر المسجد أن لون طلائه الخارجي أصفر فاقع مما ليس كثيراً في المساجد كما ألفناها.

وله منارة أو صومعة كما تسمى في المغرب أندلسية مربعة غير عالية وعليها شرفات عربية أصيلة إلا أنها غير عالية، كما تحيط هذه الشرفات العربية بسطح المسجد.

ومن حسن حظي أن المطر كان قد وقف فتمكنت من التقاط صور خارجية للمسجد ومنارته.

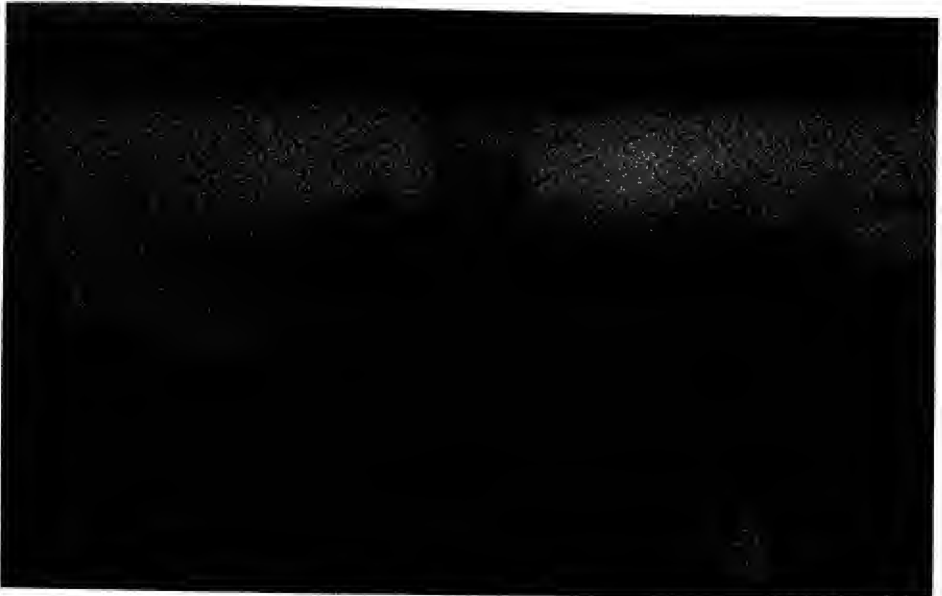
ومن الأمور الجديرة بالذكر أننا وجدنا في المسجد أخوين من تنزانيا اسم أحدهما مولود رمضان واسم الآخر سالم عوض، يتكلمان العربية والسواحلية ولا يعرفان الإنكليزية، ذكروا أنهما قدما إلى هذه البلاد من أجل تبليغ الإسلام، وأنهما من دار السلام العاصمة، ويرتديان الملابس العربية، وقد قصدا المسجد لغرض التبليغ، ولأنهما يستطيعان الإقامة، إذ لا يستطيعان دفع المصاريف الباهظة للفنادق، وذكرا أنهما قدما بطريق البر وهو طريق طويل كما هو معروف، ولا توجد فيه طرق برية مسفلتة، وإنما أكثرها طرق ترابية صعبة، ولكن المرء إذا أخلص النية وصح عزمه على

العمل سهل الله له ما كان صعباً على غيره، لأنه هو نفسه يصبح الصعب لديه سهلاً، بل إنه قد يستطيب تحمل الصعاب طمعاً في الثواب الجزيل من الله.

كما وجدنا طائفة من الإخوة المسلمين في المسجد من أهل البلاد، بعضهم يصلي، وبعضهم يقرأ القرآن، وبعضهم جالس وكأنه لا عمل له رغم كون الوقت ضحى.

**مسجد شارع الهوسا:**

كان أول ما لفت نظري في هذا المسجد أن لافتته مكتوبة بالعربية وحدها (مسجد شارع هوسا)، وشئ آخر وهو أن محلات الوضوء التابعة للمسجد مبنية في الشارع خارج المسجد ومكشوفة للناس، وهي للوضوء فقط دون قضاء الحاجة، ويستطيع أن يأخذ منها الماء، ويغسل جسمه أي شخص يمر بها ولو كان من غير المسلمين وهي نظيفة.



مسجد شارع الهوسا في برازافيل

وهذه فكرة جيدة فيها دعوة لدخول المسجد للتعرف على القائمين عليه عند رؤية محلات الوضوء التي لا تكثر مثيلاتها أو لا توجد على صفتها في مكان غيره.

وقد حمل الإخوة على جعل أماكن الوضوء في الشارع خارجة من المسجد ضيق المساحة، وعدم وجود مكان مناسب لها داخل ملحقاته.

وقد بنى المسجد أخ مسلم اسمه (مالا أحمد) توفي قبل سنتين، وهو هوساوي من تشاد، كان أول ما عمله أن أخرج أرض المسجد من بيته الذي كان يسكنه، ولذلك نلاحظ أن مساحته ضيقة تبرعاً واحتساباً للأجر من الله تعالى، ثم ساعده المسلمون على بناء المسجد، ولكن كان هو المتولي لذلك الساعي فيه.

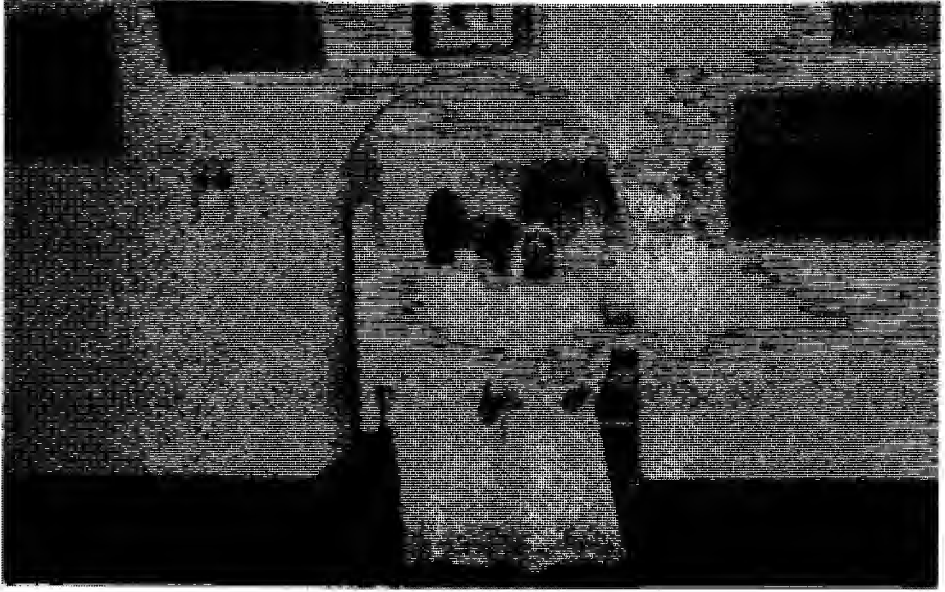
وجدنا أحد الإخوة المسلمين في المسجد، فأحضر الإمام الثاني للمسجد واسمه (محمد الثاني)، وذكر لنا أنه والإمام الأول ليست لهم رواتب ثابتة، وأنه لا يوجد في مدينة برازافيل إمام يتسلم راتباً شهرياً إلا إمام (مسجد فيصل) فهو يتسلم راتبه من الرابطة، كما ذكر أن المسجد تصلى فيه الصلوات الخمس، ولكن لا تقام فيه الجمعة لضيقه.

ومظهر المسجد من الداخل جيد معتنى به، ومن ذلك أنه مفروش بفراش مناسب بل جيد، وقد علقوا عليه لوحات عربية متعددة.

ذكروا لنا أن المسجد يضيق بالمصلين، وأن هناك بيتاً مجاوراً يريدون شراءه من أهله، ولكنهم عاجزون عن جمع قيمته.

وقد أخبرتهم أننا في رابطة العالم الإسلامي نستطيع أن نساعدهم على شراء هذا البيت، ولكن لابد لهم من أن يجمعوا فيما بينهم شيئاً من النقود تحتفظ به جمعية المسجد لكي تضم إليه ما يتيسر من النقود بعد ذلك من الرابطة وغيرها، ثم تقوم على هدمه وتوسعة المسجد به كما يريدون.

أما بقاؤهم على ما هم عليه من مجرد التمني فإنه لا يحقق شيئاً ، بل لابد من بداية صحيحة للعمل.



**في محراب مسجد شارع الهوسا في برازافيل مع إمام المسجد**

وكان الإمام الثاني والشخص الذي وجدناه في المسجد يتكلمان العربية ، ولما سألتهما عن ذلك ؟ أجابا بأن كثيرين هنا يتكلمون العربية ومنهم هذا الأخ، وأشارا إلى أخ حلاق سألته عن اسمه فأجاب بعربية واضحة قائلاً: أنا أستاذ في الحلاقة ، وذكر أنه من تشاد وأن اسمه هو (كونو ماكان قاما ).

ومن المعروف أن اللغة العربية في تشاد هي أوسع اللغات وأنها وسيلة التفاهم بين أبناء الشعب الذين يتكلمون عدة لهجات، حتى الجنوب الذي تقطنه أكثرية غير مسلمة لا يتفاهم أهله فيما بينهم ومع الآخرين من مواطنيهم إلا بالعربية ، فضلاً عن كون العربية هي لغة بعض الأقاليم في شرق البلاد كإقليم (أبشا)، وهي اللغة الوحيدة في المناطق المجاورة لغرب السودان من جهة مدينة الجنينة السودانية.

**العودة إلى مسجد أهل السنة :**

وكان معنا إمامه، مرافقنا الشيخ (آدم سيسي) وهو مالي - نسبة إلى جمهورية مالي، وليس إلى المال فهو ليس من أهله - وهو ذكي لبق، مثل مرافقنا الآخر المالي أيضاً، ولكن تصح نسبته إلى المال وإلى القطر المالي.

وكان ما لفت نظري أول الأمر في مسجد أهل السنة هذا، أن محرابه ليس داخلاً في الحائط القبلي، وإنما هو بارز عن الحائط بروزاً خفيفاً لا يزيد عن الشير، وكذلك المنبر متطامن له ثلاث درج.

والمسجد خالٍ من التزويق ولكنه نظيف، وفراشه جيد نظيف، وكذلك نوافذه جيدة أيضاً ويدل ذلك على العناية به.

ذكروا أنه بني قبل إحدى عشرة سنة، وجمعت له التبرعات من أهل الخير من المحبين للسنة خاصة في هذه البلاد دون أية مساعدة من الخارج.

وكلمة (أهل السنة) هنا كما هو ظاهر تعني الذين يحاربون البدعة في الدين، ويخالفون المخرفين وأهل الطرق الصوفية، ولا تعني ما يقابل الشيعة كما هو المألوف في بعض البلدان العربية التي فيها جماعات من الشيعة.

ومن المفرح أن المسجد صار يضيق بالمصلين لكثرة الذين يقصدونه ولذلك اشتروا أرضاً بجانبه بثلاثة عشر مليوناً من الفرنكات الإفريقية الغربية، ويريدون عمارتها وتوسعة المسجد بها، وهم يجمعون النقود الآن لذلك الغرض.

وذكروا أن المسجد يضيق بالناس يوم الجمعة خاصة، فيصلون في الشارع، وذلك لأن المسلمين يزيدون زيادة نوعية أكثر من غيرهم، وذلك لتعدد الزوجات عندهم، وكثرة النسل إضافة إلى الزيادة الحقيقية من دخول أعداد من الناس وبخاصة من المواطنين الأصلاء في هذه البلاد إلى الدين الإسلامي الحنيف.

ولهذا السبب أخبرنا الإمام وبعض الإخوة أنهم يفكرون أيضاً في شراء بيوت مجاورة للمسجد يريد صاحبها أن يبيعها ويلحقوها بالمسجد، وتتألف من ثمان غرف يسكن فيها نحو أربعين شخصاً من أهل البلاد من غير المسلمين، وقد عرض صاحبها أن يبيعها بخمسة عشر مليون فرنك إفريقي غربي.

وهي مبنية بلبن الإسمنت، ومسقفة بالصفيح على هيئة غرف منفصلة من طابق واحد وما بينها يعتبر فناءً مشتركاً للسكان رأيناهم يطبخون فيه طعامهم، ويغسلون ملابسهم، وقد انتشر أطفالهم فيه.

وهذه عادة إفريقية أصيلة أن تطبخ المرأة طعامها في خارج بيتها لأن البيوت ضيقة، ولا يرى الناس حرجاً في أن يرى بعضهم بعضاً خارجها، ولا في أن يقوموا بقضاء حاجاتهم هناك، ويخصص البيت للأمور السرية جداً، أو للاستظلال من الشمس.

وقد رأينا في المسجد سبورة كبيرة في مؤخرته ذكر الإمام أنها تستعمل لتعليم أطفال المسلمين، كما أن فيه درساً دينياً يقام ما بين صلاتي الظهر والعصر من كل يوم.

وقد أخبرنا الإمام والذي معنا أننا سوف نقدم مبلغاً رمزياً عاجلاً من المال إسهاماً من رابطة العالم الإسلامي في سد ما يحتاجه المسجد، على أن يكتبوا لنا في الرابطة فيما بعد بطلب المساعدة على توسعة المسجد، كتابة توضح التكلفة المطلوبة وما جمعوا منها وما يحتاجون إليه من الرابطة، وأن الأفضل أن يكون ذلك باطلاع مدير مكتب الرابطة في كنشاسا المجاورة وتصديقه، ونحن مستعدون لإرسال المساعدة المالية على ذلك إذا فعلوه.

ثم عدنا إلى الحي الحديث الجيد الذي فيه فندقنا، وكأنما كنا إذْ وصلناه قد خرجنا من مدينة إلى مدينة أخرى، وذلك لعظم الفرق ما بينه وبين هذه الأحياء الشعبية التي تجولنا فيها.

**على ضفاف الكنغو:**

وكانت لي جلسة هادئة للكتابة في مقهاة الفندق التي تقع على الضفة الشمالية لنهر الكنغو الذي سميت على اسمه هذه البلاد، وذلك على إبريق من الشاي كانت قيمته ستمائة فرنك، ويرى المرء بوضوح أرض (زايير) على الضفة الأخرى التي هي الجنوبية للنهر، كما يرى مياه النهر حمراء، وكأنما هي غضبى لوجودها عند من لا يقدرونها حق قدرها فيتركون معظمها يذهب إلى البحر المحيط الأعظم كما كان يسميه أسلافنا العرب وهو المحيط الأطلسي كما نسميه نحن المحدثين.

فالنهر في حالة فيضان، ولذلك يحمل أغصاناً خضراً وأشجاراً صغيرة مما جرفه الفيضان من الأشجار.

وقد وقف المطر الآن فأصبح الجو جيداً لا حرارة فيه رغم قربنا من خط الاستواء، ولكن ذلك بسبب الرطوبة في الجو، وهطول الأمطار البارحة وفي هذا الصباح.

والمنطقة جميلة هنا إلا أنها غير مجمّلة، فأهلها قد ألهاهم طلب العيش عن تجميل الجميل، أو ربما لا يبالون بذلك، وإلا فإن ضفاف هذا النهر العظيم يبدو أكثرها غفلاً مهملاً كما تركه أجدادهم الأقدمون، حتى الزراعة المفيدة ليس على الضفاف منها شئ، لأنهم يبحثون عن الزراعة في أراضٍ منبسطة سهلة الحرث.

وشئ آخر وهو ابتغاء الجمال في الوجوه الإنسانية وهو هنا نادر أو يكاد أن يكون معدوماً، وليس معنى ذلك أن الجمال المألوف لنا في الوجوه العربية والأوروبية هو المعدوم، وإنما المقصود أن الجمال الإفريقي الأسود ليس كثيراً هنا كالجمال الموجود في وجوه التكرونيات من أهالي السودان الغربي - بالغين المنقوطة - الذي يشمل مالي والنيجر وشمال نيجيريا وغرب تشاد والجزء الأكبر من السنغال، فذلك هو الذي يعرفه أسلافنا المؤرخون من العرب باسم

السودان.

أما السودان العربي - بالعين المهملة - الذي نعرفه الآن باسم السودان فإنه ليس تاريخي التسمية، وإنما تسميته محدثة ربما لا يزيد عمرها عن مائة سنة.

ولكنها قد تولد الوهم لمن يقرأ كتب الثقافة العربية القديمة فيرى أنها تذكر السودان، فيظن أن المراد به هو السودان العربي الذي عاصمته الخرطوم في الوقت الحاضر فيوقعه ذلك في الوهم.

### جولة في الحي الحديث:

تجولنا عصراً في الحي الحديث من هذه العاصمة الإفريقية الخالصة وهو حي جيد الأبنية إلا أن الأرصفة فيه بعضها جيد وأكثرها ترابي أي مفروش بالبلاط أو الإسمنت.

وفيه مباني الإدارات الحكومية مثل: مقر بلدية برازافيل، الذي كتبوا عليه اسمها (فندق المدينة) هوتيل دي فيل، وفيل: مدينة بالفرنسية.

ثم مقر وزارة الخارجية الكنقوية وإن شئت قلدت الفرنسيين أو اللغة الفرنسية، فقلت: الكنقولية، وهو غير وجيه المظهر.

ثم وصلنا إلى منازل في مكان مرتفع، ذكروا أنها مساكن لقادة الجيش من أهل البلاد متوسطة.

وفي هذا الحي الحديث حدائق نضرة الأشجار، وأكثر الأشجار فيها ظهوراً نخيل ليس بذي تمر، فبعضه وهو قليل من النارجيل وبعضه من نخيل الزينة.

ومررنا بقصر الرئاسة، ويقع في منطقة ممتازة على النهر، والحي كله واقع على النهر إلا أن بعض منازله لا يقع عليه مباشرة كما هو الأمر

الطبيعي.

ثم مررنا بمعهد يسمى معهد باستور، وهو العالم الفرنسي الذي يعد أول من شاهد أنواعاً من الجراثيم الصغيرة ووصف هذه المخلوقات الصغيرة وصفاً صحيحاً.

ومقر الحزب الحاكم في البلاد في منطقة جيدة مهذبة الأشجار وبقربه وزارة المالية، ولا تعد شيئاً إذا قورنت بأبنية وزارات المالية في البلدان العربية، وذلك لضعف هذه البلاد من الناحية الاقتصادية التي سببها ضعفها من الناحية الإدارية، وإلا فإنها تملك موارد طبيعية جيدة، غير أنها لا تتصرف فيها بالطريقة الصحيحة المطلوبة شأنها في ذلك شأن كثير من البلدان المتأخرة في الإدارة .

ومن الأماكن البارزة العامرة هنا: المركز الثقافي الفرنسي، وحق له أن يكون كذلك، ففرنسا كانت تستعمر هذه البلاد، وقد صبغتها بصبغتها الثقافية حتى إن اللغة الرسمية فيها هي الفرنسية إضافة إلى ما هو معروف عن الفرنسيين من حرصهم على تنمية علاقاتهم الثقافية بالشعوب الأخرى وبخاصة مَنْ كان منها من مستعمراتهم السابقة، وقد أبقوا على الروابط الوثيقة معها من النواحي الثقافية والاقتصادية .

وهم في هذا يخالفون الإنكليز الذين كادت تنقطع صلاتهم بمستعمراتهم الإفريقية السابقة، وإن كانت لا تزال تلك الأقطار تستعمل اللغة الإنكليزية لغة رسمية لعدم وجود لغة وطنية شاملة فيها.

ومن المظاهر الواضحة على تلك العلاقات القوية بفرنسا أننا شاهدنا تمثالاً كبيراً بارزاً للجنرال ديغول زعيم فرنسا الحديثة قد أقيم وسط حديقة عامة كبيرة ومعتنى بها .

**حي باكنقو:**

وباكنقو إحدى القبائل الكبيرة في البلاد كما تقدم، ويقيم قسم من القبيلة في زايير وقسم في الكنقو أي أنها تسكن على ضفتي النهر، وليس معنى ذلك أنها الوحيدة في السكن في الضفتين ؛ لأن المدينتين الرئيسيتين على ضفتيه وهما كنشاسا عاصمة زايير وبرازافيل عاصمة الكنقو قد أصبح السكان فيهما مختلطين، إذ هاجر إليهما طوائف من الأفارقة الذين كانوا يسكنون في الغابات الداخلية من البلاد .

وهذا الحي هو إفريقي خالص بخلاف الحي الحديث قبله الذي هو أوروبي يكاد يكون خالصاً حتى سكانه أكثرهم من البيض الذين يعملون في هذه البلاد ، ما عدا العاملين في الوزارات والإدارات الحكومية والمؤسسات الأجنبية من المواطنين السود .

ويشق حي (باكنقو) شارع رئيسي يمتد من الشرق إلى الغرب سلكناه فأفضى بنا إلى:

**حي جوي:**

وهو حي ريفي يسكنه صيادو الأسماك، وقد سمي على اسم نهر هناك اسمه (جوي) يصب في نهر الكنقو ويعتبر أحد روافده .

رأينا مناقع كثيرة للمياه في هذا الحي، وبعض مياه الأمطار لا تزال تجري قاصدة نهر(جوي) الذي مررنا فوق جسر قد أقيم عليه. وقد امتلأ النهر بمياه الفيضان ذات اللون الأحمر .

والنهر يسرع في تدفقه قاصداً نهر الكنقو ليزيده مياهاً لا يحتاج إليها ولكنها عند قوم لا يستطيعون إلا أن يفسحوا الطريق لها والهروب أمامها لتضيع في مياه هذا النهر الكبير الذي ستضيع مياهه في خضم البحر المحيط.

وهذا الجسر فوق نهر (جوي) قد أقامه الفرنسيون إبان الاستعمار، إلا أنه أصبح الآن رثاً مهملاً بل متسخاً. لأن الحكومة الوطنية لم تنله العناية الكافية التي أنالته إياها الحكومة الاستعمارية، وأن الحكومة الوطنية لا تستطيع أن تنيله تلك العناية ولو أرادت ذلك لمجرد الإرادة دون فعل الأسباب اللازمة لتنفيذها .

## في ريف الكنقو:

وقعنا في الريف خارج البلدة مع طريق إزفلتية ذاهبة إلى (بوينت نوار) ومعناها: النقطة السوداء وهي ميناء على المحيط يصلها بالمدينة برازافيل خط للسكة الحديدية كما تقدم.

والطريق إزفلتية كما قلت إلا أنها سيئة مهملة، لا تلقى العناية أو لا يجد المسؤولون عنها الإمكان لترميمها وإصلاحها، لذلك كثرت فيها الحفر، وتكسرت أماكن عديدة من أطرافها .

أما الريف نفسه فإنه أخضر يانع الخضرة، وأكثر الأشجار العالية فيه ظهوراً نخيل الزيت التي تشبه نخيل التمر عندنا إلا أنها أقل منها رشاقة .

## زعيم ومائة زوجة:

أشار السائق والمرافقون إلى قبر على يسار الطريق لم نقف عنده وقالوا باهتمام: هذا هو قبر الزعيم (ماكوتا) وهو زعيم قبلي إفريقي مات في عام ١٩٦٤م وكانت له مائة زوجة .

وكان لا يعرف أولاده لكثرتهم، وهو زعيم قبيلة (لاري) .

قالوا: الآن لا يكاد يوجد مثله؛ نظراً للتطور الذي نشأ على المجتمع الإفريقي، فضلاً عن أن كثيراً من الأفارقة قد تخلوا عن الوثنية، ودخلوا في المسيحية أو الإسلام .

وكنا نسير على الطريق فاعترض طريق سيارتنا رجل سكران فكادت السيارة تدهسه، لولا أن السائق تفاداه بصعوبة، وقد منعه سكره أن يميز بين الطريق المؤدي للحياة والطريق المؤدي للموت.

**قرية إنقالاي قولو:**

ثم وصلنا إلى قرية في الريف اسمها (إنقالاي قولو)، أهلها فاحمو السواد كسائر الناس هنا، وأكثر بيوتها من لبن الإسمنت، وسقوفها من الصاج المسنم لكي تنزلق عنها مياه الأمطار.

ومن الأشجار الظاهرة هنا العمبة (المانجو) وقد رأينا ثماراً منه متساقطةً في الطريق بسبب الأمطار الغزيرة، وبعضها فاسد، وقد غمرت مياه الأمطار بعض الأراضي المنخفضة. ومن المزروعات المفيدة هنا (الكسافا) وهو الغذاء الإفريقي لطوائف كثيرة من الناس، والذي يؤكل منه هو عروق غليظة في الأرض، وكذلك رأينا نوعاً من اللوبيا يحبه الأهالي.

وقد ظهرت أمامنا ونحن نسير في الطريق ربى خضر قد جللها على البعد سحائب ثقيلة سود، كأهل هذه البلاد وقالوا لنا بهذه المناسبة: إن موسم الأمطار هنا هو تسعة أشهر في السنة يريدون بها التي تسقط فيها الأمطار عادة، وإلاّ فإن موسم الأمطار الغزيرة أقل من ذلك. ولذلك لا يحتاجون لمياه الأنهار للري إلا لثلاثة أشهر.

وعلى أية حال فإن طبيعة الريف هنا جميلة إلا أنه ليس فيه تجميل اصطناعي بل أن الغالب عليه هو الإهمال.

هذا ولباس الرجال هنا هو الإفرنجي الخفيف أ ي القميص ذو الكمين القصيرين وكثيراً ما يكون مفتوح الصدر، والتُّبّان وهو السروال القصير الذي يقف فوق الركبة.

وأما النساء فإنهن يلبسن القمص القصيرة الأكمام وأحياناً لا يكون

لها أكمام أصلاً، وتحت ذلك فوطة كثيراً ما تكون مستوحاة من لباس القبيلة قبل التمدن، وذلك فيما يتعلق بطولها وقصرها والغالب أن تكون طويلة تصل إلى نصف الساق.

## حديث عن المسلمين في العاصمة:

زارنا بعد المغرب من هذا اليوم جماعة من المسلمين يتقدمهم (أبو بكر كيتام) درس العربية في المدينة المنورة، ويعمل في وزارة الخارجية الكنقوية ويقول: إنه هو مترجم الدولة، ومعه عدد من الإخوة المسلمين أهل البلاد.

وقد تحدثوا عن أحوال المسلمين خاصة وعن أحوال البلاد بصفة عامة. ومن ذلك قولهم: إن سكان العاصمة نفسها وهي برازافيل هم خمسمائة وخمسون ألفاً وفيها خمسة مساجد.

قالوا: أما كنشاسا المقابلة لها على ضفة النهر وهي عاصمة زايير فإن عدد المسلمين فيها يبلغ أربعمائة وخمسين ألفاً وليس فيها إلا ثلاثة مساجد.

هكذا قالوا مع أنه تبين لنا فيما بعد أن عدد المساجد في كنشاسا أكثر من ذلك، لكن القوم أرادوا أن يفتخروا بكون حالة المسلمين في عاصمة بلادهم أحسن منها في عاصمة بلاد زايير المجاورة.

والواقع أن الأمر كذلك بالنسبة للمساجد وبالنسبة إلى الحالة العامة كما قد يأتي بيان لذلك في آخر الكتاب.

وذكروا أنه رغم وجود خمسة مساجد في برازافيل فإنها تحتاج إلى مسجد كبير، وأن حلم المسلمين هو أن يبنوا فيها مسجداً كبيراً واسعاً يكون مظهراً من مظاهر الوجود الإسلامي القوي فيها.

كما تحدثوا عن وجود المساجد في عدد من مدن الكنقو منها مدينة (بوينت نوار) التي تقدم ذكرها، وبلدة (ولوسي) فيها مسجدان، وبلدة

(جاكوب) فيها مسجد واحد، وكذلك في بلدة (لوتو) مسجد واحد.

وكرروا ما قاله لنا إخواننا الذين رأيناهم في هذا الصباح وهو أن الفرصة سانحة لدعوة أهل البلاد الأصلاء إلى الإسلام وإدخال أعداد كبيرة منهم فيه بسهولة، ولكن المهم هو وجود الدعاة والمرشدين الذين يكونون على المستوى المطلوب لمثل هذا الغرض .

**البحث عن مطعم:**

انتهى اجتماع هؤلاء الإخوة المسلمين في الثامنة وهو اجتماع كنا رغبنا في عقده وسعى في تنظيمه بعض الإخوة هنا.

وخرجنا بعد ذلك نبحث عن مطعم جيد نتعشى فيه لأن مطعم الفندق على النظام الأوروبي، وقد جربناه في الغداء فوجدناه نزر الغذاء غالي الثمن.

قصدنا مطعماً لبنانياً ذكروه لنا وذكروا أن صاحبه مسلم لبناني وكان معنا أحد الإخوة المسلمين من الكنقويين، فوجدنا قبل المطعم أنبوباً حديدياً موضوعاً معترضاً على الطريق حوله شرطي، فألح الأخ الكنقوي بالوقوف عنده، وقال: لو لم نقف لأطلق علينا الجندي الرصاص وذلك لكون هذا الشارع يؤدي إلى القصر الجمهوري.

وشرح للجندي الأمر فذكر له أننا ضيوف من السعودية نريد المطعم اللبناني، فسمح الجندي لنا بالمرور، ووجدنا المطعم مفتوحاً فيه صاحبه، ولكنه لا يعمل وليس عنده طعام، وعلل ذلك بوقوع المطعم في طريق القصر الجمهوري الذي يضع الجنود عليه هذا الحاجز في الليل ويمنعون من يريد أن يتجاوزه.

قال: ولذلك لا يعمل المطعم إلا في النهار، حيث لا يكون هناك حاجز يمنع الناس من الوصول إلى المطعم.

والمطعم اللبناني يقع في موقع جميل من نهر الكنقو، ولكن قربه من القصر الجمهوري جنى عليه وكان قبل ذلك مزية له.

وذكر صاحب المطعم أن مطعمه هو اللبناني الوحيد، وأن كثيراً من الأوروبيين واللبنانيين الموجودين هنا وهم قلة الآن وكذلك علية القوم من الكنقويين يأكلون عنده .

وقال: إن هذا الحاجز لم يقم إلا منذ فترة قصيرة، وإنه سوف يؤثر عليه

تركنا المنطقة التي يقع فيها المطعم اللبناني على النهر وذهبنا إلى حي جيد في قلب المدينة التجاري الحديث حيث دلنا الأخ الكنقوي على مطعم لامرأة مسلمة من السنغال اسمه (كيام)، فأكلنا عندها سمكاً وأرزاً بأربعة آلاف فرنك إفريقي غربي ويعادل ذلك أي نحو ٤٠ بالريال السعودي .

وهذا غلاء فاحش إذا قورن بأسعار الأرز والسمك في بلادنا .

ومما يذكر أن عملة هذه البلاد (الكنقو) هي الفرنك الإفريقي الغربي الذي يتعامل به عدد من الدول التي كانت مستعمرات فرنسية سابقة، وهو مربوط بالفرنك الفرنسي، لذلك يعتبر عملة موثوقاً بها، وقد حمى البلاد التي تتعامل به من انهيار العملة كما حدث بالنسبة للبلدان التي خرجت منه كغينيا أو التي لم تدخله أصلاً من المستعمرات الإنكليزية السابقة، إذ انهارت أقيام عملتها. بل بعضها صارت لا تساوي إلا أقل من عشر قيمتها مثل غانا على غناها بالموارد الطبيعية كالذهب الذي كانت تسمى من أجله في السابق: ساحل الذهب ...

## يوم الثلاثاء ٢٥/٢/١٤٠٤هـ

### توزيع المساعدات المالية :

أمضينا صباح هذا اليوم في توزيع المساعدات المالية على المساجد التي رأيناها ، وذلك بحضور القائمين على المساجد ، وزعماء المسلمين، فمثلاً كنا نطلب أن يحضر رئيس جمعية المسجد والأمين العام أو نائبه ، وأمين الصندوق ونعطيهم المبلغ بالدولارات الأمريكية أمام زعماء المسلمين ونخبرهم بالهدف منه طبقاً لما كنا شاهدناه أمس ، وقدرناه من حاجة تلك المساجد إلى المساعدة .

وقد اقتصرنا على إعطاء المساعدات المالية للمساجد التي شاهدناها ، أما التي لم نتمكن من مشاهدتها لكونها خارج العاصمة فقد أوعزنا إلى زعماء المسلمين هنا أن يطلبوا من المسؤولين عنها تقديم طلبات المساعدة إلى رابطة العالم الإسلامي وتوثيقها كالمتبع الذي أخبرناهم به ، وأن يجعلوا إرسال المساعدة والتأكد من توثيق ما يذكرونه من معاملات بوساطة مكتب رابطة العالم الإسلامي في كنشاسا المجاورة .

# إلى زايير

**من برازافيل إلى كنشاسا :**

ولو كنا قدمنا قديماً إلى هذه البلاد وأردنا قطع نهر الكنقو من الجانب الشمالي هذا إلى الجانب الجنوبي منه كما نفعل الآن لجعلنا العنوان هكذا : (من برازافيل إلى ليوبولد فيل) لأن ليوبولد فيل، كان هو اسم عاصمة زايير الذي كان يسمى الكنقو البلجيكي، إبان الاستعمار، وكانت عاصمته تسمى (ليوبولدفيل) أي مدينة ليوبولد، وليوبولد هو أحد ملوك البلجيكيين .

والوسيلة للوصول إلى كنشاسا من برازافيل وبالعكس هي العبّارة الكبيرة أو باخرة خاصة، لأنه لا يوجد جسر يربط دولتي الكنقو فوق النهر .

وقد أخبرونا أن العبّارة وهي كبيرة رخيصة الأجرة إذ هي بالدرجة الأولى (١٥٠٠) فرنك إفريقي غربي؛ على حين أن أجرة الباخرة هي ثلاثة عشر ألف فرنك للشخصين. واخترنا الركوب في الأخيرة لأن العبارة غير آمنة .

وذكروا لنا أنه قد يجري فيها وخاصة عند دخول زايير نهب وخطف، وربما حصل فيها قتل، كما أنه يحصل تزاحم وتقاتل وانعدام للنظام عند جوازات العبارة في زايير .

وذلك جزء من الحالة العامة غير الآمنة في زايير بل الحالة المخوفة، وقد بلغنا أمس أن أحد التجار من مالي قد قتل منذ ثلاثة أيام في بيته حيث تسور اللصوص عليه البيت، وقتلوه، ونهبوا ما فيه، وأصابوا زوجته بجراح .

أما الباخرة الصغيرة فإنها رغم غلاء سعرها آمنة، وخالية من الفوضى لأنها بمثابة الباخرة الخاصة، بل هي كذلك إذا وجد صاحبها ركاباً كثراً أرخص قيمة الأجرة للشخص الواحد، وإذا قل الركاب زاد الأجرة له لأنه لا يريد أن يتحرك بها إلا إذا وصلت أجرتها الحد المعين الذي يريده، مع أن المسافة بين ضفتي النهر لا تستحق هذه الأجرة الغالية لقرب إحداهما من

الأخرى .

تحركت هذه الباخرة الصغيرة الخاصة وليس عليها ركاب من غير العرب، بل إن كل الذين عليها هم من العرب، إذْ ركب فيها معنا سفير لبنان في الكنقو ومعه ثلاثة من العرب ربما كان واحد منهم أو اثنان من موظفي السفارة، ونحن الاثنان واثنان آخران .

والحاصل أن جميع الركاب فيها كانوا يتحدثون بالعربية ما عدا السائق والعمال فيها .

وبدأت تمخر عباب النهر ذي المياه الحمراء التي صبغها الفيضان وسائقها يحاول ألا يجعلها تقاوم تيار النهر القوي فلا يؤثر عليها مع أنها ذات محرك قوي .

وصارت تبتعد عن الشاطئ الشمالي وهو شاطئ الكنقو، وتقترب من مدينة كنشاسا ذات الأبنية العالية المتعددة الطوابق، والسمعة السيئة الذائعة الصيت من الفوضى، بل في الإجرام وعدم الاحترام لإنسانية الإنسان .

وعلى يمين الباخرة ويسارها كانت أكوام من أغصان الأشجار الخضر تطفو فوق النهر يحملها تياره القوي مما حطمته الأمطار من الأشجار الواقعة في جزر في النهر، وعلى ضفافه، ومما جرفته السيول مما هو أبعد من ذلك .

إضافة إلى مقادير هائلة من الأوراق وقطع الغثاء التي تسبح في النهر أيضاً .

وحدثونا في الباخرة بأنه حتى هذا الطريق النهري على العبارة والباخرة كان قد أغلق فترة من أجل مكافحة التهريب الذي ذكروا أنه يتم عبره .

وكان على من يريد الانتقال من إحدى المدينتين الواقعتين على ضفتيه ترى إحداهما الأخرى أن يسافر بالطائرة فيتكلف الخروج من المدينة إلى

مطار في مسافة هي بالنسبة إلى مدينة كنشاسا أبعد مما بين ضفتي النهر في المسافة، ثم يطير وينزل في مطار المدينة الأخرى، وفي كل ذلك مشقة وحرج على المواطنين والمسافرين بين العاصمتين، ولكن التخلف إذا حل بأمة جعلها لا تبالي بما ينال رعاياها من الأضرار، بل لا تبالي بهم بأي حال من الأحوال.

ولم يستغرق سير الباخرة في قطع النهر أكثر من خمس وعشرين دقيقة، قطعنا بعضها في الحديث مع الرفقاء من العرب، وبعضها قطعته مفكراً في المرة الأولى التي وصلت فيها إلى ضفة النهر الجنوبية في عام ١٩٦٦م أي منذ ثمان عشرة سنة، وعزمت على السفر من كنشاسا آنذاك (ليوبولد فيل) إلى مدينة برازافيل، ولكن لم تكن هناك سفارة لدولة الكنغو الفرنسي كما كانت تسمى آنذاك - أيضاً - وإنما تقوم السفارة الفرنسية في (ليوبولد فيل) برعاية مصالحها ومن ذلك منح سمات الدخول إلى بلادها لمن يطلبون ذلك، غير أن السفارة الفرنسية ترى في بعض الحالات أنه لا بد من الرجوع إلى دولة الكنغو الفرنسي و الاستئذان منها قبل منح سمة الدخول وهذا ما ذكرته السفارة لنا عندما طلبنا ذلك منها، وذكرت لنا أن الأمر يحتاج إلى قليل من الوقت، وإلا فإن الاستجابة إلى طلب دخولنا مرجحة، فلم يكن لدي من الوقت في ذلك الحين ما أستطيع أن أوفره لانتظار الحصول على سمة الدخول من حكومة الكنغو الفرنسي.

وكنت قادماً في رحلة طويلة إلى إفريقية وصلت فيها جنوباً إلى مدينة جوهانسبرج في جمهورية جنوب إفريقية العنصرية، وغرباً إلى مدينة (ليوبولد فيل) هذه التي صارت تسمى كنشاسا وهي التي نقبل عليها الآن.

وقد قصصت قصة تلك الرحلات إلى إفريقية في كتاب: "**في إفريقية الخضراء**" الذي طبع أكثر من مرة.

**ميناء كنشاسا:**

أرست الباخرة في ميناء خشبي على النهر أفضى إلى جزء أرضي فيه رافعات للبضائع، وابتدرنا الحمالون وهم يتراكضون ويتزاحمون، بل يتقاتلون على الوصول إلينا، والحصول على شيء يحملونه منا، حتى أشفقنا من أن يغيب بعضهم عن الأنظار وهو يحمل بعض الأمتعة على رأسه، إذْ هذه هي الطريقة الشائعة، أن يخطف الحامل منهم حقيبة من المسافر أو غيرها من متاعه لا يتمهل ولا يتروى في ذلك لأنه يخاف أن يسبقه غيره إلى حمله ثم يضعه فوق رأسه، ويتقدم صاحبه مع ممر خشبي أقيم في الميناء، ثم يمر بين حواجز قد أقيمت بعد ذلك لا تتسع لمرور أكثر من شخص واحد، وذلك خوفاً من أن يفوت بعض الواصلين أيدي الرسميين، أو يهرب منهم إذا كان الممر واسعاً.

وذلك لأن مكتب التفتيش للمكس (أي الجمرك) يبدأ قبل مكاتب الجوازات.

ولم يفتشوا أمتعتنا لأننا أنا ورفيقي في السفر الأخ الشيخ عبد الوهاب الدكوري كلانا يحمل جواز سفر دبلوماسياً.

وكان الشيء الظاهر هنا أن المراجعين لا يحترمون النظام، بل لا اعتبار عندهم أصلاً للنظام فتراهم يتزاحمون عند مكاتب الجوازات، ويأتي واحد متأخراً فيتقدم من كان قبله.

ولكن كان هناك طائفة من المتسكعين المعتادين على الزحام والخصام ابتدرنا أحدهم، وتكلم مع الشيخ الدكوري بكلام وافقه عليه فأخذ الجوازين، وزاحم الناس ونادى الضابط الموظف، ونحن نتفرج فأوصلهما إليه بسرعة يريد بذلك أن يمنحه حلواناً - أي بقشيشاً - وهو حلوان يستحقه لأنه أجر في مقابل عمل، ولولا ذلك لضاع حقنا في التقدم على من يأتي بعدنا، ويتقدم علينا بقدرته على مخالفة النظام.

وقد لقينا عنتاً ونحن في انتظار المرور من المكس (الجمرك) ثم في الانتظار عند الجوازات، وذلك لشدة الزحام والرائحة المنبعثة من أجسام العمال تحت الشمس الحارة .

إضافة إلى المناظر غير السارة من مظاهر الفقر، وارتداء الثياب المهلهلة أو المتسخة مما لا تجد له نظيراً في سائر الناس في البلدين الإفريقيين الذين مررنا بهما في هذه الرحلة وهما القابون والكنقو .

والذي أشعرنا بالخوف النظر الذي كان ينظر به إلينا بعض العاطلين والمتسكعين وذلك حينما ربطناه في أذهاننا بما سمعناه من عدم الأمن، بل من الانتهاب في وضح النهار في هذه البلاد الزاييرية .

**هذه إفريقية :**

كنت قد حصلت على سمة دخول سياسية من سفارة زايير في داكار عاصمة السنغال عندما مررنا بها، ولم يستغرق ذلك أكثر من ساعة واحدة بسبب العلاقة الطيبة لسفيرنا الشهم في داكار الأستاذ عبد الله بن عبد الرحمن الطبيشي بسائر السفراء، ومنهم سفير زايير، إذ هاتفه من السفارة السعودية وأخبره بأننا نحتاج إلى سمة الدخول بصفة عاجلة فكان أن عاد جوازي من سفارة زايير وعليه السمة السياسية .

أما رفيقي في السفر السفير عبد الوهاب الدكوري وهو مثلي يحمل جواز سفر سياسياً مالياً نسبة إلى بلاده (مالي)، وهو شخصية معروفة في هذه البلدان الإفريقية الناطقة بالفرنسية، وهي المستعمرات الفرنسية السابقة فإنه لم يحصل على سمة دخول مسبقة إلى زايير اعتماداً منه على كونه معروفاً في المنطقة، وله مكانة عند كبار المسؤولين فيها .

وعندما وصلنا إلى ضابط الجوازات الزاييري أسرع بختم جوازي، وتأنى في ختم جواز الشيخ الدكوري قائلاً: إنه يحتاج إلى بعض الوقت، ثم طلب من

رئيس المراسم في الميناء أن يصحبنا إلى غرفة كبار الزوار لنستريح فيها من عناء الوقوف ومن الحر لأنها مكيفة، ومريحة .

فكررت على مسامع الشيخ الدكوري ما كنت قلته له من قبل، وهو خشيتي من ألا يحصل منهم على سمة الدخول، وقلت له: لو أطعت رأيي في الحصول على سمة الدخول من إحدى سفارات زايير في البلدان التي مررنا بها لكان ذلك أفضل .

فقال بثقة زائدة: إنني دبلوماسي من مالي التي تربطها علاقة طيبة بحكومة زايير، وهي عضو مع زايير في منظمة الوحدة الإفريقية، وعضو معها أيضاً في منظمة الدول الناطقة بالفرنسية، كما أنهما تشتركان في منظمة اقتصادية إفريقية واحدة، ولي أصدقاء في هذه البلاد منهم وزير خارجيتها ولذلك لا أخشى من عدم الحصول على سمة الدخول .

ثم قال: (هذه إفريقية)، وليست الشرق الأوسط، حيث يقدم المسؤولون فيها على منع إخوانهم وجيرانهم من دخول بلادهم، إلا بشرط الحصول مسبقاً على سمة دخول وإلا أعادوهم من حيث جاؤا إذا كانوا لا يحملون تلك السمة .

ولما كان ما ذكره صحيحاً عن حالة بعض المسؤولين في البلدان العربية وتصرفاتهم في هذا الصدد فقد سكتّ، إلا أن انتظارنا قد طال، وجعلنا نتساءل عن السبب .

وكان الشيخ الدكوري قد أعطى رئيس المراسم عشرة آلآف فرنك إفريقي غربي بمثابة الحلوان أي البخشيش ولما تعجبت من ذلك قال: إن الناس في إفريقية لا يرون بأساً في منح مثل هذه النقود ولا في قبولها.

هذا وقد ذهب رئيس المراسم ليحضر سيارة أجرة تنقلنا إلى داخل المدينة ثقةً منه بسرعة إنهاء الجواز .

وكنا نتوقع أن نجد مستقبلين في المطار مثل مدير مكتب رابطة العالم

الإسلامي في كنشاسا ورئيس الجمعية الإسلامية هناك، وكان الشيخ الدكوري قد أبرق لهما من برازافيل أمس بقدومي، لأنه لا يوجد اتصال هاتفي سهل بين العاصمتين المتجاورتين غير أنهما ذكرا فيما بعد أنهما لم يستلما أية برقية، ولكن من باب الاحتياط سألا موظفاً في الميناء عنا، فذكر أنه لم يعرف أي شيء عن قدومنا ورجعا بالسيارات التي كانا أحضراها معهما ومنها سيارة لمكتب الرابطة وهي سيارة لنا بالطبع .

وليس هذا حرصاً منا على استقبال غيرنا لنا ولا توفيراً لأجرة السيارة، ولكنه الحرص على الأمن، والاحتياط له، لأن هذه البلاد الزاييرية كما قلت لا يتوفر فيها الأمن، بل إن سائق سيارة الأجرة كثيراً ما يكون مجرماً أو يتعاون مع المجرمين على سرقة الراكب معه إن لم يكن على إهلاكه .

هذا وما زال الحمالون الذين حملوا أمتعتنا ينتظرون في الشمس عند باب الغرفة، والسبب في ذلك أنهم يريدون أو يريد لهم رئيس المراسم أن يكملوا مهمتهم بحمل الأمتعة من غرفة الزوار إلى سيارة الأجرة خارج منطقة الجوازات والجمرك .

وهم في منظرهم يستدعون الرثاء والشفقة الممزوجة بالخوف لأنهم في أسمال بالية، ومظاهر زرية، ومن الطريف في أخلاق رئيس المراسم أنه كان يتحدث إلى طائفة من بني قومه وتبين أنه يحكي لهم حكاية المصارعة الحرة التي نقلت الليلة البارحة بالتلفاز وشاهدناها من غرفنا في فندق برازافيل وهي في زايير، فكان يرقص يقلد البطل في حركاته، ويمد يديه ويلوح بهما في الهواء كما يفعل من يلاكم غيره وهو في حركاته كأنه الطفل الذي يقلد الآخرين.

وعجبت من أمره، وهو رئيس المراسم في هذه المنطقة الحدودية المهمة من بلاد زايير.

وقال لي الشيخ الدكوري: إنه يذكر ذلك مفتخراً بأن النادي الرياضي

الذي ينتمي إليه هو الذي كسب المباراة في المصارعة.

وطال انتظارنا لانتهاء أمر جواز الشيخ الدكوري، فكان رئيس المراسم يذهب ويجيء ويقول: إنه سوف يأتي قريباً، ثم غاب.

وذهب الشيخ الدكوري بنفسه إلى المسؤول عن الجوازات، فأفهمه أنه لا يمكن له أن يحصل على سمة الدخول إلى زايير من هذه النقطة، وإنما عليه أن يعود إلى برازافيل ويحصل على سمة الدخول من سفارة زايير هناك.

وقد حدثني الدكوري بعد أن جاء غاضباً وهو يدمدم بقوله: إنهم لا يفهمون، إنهم لا يقدرون بأنه طلب منهم أن يعطوه سمة مرور فقط مدتها يوم واحد، ثم طلبها لمدة ست ساعات، وذكر أنه إذا حصل عليها أو على أي مبرر للدخول فإنه سيستطيع تمديدها من وزارة الخارجية الزاييرية لأنه معروف فيها وهو صديق لوزير الخارجية.

ولكنهم رفضوا جميع طلبه، بل توسله، وقد شق عليه أكثر من أي شئ آخر في هذا الموضوع أن يتركني وحيداً في بلاد زايير المخوفة، وأنا لا أحسن اللغة الفرنسية، ولا أستطيع التخاطب حتى مع المثقفين الذين لا يعرفون الإنكليزية، فلم يأبهوا لقوله، وإنما قالوا له: يستطيع صاحبك أن ينتظرك في قاعة كبار الزوار التي هي مكيفة حتى تعود من برازافيل، بعد أن تحصل على السمة المطلوبة، أو ترسل معه شخصاً آخر إلى داخل كنشاسا لأنه يستطيع أن يدخل الآن دون عائق.

ورجاني الأخ الشيخ الدكوري ألا أتحرك من مكاني في قاعة كبار الزوار، لأن تحركي منها يعني ضياعي في زايير كلية، لأنه من الخطر العظيم أن يتحرك رجل مثلي معتبر من البيض بأمتعته وممتلكاته الظاهرة، وقال: إنني أستطيع الرجوع إلى الكنقو، والحصول على السمة من سفارة زايير في مدة لا تتجاوز ثلاث ساعات وهي ليست بالكثيرة، وسوف، أستأجر

قارياً خاصاً في الذهاب والإياب ؛ لأنه أسرع من انتظار العبارة أو الركوب في باخرة مشتركة مع الآخرين.

وكان يكرر على مسامعي قوله: إنك لن تجد مكاناً آخر أكثر أمناً من هذه الغرفة مادمت وحدك، حتى ولا من الفندق، لأن أهل الفندق قد يطمعون في الأبيض الغريب إذا كان وحده.

**المأزق والحل:**

ذهب وتركني مع أمتعتي في الغرفة، وبينها حقيبتي اليدوية التي تحتوي على عشرات الألوف من الدولارات أحضرتها معي لتقديم المساعدات منها على إعمار مساجد زايير، وهي على هيئة (صكات) سياحية، وهذا خطر عظيم لأنها لو كانت على هيئة أوراق نقدية لكان من الممكن لمن يسرقها أو ينتهبها أن يتصرف فيها كما يريد متى ما أراد، أما الصكات (الشيكات) السياحية فإنه لا يستطيع أن يتصرف وهو آمن إلا بعد أن يضمن أن صاحبها لن يتقدم بالشكوى من فقدها.

وهذا ليس له علاج عند اللص والمنتهب إلا بأن يقتل صاحبها حتى لا يعترض على صرفها بعد أن يقلد اللص توقيعه الثاني عليها.

وقد كانت الغرفة خالية إلا مني، والحمالون يقفون أحياناً عندي وأحياناً يذهبون ثم يأتون، وهم يبربرون بلغتهم بما لا أفهمه، إلا أنه يدل على الغضب وأنا لا أستطيع أن أفهمهم، حتى كلمة مجاملة واحدة تزيل شيئاً مما في نفوسهم.

ثم إنني عندما وجدت نفسي وحيداً في الغرفة، والغرفة نفسها وحيدة منعزلة عن باقي المبنى، والناس مشغولون بأعمالهم شعرت بالخوف، وبخاصة أنني رأيت بعض الأشخاص ممن لا أعرف وظائفهم يطلون عليَّ في الغرفة فيفتحون نصف الباب ويشاهدون من في الغرفة ثم ينصرفون، وحتى اللوحات

المعلقة في الغرفة أو المرسومة على حيطانها هي لأقوام من الأفارقة قد رسمت بأشكال مشوهة من أجل أن تدل على معانٍ خاصة، أو لمجرد أن تمثل الفن الوطني القديم في الرسم، وبعضها لصور آدمية عارية ولكنها مشوهة، مما جعلها تبدو قبيحة مفزعة.

وقلت في نفسي: كيف لي أن أضمن أن رفيقي الدكوري سيحصل على السمة فعلاً ويعود في ثلاث ساعات؟ وماذا لو رفضت السفارة الزاييرية في الكنقو إعطاءه السمة؟

بل ماذا لو عاقه عائق آخر عن الرجوع في الوقت المناسب؟ وهل أستطيع أن أبقى آمناً في هذه الغرفة الرسمية وأنا أعرف أن موظفي الحكومة وسلطات الأمن في زايير كثيراً ما تكون هي المعتدية، وأن اللصوص فيها لا يقدمون على الجرائم الكبيرة المكشوفة إلا إذا ضمنوا أن الشرطة ستكون معهم وذلك بإعطائهم جزءاً مما سرقه السارقون؟

وكان موظف المراسم أو رئيسها كما أسموه قد غاب عني لأنه حضر مرة لمجاملتي فلم يجدني أستطيع التفاهم معه فراح وتركني، فأخرجت رأسي من الغرفة مرة بعد أخرى أبحث عنه حتى لمحته وعصرت ذهني بما أعرفه من كلمات قليلة بالفرنسية لأنه لا يعرف شيئاً من الإنكليزية، ولم يكن معي شيء من النقود المألوفة في المنطقة إلا خمسة آلاف فرنك إفريقي غربي، ولا أثق فيما لو استطعت أن أجد مصرفاً في هذه المنطقة الحدودية أن أحصل منه على نقود زاييرية بعد أن أترك أمتعتي في الغرفة ومعها أمتعة رفيقي الشيخ الدكوري، ولو استطعت ذلك لم أستطع أن أطمئن إلى إخراج نقودي أمام المئات من أعين المتسكعين والفقراء والفضوليين الذين تغص بهم المنطقة.

فقلت لرئيس المراسم وأنا أناوله الورقة ذات الخمسة آلاف فرنك::
تاكسي قرنتي، موا هوتيل انتركونتنتال قرنتي، قرنتي تاكسي، نو

بريلوم، أي أنا أريد سيارة أجرة سائقها مضمون يذهب بي إلى فندق أنتركونتننتال، ولا يسبب لي مشكلة .

وهذه كلمات متفرقة لا تؤلف إلا عبارة مكسرة ولكنها نفعتني، إذ كنت لا أعرف أفضل منها من الفرنسية .

ففهم مني ما أردته ثم عاد إلي وهو يقول: قرنتي تاكسي، ويضرب صدره بيده إشارة إلى أنه هو المسؤول عن سائق السيارة، وبالفعل كان وجه السائق يدل على الاطمئنان، فهو رجل مسن يظهر عليه سيماء الطمأنينة وعدم الشر .

ثم أمر الحمالين الذين كانوا معنا منذ مدة تزيد على ساعتين وأعطاهم نقوداً محلية لم ترضهم فتركته بعد أن حملوا أمتعتي وأمتعة زميلي الشيخ الدكوري على سيارة الأجرة وهم يخاصمونه، ويتكلمون معه بصوت مرتفع استقلالاً منهم لما أعطاهم من نقود وعددهم ثلاثة، ثم أعطى سائق السيارة نقوداً كثيرة، وبقيت بقية ملأ بها يدي وضاق بها جيبي .

وكل هذه النقود قيمة خمسة آلاف فرنك إفريقي غربي التي تساوي خمسين ريالاً سعودياً .

وركبت سيارة الأجرة وكأنما أفلتّ من عقال وأنا أعرف أن الأمر فيه مخاطرة ولكنه ربما يكون أهون من بقائي تحت الخطر والضجر إلى أن يعود صاحبي بسمة الدخول له إلى زايير من الكنقو .

## في مدينة كنشاسا :

أوصلني السائق إلى فندق أنتركونتننتال أكبر فنادق مدينة كنشاسا ومقر الوفود الرسمية التي تدعوها حكومة زايير لزيارتها ولذلك هو آمن .

ووجدت في مكتب الاستقبال فيه فتى إفريقياً سمح الوجه يتكلم

الإنكليزية أعطاني غرفة لليلة واحدة، وكنت مشفقاً من ألا أجد فيه غرفة خالية وعازماً على البقاء فيه إن لم أجد الغرفة حتى ولو في ممر من ممراته حتى يصل رفيقي الشيخ الدكوري .

والمفرح في أمر هذا الفتى أنه لم يطلب مني حلواناً (بخشيشاً) ولا طلب تقديم الأجرة، خلاف ما كنا قد سمعنا به وعلمناه بعد ذلك من أن مثل هذه الأمور هي من سنن الموظفين في الفنادق الكبيرة في زايير .

ونزلت في غرفة واسعة نظيفة في الطابق السابع من الفندق وأعطيت الحامل الذي حمل أمتعتي وأمتعة رفيقي الدكوري إلى الغرفة خمساً من نقود زايير التي كانت قد ملأت جيبي ولا أعرف قيمتها إلا أنها بقية البقية من قيمة خمسة آلاف فرنك إفريقي غربي.

وتمددت في أحد سريرين في الغرفة وأنا أتنفس الصعداء، وأحمد الله على السلامة



**نهر الكنقو وشواطئه من شرفة فندقنا في كنشاسا**

وكانت الغرفة تطل على نهر الكنقو، كما كانت غرفة الفندق الذي سكنته في برازافيل تطل على نهر الكنقو نفسه، وذلك من الجهة الأخرى المقابلة لهذه .

وجلست عند النافذة أسوّد أوراقي بما تقرأه في هذا الكتاب، كما كنت قد فعلت في فندقي في الطابق التاسع في الكنقو، وقد تكاثف السحاب بعد الظهر وصار المطر يهطل حتى أروى أرض زايير كما كان أروى أرض الكنقو أمس، فالموسم هنا هو موسم الأمطار .

ثم نزلت أتمشى في مداخل الفندق وأبهائه فرأيته مزدحماً بالبيض من الأوروبيين و الأمريكيين، فأيقنت بأنه مكان آمن .

هذا وقد تأخرت عودة صاحبي الشيخ عبد الوهاب الدكوري كما كنت توقعت إلى ما حول الخامسة، وكنت أنتظر وصوله في قاعة الاستقبال في الفندق، فقال: وهو يتأفف: لقد حصلت على سمة دخول للمرور فقط بوساطة بعض السفراء الأفارقة. ولكن هذا ليس أمراً مهماً هنا فيمكنني أن أبقى بهذه السمة أو أن أمددها من وزارة الخارجية .

ثم هتفنا ببيت مدير مكتب الرابطة في زايير الأستاذ (كوبا باب الخير) فلم يجب فذهب الشيخ الدكوري إليه في سيارة أجرة ثم حضر معه سيارة الرابطة، وذلك من أجل أن نبدأ العمل في مهمتنا في زايير فوراً، وأوله في هذه الليلة .

ثم جاء الأستاذ (كوبا باب الخير) مدير مكتب الرابطة وهو يقول آسفاً: إنه لم يبلغه أحد بقدومنا، وإنه لم تصله البرقية من الكنقو، وإنه كان قد جهز مع رئيس الجمعية الإسلامية سيارات موكب لنا عند وصولنا كما حشدوا مصوري الصحافة والتلفزة لتصوير وصولنا. وقال: لقد كان عدد من المسلمين اجتمعوا عندي يريدون أن يكونوا في استقبالكم، ويكونوا معكم في الميناء بصفة جماعية .

**الاجتماع برئيس الجمعية الإسلامية:**

كان العشاء هذا اليوم سريعاً في مطعم يملكه ويديره أخ عربي مسلم من الأردن فلسطيني الأصل، وهو مطعم نظيف وطعامه رخيص أكلنا منه ونحن ثلاثة بستمائة وسبعين زاييراً. والزايير: هو اسم عملة البلاذ التي هي أيضاً اسمها زايير، ويساوي ذلك ثلاثة وعشرين دولاراً أمريكياً.

ثم ذهبنا من المطعم فوراً إلى مكتب رابطة العالم الإسلامي في كنشاسا حيث كان لنا موعد للقاء أو الاجتماع برئيس الجمعية الإسلامية الوحيدة التي تعترف بها الحكومة، ولا تعترض على نشاطها واسمها اختصاراً (كوميزا) وكان موعد الاجتماع في الثامنة والنصف من هذه الليلة.

وقد حضر رئيس هذه الجمعية (تامبوي عبيدي) ومعه الأمين العام للجمعية وإمام الجامع الرئيسي في كنشاسا وعدد من الإخوة المسلمين العاملين في الجمعية الإسلامية ومن خارجها.

وقد جرى بحث الأمور المهمة المتعلقة بأحوال المسلمين في هذه البلاد فكان مما قاله رئيس الجمعية: إن في زايير ستة ملايين مسلم، وإنهم اختاروه للمرة الثانية بالانتخاب الحر على أمل أن ينهض بالمسلمين، وأن علاقته برئيس الجمهورية قوية، و ينوي أن يستغل ذلك لمصلحة المسلمين.

بل هو - كما قال - قد قام بذلك فعلاً، إلا أنه استدرك قائلاً: إلا أن المسلمين فقراء، والجمعية لم تتلق المساعدات التي كانت ترجوها من المسلمين في الخارج، والأمل الآن معقود على رابطة العالم الإسلامي أن تسارع بتقديم تلك المساعدات المالية للمسلمين في زايير.

وتذكرت أنهم تقدموا بطلب إلى رابطة العالم الإسلامي بأن تدفع لهم دعماً شهرياً، ولكنهم لم يفصلوا الغرض الذي من أجله طلبوا تلك المساعدة، ولا أوجه إنفاقها، مما يجعل الرابطة تتوقف في إرسال الدعم المالي المطلوب

وحتى لو كان متوفراً مرصوداً لهم، لأنه لا يمكن إرسال مساعدة مطلقة لا يدري مصرفها إلا إلى جمعية مشهورة معروفة بأن العاملين عليها هم أنفسهم من الذين يقدمون التبرعات للمشروعات الإسلامية .

وكان يكرر فخره بحصوله على هذا المنصب، وبكونه قد هزم الذين تقدموا معه لشغل منصب رئيس الجمعية .

وقد أنهينا الاجتماع قبل أن ينتهي بحث الموضوعات المطروحة، فعدنا إلى الفندق في الحادية عشرة ليلاً والمطر يهطل مدراراً، وذلك لأنهم ذكروا لنا أن الحكومة تمنع الاجتماعات بعد الساعة العاشرة إلا بعد الحصول على إذن مسبق بها، وذلك لحالة الطوارئ المفروضة على البلاد .

وقد اتفقنا معهم على برنامج الزيارة، وكان في رأس البرنامج زيارة وزارة الخارجية الزاييرية في مقر الوزارة ومقابلة وكيل الوزارة الذي كان سفيراً لزايير في المملكة العربية السعودية قبل أن تقطع المملكة علاقاتها السياسية مع زايير بعد أن استأنفت زايير علاقتها السياسية بدولة اليهود في فلسطين .

وذكروا أن الوزير نفسه غائب عن البلاد، وأنه لولا ذلك لكانوا رتبوا لنا معه مقابلة، إلا أن الوكيل وهو يعرف السعودية ستكون مقابلته مفيدة، وذلك في صباح الغد .

**يوم الأربعاء ٢٦/٢/١٤٠٤هـ.**

**محاولة الحجز إلى كسنغاني:**

مدينة كسنغاني كانت تسمى في زمن الاستعمار (ستانلي فيل) أي مدينة ستانلي، وهو المكتشف المشهور، وأهميتها بالنسبة إلينا تتبع من كونها عاصمة الإقليم الشرقي الزاييري المتاخم لحدود تنزانيا حيث يكثر المسلمون، وحيث كان الإسلام قد وطد أركانه في تلك المنطقة قادماً من جهة الشرق من زنجبار وتنجانيقا قبل أن يصل إلى غرب زايير الذي تقع فيه العاصمة كنشاسا.

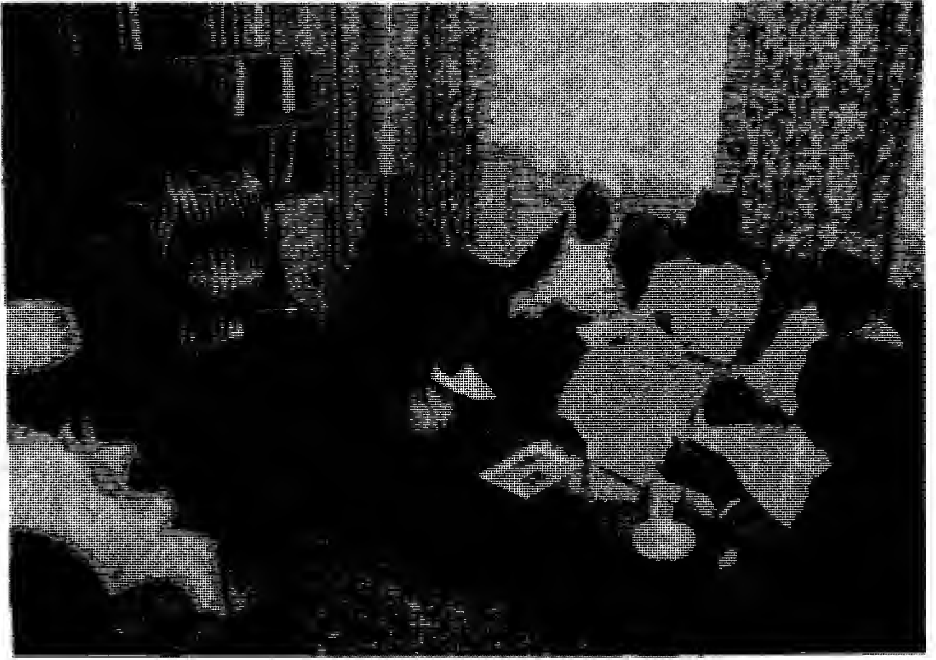
وكنا سألنا الحاضرين البارحة عن السفر إلى كسنغاني فقال قائلون منهم: إن الرحلات من كنشاسا إلى كسنغاني هي يومية تقوم بها شركة أير زايير كل يوم، ومن قائل: إن التي تقوم بهذه الرحلات إلى كسنغاني شركة أخرى، وقال غيره: إنها أربع مرات في الأسبوع، وقال آخر: بل رحلتان في يومين من الأسبوع.

وكل هذا وبعضهم يسمع بعضاً والرحلات من العاصمة إلى أكبر مدينة في البلاد بعدها.

وأراد أحدهم أن يقطع بقوله ما قاله غيره فذكر أن الطيران في زايير لا يوثق به، لأنه يحدث أن تستعد الطائرة للسفر وبعد أن يحجز فيها الناس ويخرجوا للمطار فتحتاج الحكومة إلى الطائرة فتلغى الرحلة، ويعود الناس من المطار إلى بيوتهم.

**في وزارة الخارجية الزاييرية:**

وجدنا مكتب وكيل الوزارة في الطابق الثاني من مبنى صغير لا يرضى مدير إدارة متوسطة عندنا أن يكون مقراً لإدارته.



**في مكتب وكيل وزارة الخارجية في زايير**

وقد استقبلنا عند الباب الخارجي للمكتب مبتسماً مرحباً، ثم جلسنا في مكتبه فترة طويلة تحدث أثناءها بحديث طويل منه قوله:

أنا هنا أعتبر نفسي ممثلاً للسعودية، لأنني أمضيت زمناً في العمل هناك في سفارة زايير في جدة، وتطرق إلى حال المسلمين في (زايير) فقال: هم أحرار في ممارسة شعائر دينهم، بل في كل ما يتصل بذلك، غير أننا نحب أن تساعدهم الرابطة لأنهم بحاجة إلى المساعدة، ونفضل أن تأتي المساعدة من المملكة العربية السعودية على أن تأتي لهم من غيرها.

ثم قال: وقد منحنا المسلمين أرضاً في كل مكان يطلبون أن يبنوا فيه المساجد تعويضاً لهم عما فاتهم من ذلك أيام الحكم الاستعماري الذي كان يمنح المسيحيين دون غيرهم، مع أن الناس سواسية والمسلمون مثل غيرهم من المواطنين.

وقال: أنا الذي واصلت حث الرئيس (موبوتو) رئيس الجمهورية على إعطاء المسلمين كل ما يحتاجونه من الأراضي، وبخاصة الأرض التي يريدون أن يبنوا عليها مسجداً ومستشفى ومدرسة في العاصمة، ولكن الرابطة لم تعمل شيئاً في البناء على هذه الأرض، والمشكلة أنه الآن خجلان.



**وكيل وزارة الخارجية في أيمن الصورة في مقر وزارة الخارجية في كنشاسا**

فقلت له: إن الذي أعلمه أن الحكومة الزابيرية لم تسلم الأرض إلى مكتب الرابطة حتى الآن، وذلك حسبما سمعناه من أجل إرضاء الأشخاص الذين يزرعون تلك الأرض مع أنها أرض حكومية يمكن أن تطلب من هؤلاء الناس إخلاءها، ولا يمكن جهة غيرها أن تفعل ذلك لأنهم لن يستجيبوا لها، فسكت هنيهة ثم قال: العرب أقرب إلى الإفريقيين حتى في التقاليد، فقد كان وزير الخارجية السعودية دعانا مع بعض السفراء إلى نزهة في الصحراء في الربيع، فرأيت في قرية قرب الظهران الناس يشربون الشاي من فنجان واحد مثلنا نحن الإفريقيين، لا كالسفير الألماني الذي كان بجانبي ورفض

أن يفعل ذلك.

وقال: أنا مستعد للعودة إلى المملكة، لذلك تركنا أمتعتنا التي كانت لدينا في السفارة هناك. فقلت له: أرجو أن تزول الأسباب التي دعت إلى قطع العلاقات السياسية مع زايير. وأعني بذلك استئناف العلاقات مع دولة اليهود في فلسطين مع أن الأفارقة ومنهم حكومة زايير كانوا قد قطعوا العلاقات معها من أجل عدوانها على البلدان العربية، واحتلال أجزاء من أراضيها، ولا تزال تلك الأسباب قائمة فهي لا تزال تحتل أراضي كانت للعرب في سوريا وفلسطين وأهم ذلك القدس.

فعدل عن التعليق على هذه النقطة، وقال: لقد أخبرت الرئيس بقدومك، ونأسف لكوننا لم نستقبلك استقبالاً رسمياً لأننا لم نعلم بموعد قدومك.

ثم عاد مرة ثانية إلى الشؤون العامة قائلاً: المال العربي يأتي إلينا في إفريقية من طريق أوروبا لاستثماره هنا، فلم لا يأتي إلينا مباشرة ؟ هل معنى ذلك أن العرب لا يثقون بالإفريقيين ؟ فقلت له: لا أعتقد أن ذلك القول صحيح، لا سيما أن أكثريتنا نحن العرب إفريقيون، بل إن المساحة التي تشغلها البلدان العربية من إفريقية لا يمكن أن تقاربها مساحة تشغلها مجموعة أخرى من السكان فيها كمجموعة سكان شرقي إفريقية أو سكان غربها مثلاً.

وأكثر الناس امتزاجاً بالإفريقيين هم العرب، سواءً أكان ذلك في شرق إفريقية في زنجبار وساحل كينيا وتنزانيا وموزمبيق، وذلك الامتزاج الذي أثمر هذه اللغة السواحلية المشتركة ما بين العرب والإفريقيين حتى إن اسمها يدل على ذلك.

أو كان ذلك الامتزاج من جهة الغرب في موريتانيا ومالي والسنغال.

ثم شكرته على الحصانة (الدبلوماسية) التي منحتها حكومة زايير لمكتب الرابطة في كنشاسا.

وعند انتهاء المقابلة كان وداع ومجاملة، وكان مترجم اللقاء الأخ السفير عبد الوهاب الدكوري إذ كان الوزير يتكلم بالفرنسية، ثم عدنا إلى مكتب الرابطة حيث وجدنا جمعاً من المسلمين يزيد عددهم قليلاً على العشرين، يريدون موعداً لإقامة حفلة تكريمية لي حسبما قالوه، وذكروا أنهم جمعوا النقود اللازمة لذلك. فشكرتهم على ذلك، واعتذرت إليهم عن تلبية الدعوة إلى إقامة هذه الحفلة.



**تذكارية مع وكيل وزارة الخارجية الزاييرية، وهو في وسط الصورة، على يمينه المؤلف،وعلى يساره الشيخ الدكوري**

وذكروا أنهم يريدون أن يكون ذلك وسيلة للاجتماع بهم والبحث في الأمور الدينية التي تهم الجميع في هذه البلاد.

فقلت لهم: إنه يمكن الاجتماع بهم في مكتب الرابطة وواعدناهم اللقاء هناك بعد المغرب من هذا اليوم .

**الزحام الكثيف:**

عدنا إلى الفندق في زحام بالغ في هذه الساعة التي هي ساعة الغداء وانصراف الناس إلى بيوتهم، ولقد رأيت من كثرة الناس على جانبي الطريق ما أفزعني كما رأيت من زحامهم على ركوب الحافلات ما يفوق زحام المصريين على مثلها في فترة من الفترات مرت قبل سنوات، مع أن الحافلات عندهم كبيرة وأغلبها تجر مقطورات طويلة في مثل طول الحافلة فكأنها حافلة مزدوجة، ولقد رأيتهم يركبون بالمئات على ظهور الحافلات التي خيل إلي أنها ملساء وعجبت منهم كيف لا يخشون الوقوع من ظهورها.

وكل ذلك في تراكض وتزاحم مزعج لا ينظر فيه القوي للضعيف ولا لكبير السن، لأن المرء في مثل هذه الحالة التي يعتمد فيها على قوته ينسى الآخرين.

ومع وجود الزحام الشديد على الحافلات فإن سيولاً من المشاة كانت تسير على جنبات الطريق في كثرة كاثرة.

ولقد شبهت هذه العاصمة الزاييرية الإفريقية بعاصمة إفريقية أخرى شقيقة لها في عدم إراحة سكانها ألا وهي (لاجوس) عاصمة دولة نيجيريا، وكلتا الدولتين زايير ونيجيريا تعتبر دولة غنية بمواردها الطبيعية، وإن اختلف الأمر بينهما في هذا الموضوع فإنه لا يختلف في عدم أمن الرجل الغريب فيهما، وإذا كان أبيض اللون فإن الخوف يكون له مضاعفاً.

ومما يجدر ذكره أن سكان دولة زايير يبلغ عددهم (٤٢) مليوناً وقد يأتي كلام عن حال بلادهم الاقتصادية في مناسبة سانحة.

**أزمة على ضفة النهر:**

خرجت مع الأخ (كوبا باب الخير) مدير مكتب الرابطة في تمشية على الضفة الجنوبية لنهر الكونقو الذي تقع عليه عاصمة زايير (كنشاسا) وذلك

على سيارة الرابطة وهي سيارة رسمية تحمل لوحات الهيئة السياسية.

وذلك من أجل إلقاء نظرة على الضفة الجنوبية لهذا النهر والتمشي في جو لا تلوثه الأدخنة المنبعثة من السيارات الكبيرة في شوارع المدينة.

فأوقفنا السيارة في منطقة أعجبنا منظرها، والتقطت صورة لضفة النهر المقابلة، وإذا بجندي يخرج إلينا من خلف إحدى الأشجار لم نكن قد شعرنا به من قبل، ويأخذ مني المصورة وهو يدمدم بما معناه: إن التصوير هنا ممنوع.

ولقد فزعت من فعله لأن في شريط المصورة صوراً عزيزة عندي بعضها من برازافيل وبعضها من كنشاسا، فحاولنا أن نفهمه أمرنا ولكنه لم يصغ إلى قولنا، ومن حسن حظنا أن أقبل ضابط من ضباط الجيش فأفهمه الأخ (كوبا) بالفرنسية أنني دبلوماسي سعودي وكنت أحمل جوازي السياسي في جيبي وأننا قدمنا هذه البلاد للاجتماع بالمسؤولين فيها وقابلنا وكيل وزارة الخارجية (فلان) في هذا الصباح، وأننا كنا نتمشى بسيارتنا الدبلوماسية هذه فالتقطنا هذه الصورة بصفة عفوية دون أن نعلم أن التصوير في هذه المنطقة ممنوع.

فقال الضابط: إن عدونا يقابلنا - يشير إلى برازافيل - ونخشى أن تعطوا هذه الصورة لأعدائنا؛ هذا مع أنها صورة لشاطئ النهر الجنوبي يمكن أن تؤخذ من الجهة الشمالية المقابلة، وبعد أخذ ورد أعاد لنا المصورة - آلة التصوير - بعد أن أكدنا له على أننا لن نعود لتكرار هذه الغلطة.

وكان ظاهر صنيعه أنه لن يكتفي بأخذ المصورة وإنما قد يأخذنا معه للتحقيق إلا أن وجود السمات والجواز وكلاهما سياسي جعله يعدل عن ذلك.

### العملة الزايبرية:

صرفت هذا المساء مائة دولار أمريكي بثلاثة آلاف وستة وخمسين

زاييرياً، والزاييري هو اسم عملتهم، ولكنها أوراق غليظة طويلة عريضة حملتها مع صديقي السفير الدكوري وكأنما كنا نحمل أوراقاً للكتابة ولذلك لم يستطع جيبي أن يستوعبها وحده، فحمل الدكوري بعضها.

وكأنما أرادت حكومة زايير أن تشعر الناس بأهمية هذه النقود عن طريق جعلها سميكة ثقيلة بدلاً من قيمتها الشرائية المتراجعة، فقد كانت قيمة (الزايير) في أول الأمر كل ستة منه تساوي دولاراً أمريكياً واحداً، والآن صار الدولار بثلاثين زاييراً.

إضافة إلى الغلاء الذي استشرى في البلاد نتيجة لفساد الإدارة وعدم كفاءة الموظفين أو عدم الرقابة عليهم.

فمثلاً اشترى مدير مكتب الرابطة وقوداً لسيارة المكتب بـ ٨٥٦ زاييراً ويساوي ذلك ٢٨ دولاراً أمريكياً، وذكر أن خزان السيارة مع ذلك لم يمتلئ.

وقد يمكن أن يقال هنا في زايير ما قيل في غيرها وهي أنها دولة غنية وشعب فقير، بمعنى أن موارد الدولة هي موارد الدولة الغنية ولكن الشعب لم ينل نصيبه من ذلك الغنى فهي بلاد واسعة وسكانها البالغ عددهم اثنين وأربعين مليوناً ليسوا أكثر مما تتحمله مواردها الطبيعية من الثروات المائية، والأراضي الصالحة للزراعة، والمعادن كالماس والثروات الحيوانية.

ولكن فساد الإدارة هو الذي أضاع على الشعب الاستفادة من ذلك.

فمثلاً التهريب قائم على قدم وساق، وهو أمر ظاهر وميسر لكل من يدفع الثمن للمسؤولين.

وبهذه المناسبة نذكر قصة ذكروها عن أحد التجار من مالي أنه اتفق مع ضابط في الجمرك ورجاله وقائد الطائرة على تهريب أربعة أطنان من العاج في مقابل مبلغ كبير من المال، ولكن عرف في آخر لحظة رئيس لذلك الضابط بالأمر، فأوقف تهريب الصفقة إلا إذا دفع له مبلغاً من المال حدده،

أظنه قال: ٨٠ مليون فرنك فرنسي غربي، فوافق التاجر المالي على ذلك بشرط أن يزيد الكمية المهربة من العاج من أربعة أطنان إلى ستة ليكون فيما يحصل عليه من فائدة من الطنين الإضافيين تعويضاً له عما سيبذله من رشوة إضافية، فوافق الضابط الكبير، وازدادت الكمية المهربة .

وهذه قصة سمعنا بها وإن لم نتأكد من صحتها، ولكنها من عشرات من القصص حول هذا المعنى مما يجعل الأمر أشبه بالتواتر .

**اجتماع عاصف:**

حصل في هذه الليلة اجتماع عام بالمسلمين على رأسهم الذين كانوا طلبوا إقامة حفلة خاصة لي؛ لكي يتكلموا فيها بما يريدون، وهم المعارضون لرئيس الجمعية الإسلامية الحالي (تامبوي عبيدي) .



**الاجتماع في مكتب رابطة العالم الإسلامي بكنشاسا**

وكان حضورهم في مكتب الرابطة بحضور رئيس الجمعية المذكورة والعاملين معه في الجمعية، وذلك من دون أن ندعوهم، بل كان مكتب

الرابطة نظم هذا الاجتماع ليكون مفتوحاً لكل من أراد من المسلمين أن يحضر للسلام أو المناقشة، أو لمجرد الحضور، وكنت حريصاً على أن يحضره أكبر عدد من المسلمين، من أجل الكلام فيهم بالنصح والإرشاد وشرح ما يريدون شرحه عن الرابطة وأهدافها، ومن أجل الحديث عن مهمتنا التي قدمنا من أجلها إلى زايير.

كما حضره جميع الدعاة الذين تدفع رابطة العالم الإسلامي رواتبهم، والدعاة المبتعثون من رئاسة الإفتاء والإرشاد في المملكة.

وقد كان الاجتماع حاشداً لم تتسع له المقاعد في قاعة الاجتماع بالمكتب فجلس الناس على الأرض، وبدأت الكلام بهم بمناصحتهم وحثهم على الالتفات لأمور دينهم وذكرتهم بأن (زايير) هي أكبر دولة فيها مسلمون تقع جنوب الصحراء بعد نيجيريا التي لا تقع كلها جنوب الصحراء أو جنوب خط الاستواء، كما أن الإسلام قد دخل إلى هذه البلاد من الجهة الشرقية في وقت مبكر، كان قبل وصول الأوروبيين إليها، بل قبل معرفتهم بها. ولذلك صار من الواجب عليهم وهم أحفاد أناس لهم سابقة قدم في الإسلام، أن يسعوا ما وسعهم السعي في الدعوة إليه، وبيان أصوله وقواعده للناس وقبل ذلك والأهم منه بالنسبة إلى الداعية إلى الله أن يكون هو على المستوى المطلوب من حيث التمسك بالإسلام، ومن حيث القدوة الحسنة، فيكون على خلق عظيم، وورع يبعده عن الشبهات، وأمانة تدعو الناس إلى الاقتراب منه، والاستماع إلى ما يقوله أو يفعله.

إضافة إلى حسن المعاملة للآخرين ولو كانوا مخالفين في الدين، فيبر جيرانه، ولا يؤذي من يتعاملون معه.

فتلك هي القدوة الحسنة، وهي التي بسببها هدى الله طوائف من البشر في أنحاء العالم المختلفة للدخول في دين الله الحنيف عن رضا واقتناع؛ لأنهم وجدوا في الدعاة الأُوَل من السلف الصالح خير قدوة، وكانت لهم فيهم أسوة

حسنة.

وكان يترجم كلامي اثنان من الدعاة كل واحد يترجمه إلى لغة من اللغات المحلية ؛ لأن القوم في هذه البلاد لا تجمعهم لغة محلية واحدة، وإنما اللغة الرسمية المستعملة في الدوائر الحكومية وبين المثقفين وهي لغة التعليم هي الفرنسية.

وهناك ثلاث لغات معها رسمية إحداها اللغة السواحلية التي يتكلم بها أبناء الأقسام الشرقية من البلاد المتاخمة لحدود تنجانيقا (تنزانيا حالياً)، وحدود (بوروندي)، وإن كانت حتى في تلك الجهة ليست اللغة الوحيدة، بل هناك عدة لغات محلية، وإنما هي اللغة العامة التي يتفاهم بها أبناء القبائل المختلفة، والأشخاص الذين لا تجمعهم لغة واحدة.

وكانت السواحلية هي إحدى اللغتين اللتين كانت تتم الترجمة إليهما هنا، فهي لغة كاسمها المأخوذ من العربية على لفظ النسبة إلى السواحل: جمع ساحل، لكونها نشأت في سواحل إفريقيا الشرقية حيث زنجبار، الذي هو ساحل جمهورية كينيا في القديم، وانتقلت تسمية (زنجبار) إلى جزيرة في البحر مقابلة له، ونسي اسمه هو، مثلما حدث بالنسبة إلى الساحل الشرقي للجزيرة العربية الواقع على الخليج حيث كان يسمى البحرين في القديم، وذكروا أن حدوده تمتد من كاظمة على سيف البحر قرب الكويت إلى قطر في عمان، حيث انتقلت تسمية (البحرين) منه إلى جزيرة مقابلة له من جهة الشرق في الخليج كانت تسمى جزيرة (أوال)، فصار اسمها البحرين ونسي الناس تسمية الساحل القديمة بذلك الاسم.

واللغة السواحلية نصفها عربي واضح، وقد ذكرت ذلك مع شواهده في كتاب: "**في إفريقية الخضراء**"، ويمكنك مراجعته إن شئت.



**تذكارية في مكتب الرابطة بكنشاسا، على باب المكتب**

وقد ذكر المعارضون لرئاسة الجمعية أن المسلمين غير راضين عنها، وأنه يجب أن تجتمع كلمتهم على رجل آخر غير رئيس الجمعية الحاضر معهم، فانبرى رئيس الجمعية (تامبوي عبيدي) يقول: إنني قد صرت رئيساً للجمعية بالانتخاب، وليس بالاختيار، وهاهم بعض الناس الذين دخلوا الانتخاب ضدي وسقطوا موجودون، ويمكنهم أن يتحدثوا بذلك، فوافق أحدهم على ما قال.

إلا أن المعارضين طالبوا بالسماح لهم بإنشاء جمعيات إسلامية أخرى إلى جانب هذه المسماة اختصاراً (الكوميزا) التي يرأسها (تامبوي عبيدي)، وذكروا أن حكومة زايير لا تسمح لأحد أن يؤلف جمعية إسلامية في البلاد غير هذه، لكون رئيسها مقرباً من رئيس الجمهورية (موبوتو) ولم يلفظوا بهذا اللفظ صريحاً، وإنما أومؤوا إليه إيماءً.

فقلت لهم: ألا يمكنكم أن تنضموا إلى الجمعية، وتعملوا على تغيير سياستها التي لا ترون أنها تسير في الطريق الصحيح إلى الأفضل عن طريق

تكاثركم فيها، وإقناع الأعضاء بعملكم، لأن من يعمل عملاً صالحاً فإنه بلا شك يستطيع أن يستميل الآخرين.

ولكنهم شكوا من أن الجمعية ألغت المذاهب في البلاد، وكان فيها قبلها الجمعية الحنبلية، والجمعية الشافعية، والجمعية المالكية، فطلبت من الحكومة أن تسحب الترخيص لكل هذه الجمعيات، وبقيت الآن غير شرعية ولا معترف بها.

ثم قال اثنان من أقوى المعارضين صوتاً، وهما من أصل عربي عماني يتكلمان العربية بصعوبة: إننا من المذهب الإباضي، ونريد أن ننشئ جمعية إباضية وهذا الرجل _ تامبوي عبيدي _ رئيس الجمعية يمنعنا من ذلك.

فقلت لهم: إنه ليس من المطلوب في الوقت الحاضر زيادة عدد الجمعيات الإسلامية، وإنما المطلوب تحسين العمل الإسلامي لرفع مستوى المسلمين، ونشر المعرفة الإسلامية بينهم.

فقالوا هذا صحيح، ولكن هذا الرجل لا يقوم بذلك ولا يرضى بأن يقوم غيره به، ونحن نطالب بجمع المسلمين هنا في مكتب الرابطة، وأخذ آرائهم في هذا الموضوع.

وقد طال بهم الخصام والجدال، فطلبت من الجميع السكوت بعد أن أقنعتهم بأن يحاولوا جمع صفوفهم وعدم التفرق والاختلاف الذي لا يستفيد منه إلا أعداء الإسلام.

والواقع أن الشكوى من تصرفات رئيس الجمعية (تامبوي عبيدي) كثيرة ولكن لا يمكن تغييره إلا بالانتخاب عندما تنتهي مدة رئاسته، مثلما أنه كان قد جاء إلى رئاسة الجمعية بالانتخاب من المسلمين.

وبخاصة أن هذه الجمعية _ كما أسلفت _ هي الجمعية الإسلامية الوحيدة التي تعترف بها الحكومة، ولا توافق على أن تؤلف جمعية إسلامية

أخرى محتجة بأنه كان في البلاد عدة جمعيات بل جمعيات إسلامية كثيرة، وأنها فشلت في تحقيق ما هو مطلوب للمسلمين.

لذلك قصرت الأمر على هذه الجمعية التي ضمنت من خلال ضمان ولاء رئيسها (تامبوي عبيدي) ولاءها المطلق لرئيس جمهورية زايير الجنرال (موبوتو).

وهذا بيان بأسماء بعض الأشخاص الذين ضمهم هذا الاجتماع:

١- السيد عبد الله فوندي
٢- السيد إبراهيم أبالو
٣- السيد رمضان كانكوندي
٤- أبو بكر شبيندا
٥- السيد داوود أبو نغو
٦- السيد يوسف نجولي
٧- السيد عبد الله كتولو
٨- السيد موسى بشير
٩- السيد مبيلو علي
١٠- السيد جمع شكيلا
١١- فضيلة الشيخ عبد العظيم مبعوث الأزهر الشريف.
١٢- السيد عمر موسى
١٣- السيد غلام منشي باكستاني
١٤السيد إبراهيم محمد
١٥- السيد بلو غات
١٦- السيد حميد محمد
١٧- السيد بشير

وحضر أشخاص آخرون لم أدون أسماءهم، وكلهم يعتبرون من زعماء المسلمين، وأهل الرأي فيهم.

## يوم الخميس: ٢٧ / ٢ / ١٤٠٤ هـ

### الإخراج من فندق أنتركونتننتال:

عندما سألت موظف الاستقبال في الفندق عن أجرة الغرفة فيه للشخص الواحد؟ قال: هي اثنان وثمانون دولاراً أمريكياً، ولم يقل إنها تعادل ذلك؛ لأنهم لا يقبلون من النزيل أن يدفع لهم الأجرة بعملتهم الزاييرية، وإنما يصرون على أن يدفعها بالدولار الأمريكي، ومع ذلك فرحت لمجرد وجود هذه الغرفة، ولو كان طلب فوق تلك الأجرة لأعطيته.

ولكن المشكلة أنه كان قد أخبرني أنه حجز لي الغرفة ليلتين، فلم أبال بذلك؛ لأن هدفي كان منصباً في أول الأمر على الانتظار في مكان آمن حتى يصل رفيقي في السفر وهو لساني في هذه البلاد، أي المترجم لي فيها، إضافة إلى كونه هو دليلي الفعلي لخبرته بشؤونها وشؤون إفريقية الغربية الناطقة بالفرنسية.

واليوم أخبرتنا إدارة الفندق أن علينا أن نغادر الفندق لأنه كان محجوزاً من قبل للحكومة.

فذهبنا إلى فندق آخر اسمه (مملج) وهو أدنى مستوى من فندق أنتركونتننتال هذا الذي غادرناه ودفعنا أجرته بالدولارات، ولكن ذلك ليس بمهم لنا، وإنما المهم هو الأمن، غير أننا أخذنا للأمر أهبته، فأودعنا كل ما نخاف عليه من نقود، وأشياء ثمينة في خزانة كبيرة في مكتب الرابطة الذي عليه حراسة قوية ويسكن في أعلاه مدير المكتب مع أسرته.

### الأرض الممنوحة للرابطة:

كانت رابطة العالم الإسلامي قد تقدمت قبل عشر سنين إلى حكومة زايير طالبة منها أن تمنحها أرضاً تقيم عليها مركزاً إسلاميا يكون معلماً

من معالم العاصمة ومظهراً من مظاهر التعاون ما بين المسلمين ممثلين في الرابطة وبين حكومة زايير، على أن تكون الأرض كافية لكي يقام عليها مسجد ومكتب للرابطة ومقر للجمعية الإسلامية الزاييرية ومستشفى.

وذلك بعد أن كانت الرابطة قد التمست من حكومة المملكة العربية السعودية أن تمنحها المال اللازم لبناء المؤسسات المذكورة على تلك الأرض فوافقت على ذلك، ورصدت له عشرة ملايين ريال سعودي اعتمدت في وزارة المالية، ولا تزال مرصودة لهذا الغرض منذ أكثر من عشر سنين.

وذلك أن حكومة زايير بعد أن كانت وافقت مبدئياً على منح الأرض ظلت مدة لا تعينها، وبعد لأي عينت موقعها، وأخبرت مكتب الرابطة والسفارة السعودية بذلك، إلا أنها لم تسلمها بسبب أمور شكلية أهمها مطالبتها بدفع مبالغ مقدمة لتعويض أناس زرعوا هذه الأرض، وأحياناً بسبب إشكالات قانونية ولا يزال الأخذ والرد قائماً بشأنها حتى الآن وإن كانت الأرض لا تزال محجوزة للرابطة ومعروفة بذلك.

وقد ذهبنا في ضحى هذا اليوم لمشاهدة تلك الأرض فاخترقنا شوارع كنشاسا الواسعة، كما مررنا ببيت كان اليهود قد بنوه لأخ الرئيس (موبوتو) رئيس زايير على طراز يقرب من الطراز العربي ذي قباب خضر، وكان ذلك إبان كانت العلاقات بين دولة اليهود وحكومة زايير قائمة قبل قطعها .

ثم وقفنا على الأرض التي تعتبر في ضاحية من الضواحي الحديثة في المدينة بجانبها مبنى (البرلمان) وشرقها دار الإذاعة والتلفزة .

وموقعها جيد من جهة سهولة الاتصال، ونوع الأبنية القريبة منها، إلا أن أمرها لم ينته كما سبق أن قدمت، ولم يتم تسليمها للرابطة .

وقد رأيناها مزروعة بالفول السوداني الذي يزرعونه على المطر دون أن

يسقى من غيره، وبالكسافا الذين صار غذاء رئيسياً لطوائف من سكنة خط الاستواء، وما حوله في إفريقية وآسيا وحتى في البحر الكاريبي الواقع بين الأمريكتين الشمالية والجنوبية، وهو عروق شجر ينمو تحت الأرض كما ينمو البطاطس، إلا أنه غليظ جداً، وله عروق ضخمة تنتج مقادير كبيرة منه.



**أرض الرابطة المزروعة بالفول السوداني**

وعيبه أنه كله مؤلف من مواد نشوية، وليس فيه من المواد الزلالية (البروتينية) شيء، لذلك يحتاج من يعتمد عليه في الغذاء إلى أن يضيف إليه مواد غذائية زلالية كاللحم أو البيض أو اللبن، وإلا أصيب بسوء التغذية رغم كونه يأكل منه مقادير كافية .

وبجانب الأرض دار للعجزة من كبار السن، وبائعات تحت عشش - جمع عشة - من القش يبعن الفول السوداني، كما تفعل التكرونيات عندنا في الحجاز، غير أن الجمال الموجود عند التكرونيات لا يوجد منه شيء عند هؤلاء الزاييريات، فهن في هذا الأمر يشبهن القابونيات اللاتي يعتبرن

بمجموعهن من المستورات، والمراد بذلك هو المعنى الاصطلاحي لهذه الكلمة المفهوم في بلداننا العربية، وليس المراد بذلك أنهن قد تسترن أو أن أهاليهن أو ذويهن يسترونهن، فالستر في إفريقية هذه لا محل له من الإعراب، سواء للأدنين أو للأغراب.

وأرونا بجانب أرض الرابطة هذه أرضاً ذكروا أنها لطائفة (البروتستانت) من النصارى، يريدون أن يقيموا عليها مركزاً لهم، وقالوا: إن المركز الإسلامي هنا سيكون مشعاً على المنطقة، إن شاء الله.

وقد حاولت أن أفعل الممكن خلال وجودي في زايير من أجل إزالة المعوقات التي تمنع من الحصول على أرض الرابطة، ولو بدفع التعويضات المطلوبة لزارعي الأرض على حد تعبيرهم إذا كانت معتدلة، وليس المقصود منها هو الاستغلال.

إلا أنني علمت من مدير مكتب الرابطة أن حكومة زايير قد أظهرت - أخيراً - أنها لا تريد أن تمنح الأرض للرابطة منحة خالصة منجزة، وإنما ستؤجرها لها تأجيراً رمزياً لمدة طويلة قد تمتد ٣٥سنة أو سبعين سنة حسب الاتفاق، وإذا لم يتم الاتفاق بعد انتهاء تلك المدة بين الرابطة وحكومة زايير على شروط إيجار لمدة جديدة فإن الأرض وما عليها من مبانٍ ومنشآت تعود لحكومة زايير.

وهذه عراقيل جديدة وضعتها هذه الحكومة، إن لم تكن قديمة ولم نسمع بها إلا الآن.

كان الجو جيداً لم نشعر فيه بالحر عندما كنا نتمشى في تلك الأرض مع أن الشمس كانت صاحية، وكانت حارة، إلا أن الأمطار الغزيرة التي هطلت أمس والبارحة لطفت الجو، ويقولون: إنه من المعتاد في مثل هذا الفصل المطير من السنة أن يكون أول النهار مشرقاً، وآخره ماطراً، وإن لم يكن ذلك واقعاً في كل يوم.

**مسجد الحق :**

كانت الفقرة الثانية في برنامج هذا اليوم زيارة (مسجد الحق) الواقع في حي (المنتي) من مدينة كنشاسا ، وقد تبرعت به أول الأمر سيدة مسلمة محسنة من أهل البلاد اسمها (رقية بيهو باقيا) وذلك في عام ١٩٦٨م.



مسجد الحق في كنشاسا

وبناه نفر من الإخوة الباكستانيين المقيمين في هذه البلاد ، يعملون في التجارة ، وذلك في عام ١٩٨٢م أي منذ سنتين ، فهو إذاً مظهر من مظاهر التعاون بين المسلمين في هذه البلاد .

وجدنا في الاستقبال في المسجد طائفة من الإخوة المسلمين منهم إمام المسجد الأخ (حميد إسماعيل) من زايير يتكلم العربية ، وذكر أنه تعلمها في زايير نفسها ، ولم يذهب للتعلم إلى أي بلد عربي ، ورئيس الجمعية القائمة على شؤون المسجد الأخ (جبريل بندا) وهو من أهل زايير أيضاً .

والمسجد مبني بالإسمنت ومفروش بحصير من اللدائن ، ويحتاج لمكبر

للصوت، ومراوح، وقد أخبرناهم بأننا سوف ندفع لهم ثمن مكبر الصوت من الرابطة.

ومن الطريف في أمر هذا المسجد أن فيه قسماً منفصلاً تماماً يصلي فيه النساء بمعزل عن الرجال مع أن النساء هنا يختلطن بالرجال في كل مكان، ولكن يظهر أن السبب في ذلك هو كون القائمين على بناء المسجد من المسلمين أهل الهند الذين اعتادوا في بلادهم على تخصيص مصلى للنساء منفصل تماماً عن الرجال وليس معزولاً عنهن بحاجز من القماش أو نحوه كما نعمل نحن ذلك في رمضان .



**في محراب مسجد الحق في كنشاسا مع بعض الإخوة المصلين فيه**

والمفيد الذي فعلوه أكثر من ذلك هو تخصيص أماكن للوضوء للنساء منفصلة عن أماكن الوضوء للرجال .

كما ذكروا أن لديهم درساً لتعليم الدين الإسلامي في كل مساء

يحضره نحو الخمسين.

وهذه كلها أمور حسنة وسارة أثابهم الله .

**في وسط المدينة :**

فارقنا مسجد الحق، ولم نفارق الحق إن شاء الله، ودخلنا في شارع واسع ضخم من شوارع كنشاسا الرئيسية الواسعة، واسمه شارع (لوممبا) على اسم لوممبا المعروف بأنه بطل الاستقلال بمعنى أنه الذي حاول أن يحكم البلاد بعد الاستقلال حكماً مستقلاً بعيداً عن نفوذ المستعمرين البلجيكيين، وحالف لهذا الأمر القوى اليسارية العالمية، فتحالفت عليه عدة قوى داخلية وخارجية وأعانت عليه خصمه المشهور (اتشومبي) حاكم إقليم كاتنقا آنذاك فقتله بعد أن عذبه، فيما يقال .

وقد أقاموا تمثالاً في هذا الشارع أسموه (تذكار ضحايا الاستقلال) .

ولم نقف عنده وإنما واصلنا السير وسط المدينة في زحام بالغ من السيارات والمشاة وبخاصة من الحافلات الكبيرة التي تنفث الأدخنة المؤذية .

ويذكر أن عدد سكان مدينة كنشاسا هو خمسة ملايين نسمة .

ثم خرجنا من وسط المدينة إلى ضاحية مشتبكة الأشجار كأنها غابة من الغابات، وفي أفنية بيوتها من الأشجار المعروفة نخيل الزيت.

ولا يزال الزحام كثيفاً عند محطات الحافلات حتى في أطراف المدينة.

**مسجد رمضاني :**

دخلنا حارة شعبية بيوتها مبنية بلبن الإسمنت، وشوارعها ترابية، لا أثر للزفت فيها، ومظاهر سكانها هي المسكنة والحاجة الشديدة، ومع ذلك فإن عدد الناس فيها هو أكثر من المعتاد، وكأنما الازدحام وكثرة الناس

صفة غالبة في كل أنحاء عاصمة زايير.

وتسمى هذه الحارة أو الحي (قنقا ساتي).

والقصد من ذهابنا إليها هو زيارة مسجد فيها يسمى (مسجد رمضاني) على اسم الشخص الذي أسسه ولا نقول بناه، لأنه بدأ البناء فيه ولم يستطع إكماله بسبب ضيق ذات يده، واسمه: (كاكوني رمضاني).



كثرة الأطفال في الأحياء الشعبية في كنشاسا

وقد بقي المسجد بعد أن عجز هذا الأخ الكريم عن إكمال بنائه ناقصاً بدون سقف مع أن الأخ رمضاني كان قد أحضر كومة من لبن الإسمنت لكي يقام فوقها سقف الصفيح المسنم المعتاد إقامته في بناء البيوت البسيطة في هذه البلاد.

بل إن الأمر لم يقتصر عند هذا الحد، وإنما حصل خراب فيما كان صالحاً من المسجد مثل بلاطه الإسمنتي الذي تكسر فوضعوا الفراش الوحيد في المسجد وهو قطعة مهلهلة من الحصير في مكان آخر.

وليس له أبواب ولا نوافذ لقصور النفقة كما قدمت بل إن حالته تشهد علينا بالتقصير نحن المسلمين سواء منا من كان في هذه البلاد الزاييرية أو من كان خارجها مثلنا من القادرين على الإعانة على عمارته.

ونحن وإن كنا لم نعلم به حتى الآن فإن ذلك لا يعفينا من المسؤولية عن بقائه بهذه الحالة المزرية بالمسلمين، لأنه كان بإمكاننا أن نأتي إلى زايير ونشاهده وأمثاله من المساجد المحتاجة إلى التعمير قبل الآن.

هذا وقد قررنا بذل المساعدة العاجلة قبل سفرنا من زايير لإكمال سقفه وتركيب أبواب ونوافذ فيه، وطلبت من مدير مكتب الرابطة أن يتصل بأحد الإخوة التجار الذين يعرفون التكاليف المالية اللازمة لذلك كله.

وبجانب المسجد غرفتان فيهما سبورتان تشغلهما مدرسة عربية إسلامية كتبت على إحدى السبورتين حروف الهجاء العربية وعلى السبورة الثانية: (الدرس: عشرة في ٢٨/١١/٨٣/) وتحت ذلك بعض الكلمات العربية.



**مسجد رمضاني الناقص البناء في كنشاسا**

وإحدى الغرفتين مفروشة بحصير، والثانية فيها ثلاثة مقاعد خشبية.

وقد أخبرونا أنهم يصلون في الغرفة الأولى عند نزول المطر لعدم وجود سقف للمسجد مع أنها ضيقة لا تتسع لهم ولكن ذلك ضرورة كما قالوا.

## مسجد الهداية الإسلامية:

خرجنا من حي (قنقا ساتي) آسفين على الحالة التي رأينا عليها مسجده الناقص البناء، وقصدنا (مسجد الهداية الإسلامية) في حي يسمى (بارنبو) قطعنا إليه شارع (لوممبا) أكبر شوارع كنشاسا في زحام شديد يحطم الأعصاب، وفي مسافة تساوي في تعبها سفراً لأننا قطعنا أيضاً بعض الشوارع في الحارات الداخلية غير المسفلتة من هذه المدينة الكبيرة.

ويقع مسجد الهداية الإسلامية مقابلاً لسوق (بارنبو).

وكان هذا الحي يدعى (حي سيتاسي) القديم في زمن الاستعمار، ولا يزال يعرف بهذا الاسم عند بعض الناس.

لم تكن زيارتنا للمساجد معدة معروفة من قبل القائمين عليها ما عدا مسجد الحق، وذلك من أجل أن تبدو الأمور فيها عندما نشاهدها طبيعية لا تصنع فيها، وهذا فيه بعض المحذور لأننا قد نجد المسجد مغلقاً كما حدث بالنسبة لهذا المسجد، فقد وجدناه مغلقاً، ولكننا وجدنا بجانبه مظهراً جيداً من مظاهر العمل الإسلامي إذ رأينا أرضاً ومساكن بجانب المسجد اشتراها الإخوة الباكستانيون التجار بثلاثمائة ألف زايير ويساوي ذلك الآن عشرة آلاف دولار أمريكي، وكانت تساوي أكثر من ذلك عندما اشتروها، ولذلك فإنها اليوم تقوّم بأكثر من هذه القيمة بكثير، ورأيناهم يهدمون - الآن - غرفاً في تلك الأرض تمهيداً لتوسعة المسجد بها فجزاهم الله خيراً.

أما المسجد المغلق فإن الذي رأيناه من أمره أنه لم تكن فيه منارة، وليس في داخله مراوح لمكافحة الحر، ولذلك يحتاج إلى هذين الأمرين،

وسوف نقدم المال اللازم لهما إن شاء الله قبل سفرنا .

**الاجتماع بالدعاة إلى الله :**

وكان الاجتماع بهم في مساء هذه الليلة في مكتب الرابطة وعددهم عشرة ، كلهم يأخذ راتبه الشهري من رابطة العالم الإسلامي، وكان هذا الاجتماع ضرورياً من أجل مناصحتهم أولاً ، والاطلاع منهم على العقبات التي تعترض الدعوة الإسلامية في هذه البلاد والمشكلات التي يواجهونها هنا ، ولكونهم كانوا قد تكلموا معي في الليلة الماضية من أن بعضهم لا يستطيع أن يحدد موقفه بوضوح لأن الجمعية الإسلامية (كوميزا) تطالبهم بأن يعملوا تحت إشرافها ، وتوجيهها ، ومدير مكتب الرابطة في كنشاسا يريد منهم أن يعملوا تحت إشرافه.

وقد أوضحت لهم علاقتهم بالجمعية الإسلامية ، وأنها علاقة النصح والإرشاد وإنكار المنكر من دون عنف أو وجود مفسدة تترتب على ذلك أكبر من المصلحة الإسلامية المطلوبة ، وذلك أن بعضهم ذكر أنهم لا يرضون عن أفعال المسؤولين في الجمعية الإسلامية لنقص معرفتهم بأحكام الدين، لأنهم لم يتعلموا في المدارس الإسلامية ، ولم يتفقهوا في الدين، وقلت لهم: إن مرجعكم المعتمد هو مكتب الرابطة ، ولكن لا ينبغي أن تقفوا من الجمعية الإسلامية أو من زعماء المسلمين موقف اللامبالي أو موقف المعادي، بل تشعرونهم أنكم إخوان لهم، وأنكم عينتكم الرابطة من أجل إرشاد المسلمين، والرأفة بهم، ومن أجل جمع كلمة المسلمين وأن تكونوا عامل وحدة ووئام، وليس عامل تفرق وخصام.

كما طلبت منهم ألا يتدخلوا في الشؤون الإدارية الداخلية للجمعية ، لأن بعض المسؤولين في الجمعية أخبروني أن بعض الدعاة يفعل ذلك، وأنه يناصر فريقاً على فريق لأمور ليست إسلامية خالصة.

وقد انقضى هذا الاجتماع قبيل الحادية عشرة .

## يوم الخميس: ٢٧/٢ / ١٤٠٤ هـ

ذهبنا للمرة الثانية هذا الصباح إلى مكتب الشركة الإثيوبية للطيران بغية الحجز للسفر معها من كنشاسا إلى نيروبي، وذلك أن شركة الخطوط الزاييرية للطيران لا يوثق بها من حيث المواعيد، ولا من حيث الحجز، وموظفو مكتب الرابطة ليست لديهم معرفة بالحجز، ولا يعتمد عليهم في هذا الموضوع.

### معهد التعاون:

وكانت الفقرة الرسمية الأولى هذا اليوم هي زيارة مدرسة تسمى (معهد التعاون) ومدرسة ملابو .

ذهبنا إلى ذلك المعهد مع رئيس لجنة المعهد الأخ (كتولو عبد الله) وكان رئيس الجمعية الحنبلية قبل إلغاء ترخيص هذه الجمعيات المنسوبة للمذاهب، فوجدنا المعهد والصحيح تسميته بالمدرسة، وإن كان الفرق بين الاسمين ليس واضحاً في أذهان كثير من الناس، غير أن كلمة المعهد صارت تطلق على دار العلم المتخصصة بدراسة علوم معينة، وأما المدرسة فإنها العامة المعتادة .

وجدناه في بناء متسع ولكنه غير جيد، إلا أنه غير زري المظهر، وتبين فيما بعد أن هذا البناء مملوك للحكومة تؤجره على جمعية المدرسة، بثمانية وعشرين ألف زايير في السنة، وأن هذا المعهد ليس معهداً إسلامياً، وإنما هو مدرسة عامة تقوم على إدارتها لجنة من أهل الحي الذي يقطنه كثير من المسلمين، وتطبق منهج الحكومة مع إعطاء دروس دينية إسلامية لأبناء المسلمين من الطلبة الذين تبلغ نسبتهم في المدرسة النصف من مجموع الطلاب الذين يزيد عددهم، كما أخبرونا عن سبعمائة طالب .

وذكروا أنهم يتقاضون من الطالب عشرين زاييراً في الشهر بمثابة

الرسوم التي تعاونهم على مصاريف المدرسة، وأنهم لا يستطيعون أن يمنعوا أبناء غير المسلمين من دخولها، لأنها ليست مدرسة إسلامية، تدار بأموال المسلمين وحدها، وإنما هي مدرسة خاصة بالحي تساعدها الحكومة.



**الشارع الذي فيه معهد التعاون الإسلامي الصغير في كنشاسا**

وطلبوا منا إرسال مدرسين للعربية والدين .

**حي زنقولا :**

والغرض من الذهاب إلى هذا الحي هو الاطلاع على ما أسموه لنا (مركز الإسلام الديني في زنقولا) أو (مركز زنقولا الإسلامي) وألح علينا القائم عليه لزيارته والاطلاع عليه، وكان يرمي من وراء ذلك إلى الحصول على مساعدة لدعمه وتوسعته، وقد زاد من قدره، وأكثر من ذكره، واستشهد بغيره من الحاضرين على ذلك.

ولكننا عندما رأيناه ذكر المثل العالي الذي يقول: (**الدِّيَر تكبرها أسامي**) والدِّيَر هي الديار أي البلدان فعندما رأيناه لم نجد فيه من الطلاب

إلا عشرة وكانوا ذكروا أن طلابه يبلغون الخمسة والعشرين وهو في مكان صغير غير مناسب، ومع ذلك فإن هذا المكان هو عارية ولا يملكه المركز، وإنما تبرع أحد الإخوة المسلمين الزاييريين، واسمه (ديمبو محمد) بإعطائه القائم على هذا الذي يسمى بمركز زنقولا الإسلامي واسمه (موسى بشير ماقمبا) عارية مؤقتة، مع أن المحل نفسه ليس صالحاً ليكون محلاً للتدريس فهو ضيق لا تزيد مساحته على خمسة أمتار في مثلها، وفراشه من الحصر الرديئة، وذلك لأن الأخ المتبرع (ديمبو محمد) أخرجه لهم من بيته جزاه الله خيراً، وحتى الدراسة فيه بدأت كما يقولون في شهر رمضان الماضي، وكانت أقوى مما هي عليه الآن، إذ كان يدرس اللغة العربية والدين وأما الآن فقد اقتصر على تحفيظ القرآن.

وانتهزنا فرصة للتجول في هذا الحي فوجدناه يشترك مع غيره من الأحياء الشعبية في كنشاسا في كونه مهملاً لا زفت فيه ولا أرصفة، ولا مظاهر الخدمات البلدية الواضحة.

كما يشترك أيضاً في كثرة الأطفال في أزقته وشوارعه كثرة مفرطة.

وقد ذكروا لنا أن في الحي عدداً لا بأس به من المسلمين.

### مقر الجمعية الإسلامية:

وكان الأخ (تامبوي عبيدي كوزاني) وهو من كسنغاني رئيس الجمعية الإسلامية الزاييرية الوحيدة، التي تعترف بها الحكومة قد جاء إلينا في الفندق هذا الصباح مزهواً مفاخراً وظاهر ذلك أنه جاء ليجدد طلب زيارة مقر الجمعية، وباطنه الذي صار ظاهراً ليخبرنا أن رئيس جمهورية زايير (موبوتو) قد منحه وساماً جمهورياً تقديراً لمكانته الشخصية أولما عمله في الجمعية الإسلامية.

وكان يكرر قوله بأن هذا حدث ينبغي أن يفرح به المسلمون لأنه - كما قال - يمثلهم عند الحكومة، كما كان قد دعانا إلى بيته فتمنعنا عليه، في إجابة الدعوة تلافياً لما قد يترتب عليها من تكلفة ونفقة .

إلا أنه اليوم قال: إنه لا بد من زيارته في بيته لكي يرينا الوسام الذي منحه إياه رئيس الجمهورية فوافقنا على ذلك تحت إلحاحه.



**في مكتب (كوميزا) مع رشيد الأمين العام لها في كنشاسا**

أما مكتب الجمعية الذي زرناه اليوم فإنه مستأجر بأجرة شهرية هي ستة عشر ألف زايير ويساوي ذلك حوالي خمسمائة وخمسين دولاراً أمريكياً في الوقت الحاضر.

وهو على هيئة دارة (فيلا) واقعة على شارع عشرين مايو في منطقة (كلامو) وهو من اسم نهر في تلك المنطقة.

وفيه غرفة صغيرة للاجتماعات، ومكاتب عديدة للإدارة، ولم أجد

فيها مكتبة يقصدها من يريدون الاطلاع على المعرفة الإسلامية مثلاً، ولا منشورات مبسطة عن الإسلام، بل قيل: إن هذا المقر لا يفتح إلا عند الحاجة لاجتماع الأعضاء أو لغرض إداري بحت مع أنها هي الجمعية الإسلامية الرئيسية في البلاد، ورئيسها يلح على أن سبب التقصير في العمل للإسلام هو عدم وصول مساعدات مالية من البلدان الإسلامية، مع أنه كان من الضروري أن يبذلوا جهدهم أولاً بما يستطيعون، ويجمعوا حولهم من المسلمين المخلصين من يستعينون بهم على أداء الواجب الإسلامي.

**بيت تمبوي في بمبو:**

كان الذهاب إلى بيت (تمبوي عبيدي) رئيس الجمعية الإسلامية (كوميزا) فاخترقت السيارات إليه شوارع طويلة يصعب سير السيارات فيها لكثرة المناقع والحفر التي أحدثتها فيها السيول العظيمة التي هطلت أمس واليوم. ولكثرة الناس وازدحامهم في هذه الشوارع.

وكان الرئيس قد ذكر لمدير مكتب الرابطة وغيره حتى من أهل زايير اسم الحي الذي يقع فيه بيته وهو (بمبو) فلم يعرفوا جهته إلا بصعوبة وكان أرسل إلينا سيارته الخاصة صحبت سيارتنا إليه.

وحتى موقع هذا الحي من العاصمة لم يعرفوه إلا بصعوبة وبعد مراجعة صاحب البيت الرئيس نفسه حيث اتفقوا بعد بحث على أنه يقع إلى جهة الغرب من قلب العاصمة كنشاسا.

وحي (بمبو) الذي يقع فيه البيت، هو حي للوجهاء والأثرياء، ذكروا أنه كان يسكنه كبار المستعمرين من البلجيكيين وغيرهم من الأوروبيين في زمن الاستعمار، وأن تامبوي عبيدي قد اشترى بيته هذا من أحد البلجيكيين.

والبيت يستحق ذلك فهو سري جميل واسع ذو حديقة وغرف للاستقبال

متعددة، وبناؤه جيد.

ولكن الوصول إليه حتى داخل ذلك الحي الجيد كان متعباً جداً للسيارات بسبب ما أحدثته الأمطار فيه من حفر وأخاديد، ولسبب آخر غير ذلك ألا وهو الأغطية الحجرية أوالإسمنتية التي يغطون بها قنوات المجاري عند ما تعترض الطريق

وهذه القنوات أو المجاري الصغيرة تكون في العادة ملاصقة لحيطان المنازل تتلقى المياه المستعملة من البيوت بما فيها المياه القذرة ثم تجري فيها حتى تخرج من الحي على غرار ما هو موجود في أكثر البلدان الاستوائية المتخلفة في آسيا وإفريقية.

غير أن تلك المجاري تعترض الطريق في بعض الأحيان فيغطونها بحجارة كبيرة، وبقطع كبيرة من الإسمنت من أجل أن تستطيع السيارات أن تسير فوقها ولا تقع فيها إذا تركت مكشوفة كما هي عليه حالها عندما تستمر تحت حيطان المنازل .

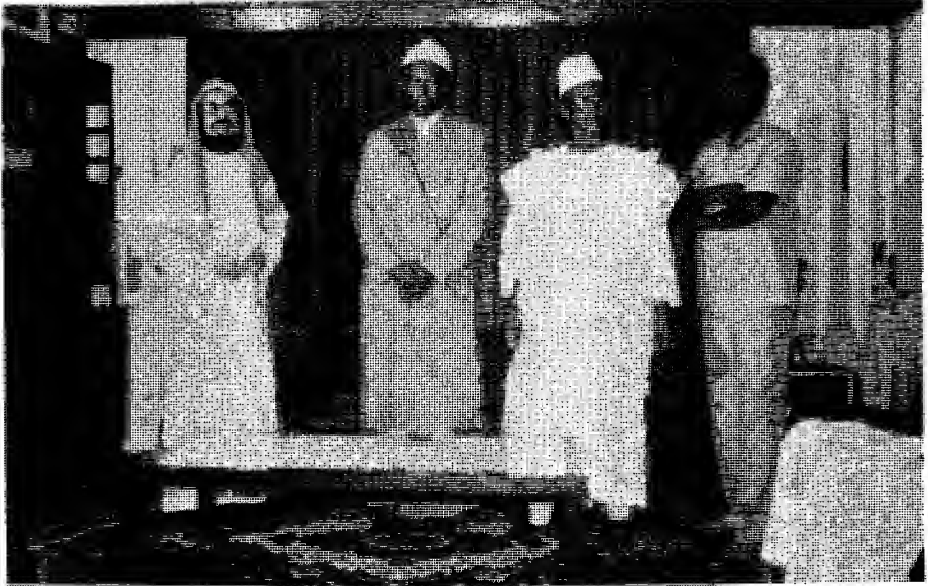
وغالباً ما يكون الغطاء غير متقن، أو يكون ما حوله منخفضاً فتعاني السيارة من احتكاكها به عند المرور وإذا كانت سيارات ليست عالية لم تستطع اجتيازه.

استقبلنا السيد عبيدي في بيته مرحباً متعاظماً في نفسه من أجل الوسام الذي حصل عليه، ومعه بعض العاملين الكبار في الجمعية ومنهم الأمين العام للجمعية (رشيدي ).

وأجلسنا في غرفة استقبال فسيحة مؤثثة بأثاث ثمين ينطق إلى ذلك بذوق رفيع مثل سائر ما في البيت الذي كانت فيه تقريباً كل الأجهزة الحديثة التي تجعل البيت عصرياً مثل التلفاز والمراوح الكهربائية وجهاز الاستقبال (الراديو) وبعض اللوحات الفنية.

وإن كانت الكهرباء هنا غير قوية ويبين هذا واضحاً من عدم سطوع المصابيح فيه إضافة إلى ما أخبرونا به عنها.

وشيء آخر يكدر من صفاء السكن في هذا البيت وأمثاله وهو أنه رغم كونه حياً راقياً، يسكنه كبار القوم فإنه لم يسلم من السرقة فقد سطا اللصوص عليه يوم الجمعة الماضية، كما أخبرنا به الأخ (تامبوي) وسرقوا جهازاً للتلفزة وأشياء أخرى للزينة، هذا مع العلم بأن السيد (تامبوي) متزوج من أربع زوجات، ولكن لا أدري أهن جميعاً في هذا البيت أم يسكن بعضهن خارجه، أم جاء اللصوص في وقت غفلة .



**في منزل (تمبوي عبيدي) رئيس الجمعية الإسلامية (كوميزا) وقد وضع الوسام الذي حصل عليه على صدره، ووقف يسار المؤلف ويمين الشيخ الدكوري**

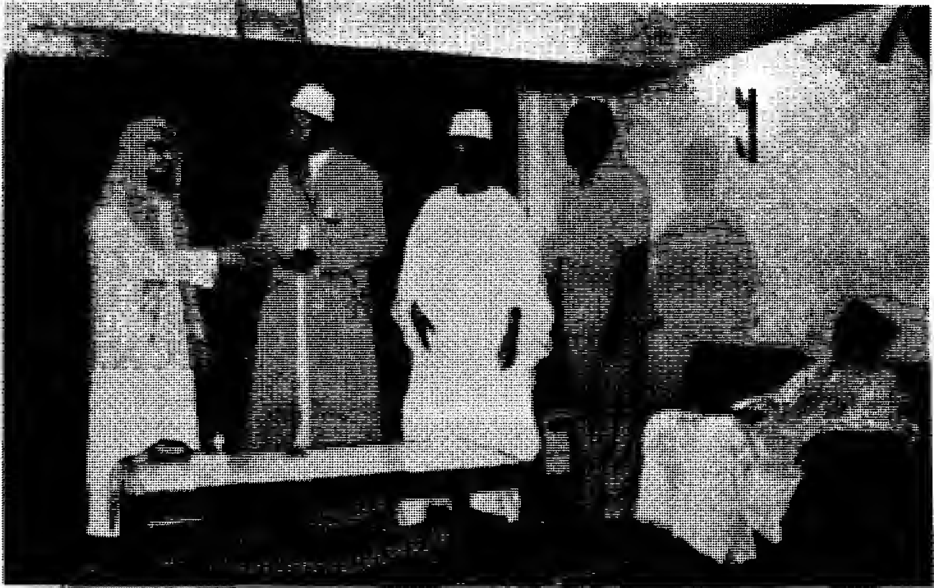
وفي هذا الحي الراقي قتل أحد الأثرياء من أهل مالي في بيته، وأخذ اللصوص كل ما كان يحتويه البيت، ولم يعاقب اللصوص وإن كان بعض الناس يقولون إنهم عرفوا، ولكن كانت لهم علاقات قوية بالمسؤولين في

الشرطة عصمتهم من العقوبة، أو هذا هو ما قيل لنا .

وعقب القائلون على ذلك بقولهم: ما أقل الأمن للأثرياء في هذه البلاد، وبخاصة إذا كانوا من الأجانب !

وكان السيد (تامبوي عبيدي) قد حشد فرقة للتصوير التلفازي، ومصورين صحفيين لتسجيل هذه المناسبة، مناسبة زيارتي لبيته كما قالوا .

وقد أخذ أولئك المصورون يلتقطون الصور بإسراف ومن زوايا مختلفة، بل ويصور أهل التلفزة كل ما يجري في المجلس.



**في منزل رئيس الجمعية الإسلامية (كوميزا) تمبوي عبيدي يقدم للمؤلف أوراقاً عن الجمعية**

ولم أجد لهذا مبرراً فسألته عن ذلك فقال: إن زيارتك لبيتي مناسبة سعيدة تستحق أكثر من ذلك، ويجب تسجيلها بكافة الوسائل .

فقلت له: إنني أشكرك على ذلك ولكن كان يكفي في نظري أن يسجل ذلك في صورة أو صور تذكارية لا في كل هذا الحشد من التصوير

التلفازي والصحفي .

وقد ألقى رئيس الجمعية الأخ (تامبوي عبيدي) كلمة أمام التلفاز وأنا بجانبه رحب فيها بضيوفه وتحدث طويلاً عن نفسه ، وعن رئاسته الجمعية ، وأنها تمت بالانتخاب دون تدخل من الحكومة ، وأنه عمل من أجل الإسلام أشياء كثيرة ، وأنه ينفق من ماله على المشروعات الإسلامية وأدخل على يديه في الإسلام عدداً من الناس .

ثم ذكر الوسام الذي منحه إياه رئيس الجمهورية أمس وقال: هذا موضع الاعتزاز والفخر ، لأنه يدل على مكانة المسلمين .

فرددت عليه بكلمة شكرته فيها على ترحيبه بنا ، وعلى ما ذكره من عمله للإسلام وقلت له: إن انتخابك رئيساً للجمعية الإسلامية يجعل عليك مسؤولية كبيرة أمام الله سبحانه وتعالى أولاً ، ثم أمام المسلمين في داخل زايير وخارجها ، لأنك بذلك تكون قد تحملت المسؤولية أكثر من غيرك ، لأنك أكبر المسلمين منصباً في الجمعية الإسلامية التي هي الوحيدة المعترف بها من قبل الحكومة .

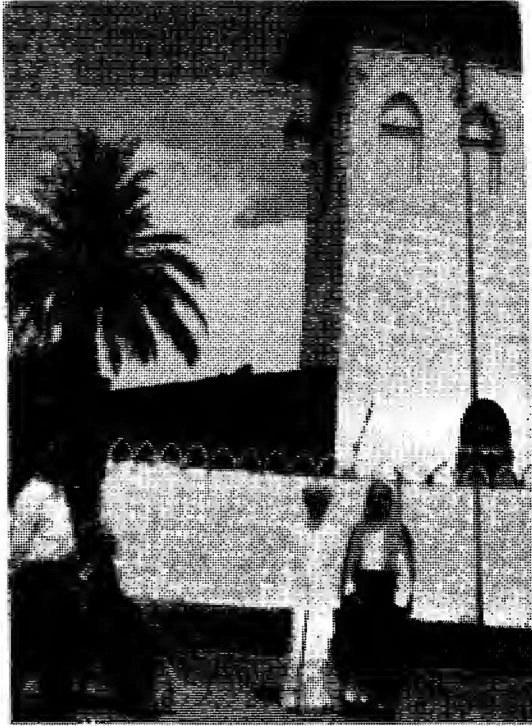
وفي نهاية الاجتماع عرض علينا صوراً متلفزة لصلاة العيد في مدينة كسنغاني التي أصله منها ، ولم نستطع الحصول على وسيلة للسفر إليها لأنه لا طيران إليها مضموناً ، كما كان تبين أنه لا يعرف حتى مواعيد الطائرات إليها.

أما الوسام الذي افتخر به و تبجح بالحصول عليه ، فإن رئيس الجمهورية قد منح مثله لرؤساء الأديان في البلاد كما ذكروه لنا ، ولم يكن منحه ذلك الوسام لقاء عمل جليل قدمه لوطنه أو للدين الإسلامي ، وإنما هو أمر شبه معتاد.

ثم ودعناه شاكرين له حسن استقباله ، وحفاوته التي كان من مظاهرها أنه كان يستبقيني عنده أكثر كلما استأذنت منه بالخروج وحاولت ذلك بالفعل.

يوم الجمعة ٢٨/ ٢/ ١٤٠٤هـ

**الجمعة الحافلة في جامع الهداية:**



**أمام منارة جامع الفتح في كنشاسا (الجمعة)**

كانت صلاة الجمعة اليوم في مسجد الهداية في كنشاسا، ذهبنا إليه مبكرين بعض الشيء ولكننا وجدناه قد امتلأ بالذين وصلوا قبلنا من المصلين، بل وجدنا الشارع الذي أمامه قد امتلأ بالمصلين الذين افترشوا أرض الشوارع على فرش أحضروها صغيرة وجلسوا تحت الشمس، وبعضهم أحضر معه شمسية تقيه الشمس.

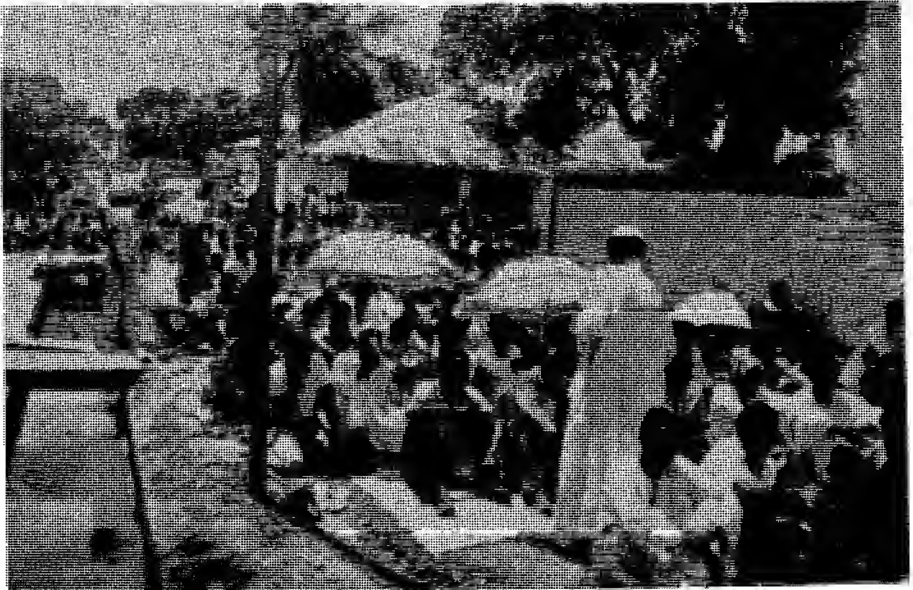
والمؤسف أنهم جلسوا حول مجاري المياه القذرة في الشارع وهي المعتادة في بلادهم التي تكون بجانب الحيطان تصب فيها المياه المستعملة من البيوت.

وذلك لكونهم لم يجدوا مكاناً في المسجد الذي لم يستوعب إلا أقل من سدس المصلين.

وكان من الجدير بالقائمين على المسجد، وهم يعرفون أن الشوارع حوله تمتلئ بالمصلين في كل جمعة كما أخبرونا أن يسقفوا هذه المجاري في المنطقة التي تصلى فيها الجمعة من الشارع ولو كان ذلك بصفة مؤقتة كأن تغطى بأغطية خشبية تبعد عنها بعد الانتهاء من الصلاة، ثم تعاد قبل صلاة الأسبوع القادم.

وكانت الصفوف في الشارع مستطيلة مع طول الشارع لأنه غير عريض .

وحتى النساء فإنهن كن يصلين في مكان خاص بهن من الشارع، وذلك لكون المكان المخصص لهن من المسجد قد امتلأ أيضاً بالمصليات كما كان المسجد نفسه قد امتلأ بالمصلين.



**مسجد الجامع الكبير (أو مسجد الفتح المبين) في حي إيسوكي**

ولم تكن بنا طاقة على الصلاة في الشمس بجوار المجاري فدخلنا إلى المسجد متجاوزين هذه الصفوف الطويلة من المنتظرين للصلاة في الشارع .

وكان معي صديقي (الدكوري) والأستاذ (كوبا باب الخير) مدير مكتب الرابطة، فتخلف خارج المسجد ودخلت أنا والشيخ الدكوري إلى المسجد فوجدناه مزدحماً ليس فيه موضع لقدم .

غير أن إمام المسجد وكان اجتمع بنا من قبل في مكتب الرابطة استقبلنا، وأجلسنا بجانب مكان الإمام من المحراب حتى أقيمت الصلاة ودخلنا في الصف الأول.

وقد تقدم للخطبة في المسجد شيخ مصري أزهري، فخطب في الناس خطبة في مدح الرسول ﷺ مليئة بالاستعارات، والعبارات التي لا يفهمها إلا العربي العريق في لغته العربية، وعددهم هنا قليل.

وقد تقدم هذا الشيخ على إمام المسجد الذي كان يستعد لإلقاء الخطبة وطلب مني أن أخطب في الناس وأؤمهم فاعتذرت له عن ذلك مؤثراً أن أسمع الخطبة منه وأرى كيفية إمامته للمصلين، ولكن الشيخ فوّت عليّ هذه الفرصة وألقى خطبة ليس فيها جديد لدي.



**المصلون في يوم الجمعة في جامع كنشاسا**

ثم إنه بعد الصلاة أخذ يقول لي: إن هؤلاء القوم جهال، لا يحسنون العربية، حتى مشايخهم لا يعرفونها.

أما أنا فإنني كنت أحاول أن أجاملهم وأن أرفع من معنوياتهم بإظهار أن ما يعرفونه من اللغة العربية وأمور الدين هو شيء مهم وكبير، لأن هذا هو الواقع.

فهم إخوة أعزاء في الإسلام بعيدون عن الحواضر الإسلامية، وقد اجتهدوا في تحصيل المعرفة عن الإسلام رغم المعوقات، وكثرة التحديات، ولذلك يستحقون الثناء والتقدير الصادق، فضلاً عن التشجيع اللازم.

**كلمتي بعد الصلاة:**



**المؤلف أثناء إلقاء الكلمة في جامع كنشاسا المزدحم وبجانبه المترجم**

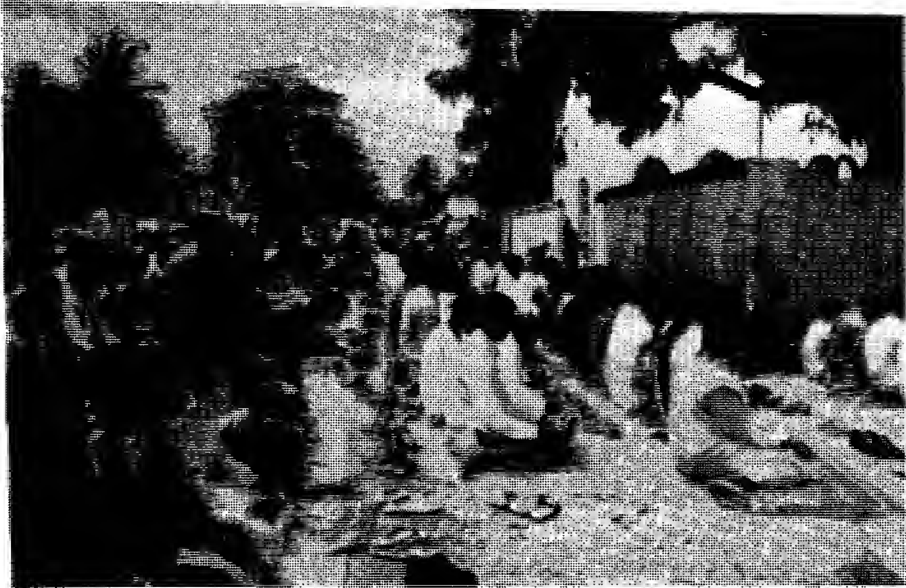
بعد انتهاء صلاة الجمعة طلب مني إمام الجامع الشيخ (مالنقيلا عيدي

كاروني) وعدد من المصلين أن ألقي فيهم كلمة من مكبر الصوت، فألقيت كلمة بالعربية ترجمها إلى لغة (لنقالا) إحدى اللغات الرئيسية المحلية في هذه المنطقة الأخ (محمد خميس) أحد الدعاة العاملين مع جمعية كوميزا .

وقد تضمنت كلمتي التعريف بمهمتنا التي قدمنا من أجلها إلى هذه البلاد الزاييرية، و برابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة، وقوة الأخوة الإسلامية التي تربط بين المسلمين وأنها أقوى من رابطة النسب، وضربت لهم المثل على ذلك ببلال بن رباح الحبشي الذي هو إفريقي وصار من أفاضل الصحابة ومن أكابر السابقين الأولين إلى الإسلام بسبب عمله الصالح المخلص لدينه الإسلامي.

ثم أوصيتهم بتقوى الله تعالى في أنفسهم وأولادهم وفي معاملاتهم حتى يكون المسلم قدوة حسنة لغيره.

**مدرسة ابن حجر الابتدائية :**



**المصلون في جامع الهداية تحت الشمس في جمعة كنشاسا**

بعد ذلك انتقلنا لمشاهدة مدرسة ابن حجر الابتدائية الواقعة في جهة من هذا المسجد، وتشغل غرفتين ويدرس فيها ثلاثة من الإخوة المصريين أحدهم الذي خطب بنا لصلاة الجمعة، كما يدرس فيها الأخ (محمد سال) أحد الدعاة إلى الله الذين تدفع رابطة العالم الإسلامي رواتبهم، ذكروا أن مدة الدراسة فيها هي ست سنوات، وأن فيها الآن فصلين وهي تحت رعاية الجمعية الإسلامية الزاييرية: (كوميزا ).

وكنت عرفت هذا المسجد قبل ثمان عشرة سنة عندما زرت زايير وكانت تسمى آنذاك (كنقو كنشاسا) فلم أره تغير منه شيء رغم زيادة المصلين زيادة كبيرة بسبب الزيادة المعتادة في مواليد المسلمين عن غيرهم وبسبب الزيادة النوعية التي هي دخول عدد من غير المسلمين إلى الإسلام.

**العرب في كنشاسا:**

مما استفدناه من المعلومات التي حصلنا عليها هنا أن العرب في كنشاسا كثير، فمن أهل الشام وحدهم يوجد أكثر من ألفي نسمة، وتوجد للبنانين مدرسة عربية تدرس باللغة العربية ولكنها لا تدرس الدين لأنها تضم طلاباً من أديان مختلفة، وهي تضم الآن ٣٢٠ طالباً عربياً.

فمثلاً توجد خمس أسر أردنية من العاملين في الأعمال الحرة، وست أسر من المسلمين الطرابلسيين، و يوجد عدد قليل من مسلمي أهل عكار في لبنان، كما توجد أسرتان سوريتان من المسلمين.

وأما المسيحيون فإنهم أكثر من ذلك وجلّهم من اللبنانيين يليهم السوريون.

وقد ذكر المطعم الذي يديره صاحبه الأردني الفلسطيني الأصل، أن طائفة من العرب يأتون للأكل من عنده، وكذلك المسلمون من غير العرب حباً في الطعام الإسلامي. كما يرتاد مطعمه أناس من كبار الموظفين من

أهل البلاد.

وقد ذكر قصة في هذا الصدد، وهي أن الشرطة استدعته بشأن إقامته مع أنها - كما قال - صحيحة ليس فيها من خلل، إلا أن بعض الضباط الصغار يفعلون مثل هذا الفعل مع الأجانب العاملين في زايير بغية الحصول منهم على شيء مقابل السكوت عنهم.

قال: وبينما كنت في مكتب الشرطة أوضح أمري للمسؤول إذ بأحد الضباط الذين أعرفهم معرفة سطحية، وكان مرة تعشى عندي هو وزوجته، وذكر لي بعد العشاء أنه لم يجد في جيبه نقوداً، فقلت له: إن النقود غير مهمة، والمهم عندي أن يكون الطعام أرضاك، لأنني رأيت عليه علامات الوجاهة، وقلت في نفسي ربما أحتاج إليه.

قال: فلما رآني أمر بإطلاقي والإفراج عن أوراقي، وقال: هذا رجل طيب كنت آكل أنا وزوجتي عنده.

وبهذه المناسبة يقول الأخ الأردني: إنه لم يحدث أن أحداً من المواطنين أكل في مطعمه وأبى أن يدفع الثمن، وإنما الذي يحدث أنه هو لا يقبل في بعض الأحيان أخذ ثمن الوجبة من بعض الوجهاء والمسؤولين الذين قد يحتاج إليهم، لأن الأجنبي في هذه البلاد لا يستطيع أن يستمر في العمل ويكسب منه إلا إذا كانت له علاقة طيبة بمسؤول كبير.

هذا عن العرب من الشام الكبير الذي يشمل سورية ولبنان والأردن وفلسطين.

وبالنسبة لعرب المغرب العربي فإنه يوجد في زايير عدا موظفي السفارات العربية عدد طيب من التجار الموريتانيين، وعدد قليل من المدرسين المغاربة، إضافة إلى العرب الذين هم الآن من رعايا مالي أو النيجر ممن يسكنون في الأقاليم الشمالية الشرقية من تلك البلاد.

وهناك طائفة كبيرة العدد ممن لا يعدهم الناس من العرب إذا عدوا، لأنهم من رعايا زايير نفسها ومنهم على سبيل المثال الأخ عبد الله فونجي الذي ترجم كلامي في اجتماع إحدى الليالي الماضية من اللغة العربية إلى السواحلية، وذلك في مكتب رابطة العالم الإسلامي في كنشاسا.

وأصله من زنجبار وإن كانت الشمس الإفريقية لم تبق له من لونه العربي إلا القليل، فإن لغته العربية سليمة، وتقاسيم وجهه لا تزال هي العربية العمانية، وشخص آخر عربي الأصل اسمه عزيز ولا أذكر بقية اسمه.

ويكثر العرب في الولاية الشرقية من زايير التي عاصمتها مدينة كسنغاني، وفي ولايات أخرى لا تبعد كثيراً عن حدود تنزانيا مثل بلدة (بركة) التي سميت على اسم شيخ مسلم حضر إلى المنطقة من زنجبار داعياً إلى الله تعالى، فتوفي في هذه القرية وسميت على اسمه.

وقد اختلط بعض العرب الشرقيين الزاييريين هؤلاء بالسواحليين الذين يسكنون في سواحل إفريقية الشرقية وفي زنجبار، وكانوا هم قد اختلطوا في عهود سابقة ما بين العرب والسكان الأصلاء لتلك المنطقة.

### مدرسة عمران بن جمعة:

الشيخ عمران بن جمعة من أوائل من عرفناهم في منطقة شرق إفريقيا ووسطها بإتقان العربية، وتعليم الدين الإسلامي، والعلوم العربية لأبنائها، عرفناه بذلك في بورندي عام ١٣٨٤هـ ١٩٦٤م، ثم عرفناه في هذه البلاد الزاييرية في عام ١٩٦٦م، أي منذ ثمان عشرة سنة.

وقد رأس الجمعية الإسلامية الرئيسية في زايير فترة، إلا أنه من رجال العلم وأهل الدين الذين لا يعرفون أساليب السياسة وأحابيلها فسقط في الانتخاب.

فصرف جهده إلى ما كان يزاوله قبل ذلك من التعليم العربي والتربية

الإسلامية، وأنشأ مؤخراً معهداً واسعاً اشترى له أرضاً خارج كنشاسا، حيث توجد الأرض الفسيحة من شيخ القبيلة التي تسكن المنطقة، مقدارها أربعة آلاف ومائتا متر مربع حسبما أخبرني به. ثم وثق شراءه الأرض بتملك من الحكومة كما قال.



**مع طلبة معهد عمران جمعة في كنشاسا**

وقد بلغ طلاب هذا المعهد ألفا ومائتين وسبعة وستين طالباً حسبما ذكر، وذكر لنا شيئاً أهم من ذلك وهو أن ٦٥٪ من تلاميذه هم حديثو العهد بالإسلام، يعني أن آباءهم ليسوا من المسلمين فكان يلتقط أبناء غير المسلمين ويستأذن من أهلهم في أن يكفلهم في معهده بحيث يسكنون ويدرسون فيه، ويعلمهم علوم الدين الإسلامي واللغة العربية؛ لكي يصبحوا بعد ذلك دعاة إلى الله بين بني قومهم من غير المسلمين.

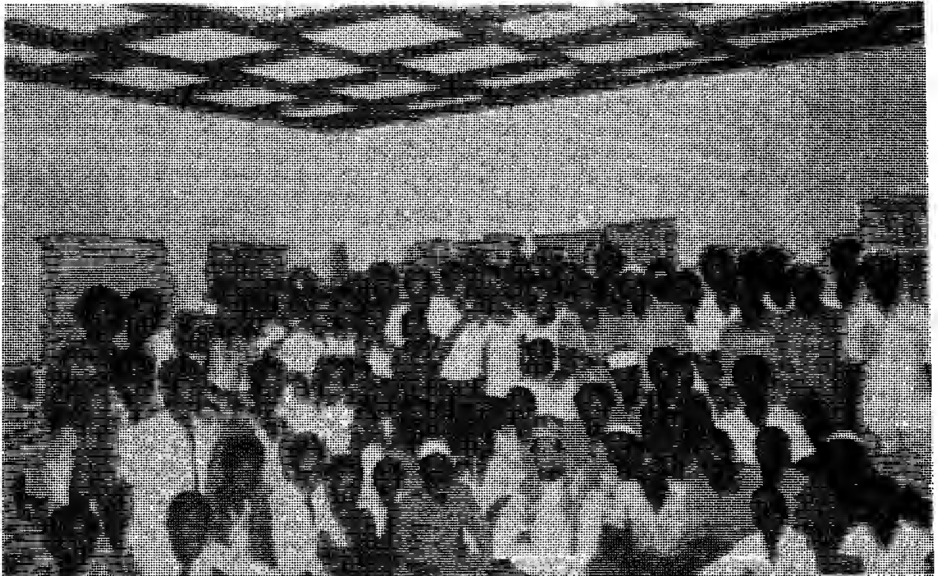
وكنا حرصنا على زيارة هذا المعهد، ورؤية الأرض التي اشتراها الشيخ له، وذكر سعتها، إلا أنها تقع في حي (بنقا) الذي يبعد عن مدينة كنشاسا ٢٢ كيلومتراً، ولا يمكن الوصول إليها في الوقت الحاضر بالسيارات؛ لأن

السيول قد أفسدت الطرق الترابية التي توصل إلى تلك المنطقة.

ولذلك حصل الشيخ على مقر مؤقت يجمع فيه كبار طلبة المعهد في المناسبات مثل مناسبة زيارتنا، وهو قاعة واسعة مع ما يتبعها من غرف، وكل ذلك مملوك لأخ مسلم باكستاني من التجار العاملين في هذه البلاد اسمه منير محمد منشئ، وقد منحها للشيخ عمران جمعة ليستخدمها لما ذكرناه.

ذهبنا هذا اليوم إلى المكان الذي اجتمع فيه من طلبة معهد الشيخ عمران بن جمعة ما يزيد قليلاً على الأربعمائة، فوجدناهم في أسنان جيدة ما بين الثانية عشرة والعشرين تقريباً، وتحصيلهم للعلوم جيد جداً، ولغتهم العربية فصيحة واضحة، بحيث إنني كنت أتكلم فيهم بالعربية فيفهمونها مني كما يفهمها الطلاب من العرب.

بل إن بعضهم ألقى كلمات بالعربية ارتجلها ارتجالاً، وكان الشيخ عمران اختار بعضهم لهذا الأمر، واخترت أنا بعضهم فكانوا في مستوى أعلى مما ظنناهم فيه.



**أثناء الاستماع لكلمات طلبة معهد الشيخ عمران جمعة في كنشاسا**

وهذا نص الكلمة التي ألقاها الطالب سليمان لوكيبا كينو ..

بسم الله الرحمن الرحيم

صاحب الفضيلة الأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي

أصحاب السعادة، أصحاب الفضيلة، الإخوة والأخوات.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

بمناسبة زيارة فضيلة الشيخ محمد الناصر العبودي، الأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي، عاصمة كنشاسا، فإن طلبة مركز الدراسات القرآنية والتبليغ في بنز ببلدية نجاليما، برعاية أستاذهم عمران جمعة لوكنقا، يرحبونكم ترحيباً حاراً بقبولكم دعوتهم للاشتراك معهم في هذه المناسبة الطارئة، في هذا المكان المستعار مؤقتاً.

وإني كطالب لهذه المدرسة التي أسست لهدف الدعوة الإسلامية، وتعليم الشباب المؤلفة قلوبهم كتاب الله "القرآن الحكيم" قراءة وحفظاً، وترجمة معانيه بالفرنسية، واللغات المحلية، أنتهز هذه الفرصة النفيسة نيابة عن زملائي الطلبة وأستاذنا بتقديم عميق شكرنا للضيف الكريم الشيخ العبودي، فأهلاً وسهلاً ومرحباً لزيارة وطننا زايير بالمرة الثانية، في سلسلةٍ لبحوث إخوانه مسلمي زايير الذين لا يزالون في عزلة عن العالم الإسلامي لفقدان المدارس الإسلامية المنظمة، من الابتدائية والثانوية والجامعية التي تطابق مدارس أخرى في بلدان الإسلام والعروبة، تمهيداً للحصول على المنح الدراسية في العلوم الإسلامية والحديثة، لمستقبل الشباب المسلم لأجل العقيدة الروحية، ولصالح بلاده ومواطنيه الذين في أشد حاجة للمرشدين الحاملين بثقافتي الدينية والمدنية معاً، واللغة الفرنسية والعربية أيضاً، بجانب اللغات المحلية.

فضيلة الأمين العام المساعد للرابطة.

اسمح لي أن أعبر لدى فضيلتكم عن نقطة هامة لحياتنا ومتطلباتنا ما دمتم معنا في هذه العاصمة، وهي:

نحن من أبناء زايير ممن هدانا الله إلى الإسلام في نفس المركز القرآني والتبليغ في رعاية أستاذنا عمران جمعة، الذي عرفته منذ عشرين عاماً تقريباً، في بعثة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة حينما كنتم أميناً عاماً لنفس الجامعة لزيارة إفريقيا، ثم زرتم زايير عام ألف وتسع مائة وستة وستين ميلادية، ونظراً لكثرة الشباب المثقفين بالمدارس النظامية الذين يدخلون في الإسلام في العاصمة، وخوفاً لضياع عقيدتهم الحنيفية الإسلامية في وقت لم تزل أسرنا في المسيحية وغيرها، أسست هذه المدرسة في منطقة بنز البعيدة عن قلب العاصمة بنحو اثنين وعشرين كيلو مترات، لهدف تعليم الشباب وتربيتهم، وبالتربية الإسلامية كموقع لانطلاق الدعوة الإسلامية، وها نحن نجرب اليوم بإلقاء هذه الكلمة بالعربية مع صعوبات المخاطبة كشهادة للجهود الجبارة التي بذلها أستاذنا المرشد تطوعاً لله تعالى بغير طلب بديل مادي في التعليم.

وهؤلاء الطلبة الذين قد ختموا المصحف الشريف، وحفظوا نبذة من مبادئ الإسلام، قد وزعوا الآن في فروع كثيرة من مناطق العاصمة ويقومون بمهمة التعليم ونشر "القرآن الكريم" والدعوة الإسلامية بين جيرانهم.

والجدير بالذكر هو: أننا لم نزل نتلقى العلم في بناء من كوخ، وفي ناحية المعلمين الطلبة، فإن آباءنا رغم أنهم ليسوا من المسلمين، فإنهم قد سمحوا لنا اختيار الإسلام ديناً وإقامة الصلوات الخمس والتراويح وتعليم القرآن في دورهم علناً.

والدليل هو أستاذنا، قد زار هذه المناطق الستة عشر في ليالي رمضان المبارك الماضي لعام ألف وأربع مائة وثلاثة الهجري للتدريس وإلقاء المحاضرات بين المصلين.

فهل يا صاحب الفضيلة في بلادكم المقدسة قبلة مسلمي العالم فكرة حاسمة في إنقاذ هذه المدرسة حتى تصل إلى درجة المدارس في بلادكم ؟

وأن ترسلوا إلينا بالمنح الدراسية والأساتذة لنتعلم في بلادكم كما هو معلوم منذ ثلاث سنوات لزيارة وفد جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض الذين وعدونا بالمنح الدراسية فتم إرسال ملفات لعشرين طالب وطالبة بغير نظر إلى شروط الجامعات المشددة لمثلنا ؟



**مع الطلبة الذين أسلموا فطردوا من مدارسهم لعدم أكل الخنزير (كنشاسا)**

وختاماً نأمل بأن زيارتكم هذه ستأتي بنتائج كثيرة إن شاء الله، لأنكم منذ اليوم كمسؤول ثانٍ لرابطة العالم الإسلامي تحملتم مسؤولية كبيرة إلى بلادكم المقدسة حكومة وشعباً وجامعات ومعاهد المملكة والهيئات الإسلامية كالرابطة ودار البحوث العلمية والدعوة والإفتاء وغيرها من بلاد العالم الإسلامي والعروبة.

ونقدم شكرنا لكم وللحاضرين ولمدير مكتب الرابطة في كنشاسا والأخ المسلم الذي تبرع ببيته لأجل هذه الحفلة.

وعفواً

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كنشاسا

الطالب سليمان لوكيبا كينو

**توزيع الإعانات المالية :**

قرب موعد مغادرتنا زايير وذلك في الثالثة والنصف من بعد منتصف هذه الليلة.

لذلك واعدنا القائمين على أمور المساجد التي يساعدها مكتب الرابطة بعد مغرب هذه الليلة من أجل توزيع الإعانات على مساجدهم.

وذلك في مكتب الرابطة بحضور مدير المكتب وموظفيه وحضور رئيس الجمعية الإسلامية (كوميزا) السيد (تمبوي عبيدي) والأمين العام للجمعية الشيخ رشيد، وحضور الشيخ حسن ثابت عضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي، وكان رئيساً للجمعية الإسلامية الرئيسية في زايير، والشيخ عمران بن جمعة الذي كان أيضاً رئيساً للجمعية الإسلامية في زايير قبل سنوات، وبحضور جميع من سيعطون من هذه الإعانات، فكنا نعطي المسؤول عن الجمعية ونضع أختام الجمعية وشهادات الشهود على الأوراق، التي يوقعون عليها، ثم نختم ذلك كله بختم الرابطة، وختم الجمعية الإسلامية ابتغاء للتوثيق.

وبالنسبة إلى القائمين على بعض المساجد والمؤسسات التي ليس لها جمعية رسمية معترف بها من الدولة، ولكنها قائمة بالفعل أودعنا ما خصصناه لهم من المال عند الجمعية الرئيسية (كوميزا)، وأوصينا رئيسها والمسؤولين فيها أن يدفعوا لهم الإعانات على دفعات حسب سير العمل، أو الإصلاح المطلوب في مساجدهم.

وكان الجميع يشكرون وهم يتسلمون هذه الإعانات المالية منا باسم رابطة العالم الإسلامي، وقد تم تسليم الإعانات المذكورة بالدولار الأمريكي الذي إذا صرفوه بالسوق الحرة زاد ثمنه كثيراً عما هو عليه بالسعر الرسمي.

**جلسة مصالحة:**

انتقلنا بعد ذلك إلى جلسة مع المعارضين لرئيس الجمعية الإسلامية (كوميزا) وعلى رأسهم عبد الله فونجي وبعض دعاة الرابطة، ونصحناهم بعدم الاختلاف، وقلنا لهم: إن رئيس الجمعية موجود الآن في غرفة أخرى من مكتب الرابطة، وقد وافقونا وحضر رئيس الجمعية إليهم بمشقة، وظننا أننا قد أقنعناهم بالتصالح، والتعاون على ما فيه مصلحة الإسلام في المستقبل.

وانصرفنا عجلين إلى فندق (مملج) الذي ننزل فيه لترتيب الأمتعة، ودفع الأجرة للفندق، ولم تكن هناك فرصة للاستراحة، أو القليل من النوم في هذا اليوم.

**مغادرة زايير:**

عند الثانية بعد منتصف الليل حضر رئيس الجمعية الإسلامية (كوميزا) تمبوي عبيدي بسيارة له جديدة يقودها سائقه ومعه زوجة له شابة، ذكر أن هذه الليلة هي ليلتها أي الليلة التي يبيت فيها معها، فأخذها معه لئلا تقعد وحدها، ولتعذره إذا رأت أنه في شغل من أمرنا.

وصحبنا مع مدير مكتب الرابطة في سيارة الرابطة فوصلنا مطار كنشاسا البعيد عن المدينة بعد مسيرة طويلة، لكنها كانت سريعة بالنسبة إلى السير في النهار؛ لأن الشوارع ليس فيها زحام من السيارات والناس إلا أنه لا يزال يوجد في الشوارع أناس يمشون راجلين أو واقفين أو متسكعين أشار

إليهم (تمبوي عبيدي) وقال: هؤلاء كلهم لصوص.

ثم دخلنا إلى قاعة كبار الزوار في المطار، أو صالون الشرف كما يسميه بعض عوام الكتاب، ويسمى هنا (صالون موبوتو) إضافة إلى رئيس الجمهورية الزاييرية، وهي قاعة واسعة جيدة التأثيث، إلا أن موظف المراسم أخذ جوازي لإنجاز الختم عليه، وقطع التذكرة، وتحميل الأمتعة، إلا أنه لم يدر ـ هو ومدير مكتب الرابطة ـ كيف يفعل، فسارع رفيقي السفير عبد الوهاب الدكوري إلى تصحيح الأمر وإنهاء كل شئ.

ثم بقينا في غرفة كبار الزوار ننتظر أن يدعونا إلى الصعود للطائرة، والشيخ الدكوري يراقبهم رغم كونه مثلي لم ينم هذا اليوم وليلته، والنعاس يداعب جفنيه، إلا أنه ذكر حادثة مرت بأحد الإخوة السعوديين الذين قدموا إلى هذه البلاد وكان معه، وذلك أنه دخل قاعة كبار الزوار هذه، وقال له موظفو المراسم: إنهم سيدعونه إذا ما حان وقت الصعود إلى الطائرة، قال: فحان وقت صعود الطائرة ولم يخبروه، وقامت الطائرة معها أمتعته دونه.

إلا أن مخبراً جاء يخبر من الشركة إن الطائرة قد تأخرت، وإن قيامها سيتأخر حوالي ثلاث ساعات من الثالثة والنصف فجراً كما كان مقرراً إلى السادسة والربع صباحاً أو نحوها.

فرجوت الأخ (تمبوي عبيدي) والمرافقين غيره أن يعودوا إلى بيوتهم، ويتركوني بعد أن انتهى الأمر أو كاد، ولكنهم لم يوافقوا على ذلك عدا السيد (عبيدي) الذي عاد لأنه كانت معه زوجته.

وبقي الأخوان الكريمان السفير الدكوري، والأستاذ كوبا باب الخير حتى ودعونا عند باب الطائرة الإثيوبية التي غادرت مطار كنشاسا في السادسة والربع وقد أشرقت الشمس.

**يوم السبت ٢٩/ ٢/ ١٤٠٤هـ**

أشرقت شمس هذا اليوم وأنا في طريقي لصعود الطائرة الإثيوبية فذكرت رحلة لي في هذا الوقت نفسه، ومن مطار آخر كان لهذه المدينة قبل إنشاء مطارها الكبير هذا، وكان ذلك قبل ثماني عشرة سنة أي في عام ١٩٦٦م.

ولكن كان ذلك المطار الصغير أكثر نظاماً وانضباطاً حينذاك من هذا المطار الكبير الحالي.

وعلى سبيل المثال كنت سافرت على طائرة خطوط (الكنغو) كما كانت البلاد تسمى آنذاك، وتسمى هذه الشركة (أير كنغو) على طائرة مروحية قاصدة المدينة نفسها التي نقصدها الآن، وهي مدينة نيروبي عاصمة كينيا.

وأما الآن فإنه لا يثق أحد بطائرات الخطوط الزاييرية، هذا إذا استطاعت طائرة منها أن تطير طيراناً منتظماً إلى مطار من المطارات، وما هي بمستطيعة حسبما ذكره لنا أهل البلاد، وذلك لضعف الإدارة فيها، وانعدام الانضباط في القائمين عليها.

أما الطائرة الإثيوبية هذه فإنها من طراز بوينج ٧٢٧ وكانت مليئة بالركاب لأنها قادمة من عدة مطارات إفريقية، منها مثلاً ساحل العاج وأكرا ودوالا في الكاميرون، وليس لمقاعدها أرقام كما لم يكن فيها مقاعد مخصصة للمدخنين.

ولكن خير ما فيها عدا جودة صيانة طائراتها بالنسبة إلى طائرات الخطوط الإفريقية الأخرى حسن الخدمة عند مضيفاتها اللاتي اشتهرت شركتهن بذلك.

وجددت بالركوب مع هذه الشركة عهداً قديماً مضت عليه عشرون

عاماً كنت فيها أختار هذه الخطوط الإفريقية على غيرها من الخطوط لجودة الخدمة فيها، والحفاوة بركابها، ولضبط مواعيدها.

والآن قد تغيرت في إفريقية أشياء كثيرة، ونال إثيوبيا قسم كبير من ذلك التغيير، إلا أنه كان تغييراً شاملاً أثر على نظام الحكم الإمبراطوري السابق فأسقطه، وأسقط كل ما تعلق به ومن كانت لهم صلة به، وأحل محله حكماً يسارياً بل شيوعياً هدم القديم بما فيه من صالح وفاسد، ولم يعين عوضاً عنها بناءً صالحاً.

إلا أن الخطوط الإثيوبية - وقد نالها ما نالها من الانحدار الذي نال البلاد - فإنها لا تزال أحسن الخطوط الإفريقية خلف الصحراء حاشا خطوط جنوب إفريقية العنصرية، وذلك ليس لحسن أصاب هذه الطائرات الإثيوبية، وإنما ذلك لسوء أصاب الخطوط الإفريقية الوطنية، أو أصاب أكثرها.

وكنت في الرحلة الأولى التي زرت فيها هذه المدينة الزايبيرية (كنشاسا) وغادرتها إلى نيروبي، كما أغادرها الآن أقوم بمهمة إسلامية مثل هذه المهمة التي أقوم بها الآن، وكنت أحمل معي مبالغ نقدية صرفناها للجمعيات والمؤسسات الإسلامية كما فعلت بصرف مثلها الآن للمساجد.

وقد قطعت الدعوة الإسلامية في إفريقية الخضراء أشواطاً طيبة في التقدم والتطور، بل الازدهار في أكثر الأقطار فيها، ووقفت أولم تتقدم على مستوى الجماعات في أقطار إفريقية أخرى منها زايير هذه التي نغادرها، وإن كان ذلك التوقف إنما هو على مستوى الجمعيات والمؤسسات، لا على مستوى الأفراد، فأولئك كان عددهم يزيد في عدد المسلمين، وكانت نوعيتهم تتحسن في أكثر الأحوال، وتواكب في ذلك النهضة الإسلامية، والصحوة الشاملة التي عمت أقطار العالم كله من شرقه إلى غربه، ومن بلاد البيض فيه إلى بلاد السود وغيرها من البلدان، فالحمد لله على كل حال، وهو المستعان، وعليه التكلان.

**قبل مفارقة زايير:**

قبل أن نطوي صفحة الحديث عن زايير التي طوينا بنهاية الحديث عنها صفحات هذا الكتاب أحببت أن أثبت هنا تقريراً مختصراً أعده مكتب الرابطة في مدينة كنشاسا عاصمة زايير، ويتضمن أهم المعلومات عنها باختصار.

## اسم الدولة:

جمهورية زايير: كانت مستعمرة بلجيكية منذ عام ١٨٨٥م إلى: ٣٠ يونية من سنة ١٩٦٠م، وهو التاريخ الذي حصلت فيه على استقلالها.

وكان يطلق عليها خلال عهد الاستعمار (الكنقو)، وقد بقيت تحمل هذا الاسم إلى سنة ١٩٧٤م، حيث أطلق عليها الرئيس (موبوتو) رئيس الجمهورية اسم (جمهورية زايير)، في إطار سياسته الجديدة التي دشنها آنذاك تحت شعار: (العودة إلى الأصالة).

### حدودها الجغرافية:

تتكون جمهورية زايير من دولة فسيحة الأرجاء مساحتها مليونان وثلثمائة وخمسة وأربعون ألفاً وأربعمائة وتسعة كيلو مترات مربعة، يحدها من الغرب والشمال نهر الكنقو وأوبانغي، ويحدها من الشرق التلال المترامية الأطراف في وسط إفريقية، ويحدها من الجنوب خط تقسيم مياه نهر الكنقو.

وتقع جمهورية زايير في وسط إفريقية، وتحتل وحدها الجزء الأكبر من إفريقية الوسطى، ولها حدود مشتركة مع كل من جمهوريات: رواندا، وبورندي، وتنزانيا، وأوغندا من الشرق، وجمهورية إفريقيا الوسطى والسودان من الشمال، وجمهورية الكنقو الشعبية من الغرب، وجمهوريتي زامبيا وأنقولا من الجنوب.

## مناخها:

تقع زايير في النصف الشمالي من خط الاستواء، وهي: بذلك تتمتع بمناخ استوائي، وبجو نموذجي في ثلثي مساحتها، نظراً لوفرة البحيرات والمستنقعات القابلة للتبخر.

أما الهضبات الواقعة في الجنوب الشرقي فلها مناخ استوائي أقل رطوبة في الفصل الجاف الذي يستغرق خمسة شهور تقريباً، لكون زايير تتمتع بفصلين أحدهما ممطر والثاني جاف، حيث تتساوى درجة الحرارة.

ودرجة الحرارة المتوسطة خلال الفصل الجاف ٢٧ درجة وهو الذي يبتدئ من النصف الثاني من شهر يونية إلى النصف الثاني من شهر سبتمبر من كل سنة.

أما خلال الفصل الممطر فتكون درجة الحرارة مرتفعة والرطوبة عالية مما يساعد على حدوث تقلبات جوية متنوعة مرهقة خلال ساعات من كل نهار خلال هذه الفترة.

### عدد السكان:

يقدر عدد سكان زايير الآن ب (٤٢,٠٠٠,٠٠٠) اثنين وأربعين مليون نسمة، وبمعدل نمو سكاني يقدر بنسبة ٣٪، وكثافة سكانية تقدر بـ ١٤ ساكناً على كل كيلومتر مربع.

ويستوطن أغلب السكان في الأجزاء الشرقية والجنوبية من البلاد، حيث توجد المدن الكبيرة كالعاصمة كنشاسا التي يقدر عدد سكانها ٤ ملايين نسمة ونصف، ولوبومباشي بمليونين ونصف، وبوكافو كذلك، وكيسنجاني بمليونين، وأمبوجي ماي بمليون نسمة.

وتتكون غالبية سكان زايير من جماعات تسمى البانتو بالإضافة إلى أسر من أصول استوائية أخرى، كالعرق السوداني في جنوب البلاد وشرقها،

وسكان آخرين ينتمون إلى أعراق نيلية تسكن بالقرب من حدود جمهورية أوغندا مع زايير.

**نسبة المسلمين وغيرهم:**

توجد في زايير أقلية إسلامية تقدر بستة ملايين نسمة، على رأسها جماعة إسلامية واحدة هي الممثلة الرسمية لهم بهذه البلاد.

أما نسبة غير المسلمين الذين يعتنقون أدياناً أخرى، فيمكن حصرهم فيما يلي:

الكاثوليكيون: يقدر عددهم بأكثر من ١٢ مليون نسمة، وتحتل الديانة الكاثوليكية الدرجة الأولى بين الديانات الخمس المعترف بها رسمياً بالبلاد.

أما البروتستانتيون فيقدر عددهم بثمانية ملايين نسمة، في حين أن الكيمبايغيين[1] يقدر عددهم بستة ملايين نسمة، والأرثونكسيون بخمسين ألف نسمة وهم أقلية، ومعظمهم يعيشون في إقليمي كاساي الغربية وكاساي الشرقية.

وبناءً على ذلك فإن الديانة الإسلامية تحتل الدرجة الثالثة من بين بقية الديانات، في حين أن الإسلام كان في الدرجة الأولى قبل الاستعمار البلجيكي، إلا أنه واجه مضايقات كبيرة، وحروباً شديدة أدت إلى تراجعه خلال عهد الاستعمار إلى الدرجة الثالثة.

**موقع المسلمين في البلاد:**

إن الأقلية الإسلامية بزايير منتشرة بجميع أقاليم البلاد البالغ عدد أقاليمها أحد عشر إقليماً.

---

(١) هذه مجموعة الديانات الوثنية الموجودة في البلاد قبل وصول المنصرين.

ويقطن السواد الأعظم منهم في المناطق الشرقية من البلاد كإقليم مانييما الذي توجد فيه مدينة (كاسونغو) مهد الإسلام الأول بهذه الديار، وإقليم زايير العليا، وإقليمي كاساي الشرقية والغربية، وإقليم شابا، بالإضافة إلى كنشاسا العاصمة.

**الديانات النشطة:**

إن جميع الديانات المسيحية المعترف بها رسمياً بزايير نشطة جداً، وخصوصاً منها الكاثولوكية والبروتستانتية والكيمبانغية، وتتوفر على عدة مؤسسات ثقافية واجتماعية وصحية، تتجلى في عدة مدارس ابتدائية وثانوية وجامعية منبثة في مختلف أنحاء البلاد، يتخرج منها سنوياً المئات من المنتمين لهذه الديانات، والذين يحتلون أسمى وأعلى المناصب السياسية والثقافية والاجتماعية والصناعية والاقتصادية، في حين أن الإسلام ينمو بقدرة الله، وليست له على أية مؤسسة من هذا القبيل، ويعاني المسلمون الأمرّين من الفقر، والجهل، ومن شظف العيش.

إن الإسلام في زايير يسير بخطوات مباركة بفضل الله ثم الجهود التي تبذلها رابطة العالم الإسلامي عن طريق مكتبها الإقليمي بزايير، الذي يعتبر المؤسسة الإسلامية الوحيدة في هذه الديار، لها نشاط إسلامي مرموق، حيث تجاهد في هذه المنطقة بالوسائل المتاحة وبتضحيات العاملين والمؤمنين القلائل في الحقل الإسلامي.

**دين الدولة الرسمي:**

إن الدولة علمانية، ودستورها صريح في ذلك، وبذلك فإن الدولة لا دين رسمي لها، فهي تعترف بخمس ديانات هي: الكاثوليكية، والبروتستانتية، والإسلام، والكيمبانغية، والأرثوذكسية، مرتبة حسب المرتبة التي تحتلها على صعيد التراب الوطني في زايير.

وجدير بالذكر أن الرئيس موبوتو في كل مناسبة يصرح بأن دين الدولة كان في زايير الديانة الكاثوليكية، لكنه ألغاه بعد توليه زمام مقاليد الحكم بالبلاد في سنة ١٩٦٥م، وهو يفتخر بذلك، لأنه يعتبر من المكاسب التي حققها للبلاد، حيث أصبحت الدولة علمانية تتعايش فيها جميع الأديان المعترف بها في زايير.

ورغم كون الدولة علمانية ظاهرياً، إلا أن معظم مقاليد المرافق الحساسة بالبلاد سياسية، واقتصادية، وثقافية، واجتماعية، هي في يد المتدينين بالديانة المسيحية السالفة الذكر، وحتى رئيس الجمهورية، فإنه يحضر بنفسه جميع القداسات التي تقام بالكنيسة الكاثوليكية بمناسبة عيد الميلاد في كل سنة.

## اللغات السائدة:

توجد بزايير أكثر من (٤٣٠) لهجة محلية، أما اللغات السائدة فيها فهي: اللينغالا _ السواحلية _ تشيلوبا_ كيكنقو _، في حين أن اللغة الرسمية للبلاد هي الفرنسية، وهي لغة الدواوين.

وجدير بالذكر أن اللينغالا هي اللهجة السائدة في العاصمة كينشاسا، وأصلها من خط الاستواء، وهي لهجة عرفت أيام الاستعمار، وانتشرت بين الجيش الزاييري انتشار النار في الهشيم، وتعتبر الآن لغة التراث، وخصوصاً في الموسيقى والطرب الوطني.

أما اللغة السواحلية، فهي لغة شرق إفريقيا، وتنزانيا، وأوغندا، ولغة معظم سكان شرق زايير، وهي لغة الثقافة للفئة المسلمة بشرق زايير.

### عدد الناطقين بكل لغة تقريباً:

تقدر نسبة السكان الذين يتكلمون هذه اللغات كالتالي:

(باللينجالا) ٥٠٪ - و (بالسواحلية) ٣٥٪ - و (بالشيلوبا) ١٠٪ - و (بالكيكونقو) ٥٪.

**أهم اللغات التي يتكلمها المسلمون:**

يتكلم المسلمون اللهجات السالفة الذكر، إلا أن أهمها هي اللينجالا والسواحلية.

ويقدر عدد المتكلمين منهم بالسواحلية بنسبة (٧٠ ٪) وباللينجالا (٣٠ ٪) واللغة الفرنسية هي لغة التخاطب، واللغة المشتركة التي يمكن القول بأنه يفهمها الجميع، خصوصاً في الأوساط المثقفة.

**الحرف الذي تكتب به كل لغة بما فيها لغة المسلمين بزايير:**

تكتب جميع اللهجات الآن بالحروف اللاتينية بما فيها لهجات المسلمين، إلا أنه في عهد ما قبل الاستعمار كان المسلمون الذين يتحدثون باللغة السواحلية يدونونها بالحروف العربية.

إلا أن هذه الظاهرة في طريقها إلى الاندثار بسبب ضعف الثقافة الإسلامية، وقلة المدارس التي تعلم أبناء المسلمين اللغة العربية، ولا زال إلى الآن بعض الشيوخ يكتبون السواحلية بالحروف العربية، إلا أنه بكل أسف بموت هؤلاء بانقضاء آجالهم ستنتهي هذه الظاهرة، لأن أبناء المسلمين لم يتعلموا العربية، فهم يكتبون السواحلية بالحروف اللاتينية.

## موجز للحالة الاقتصادية لزايير:

إن الشعب الزاييري بصفة عامة يعيش على الزراعة البدائية، ودخله الفردي السنوي يقدر بـ(١٦٠) دولاراً أمريكياً، أما الإنتاج القومي فيقدر بـ(٥ر٠٧) مليار دولار، ومجموع الاستيراد: (٨٧٢) مليون دولار، ومجموع الصادرات: (١ر٠٩) مليار دولار، وذلك حسب إحصائية سنة (١٩٨٦ م).

أما أهم المواد التي تصدرها زايير، فهي: النحاس، الكوبالت، العاج، البن، الماس.

ورغم الثروات الطبيعية التي تزخر بها أرض هذه الدولة، وكثرة مياه الأمطار والمياه الجوفية، فإن البلاد تعاني من أزمة اقتصادية خانقة، ومن تراكم الديون الخارجية، مما أدى إلى تدهور الدخل الفردي للمواطن الزاييري، وضنك عيشه، وذلك راجع إلى الركود الذي يعرفه القطاع الزراعي، وكسل المواطن الزاييري وبخله في مساهمته في إخراج نفسه من أزمته الاقتصادية التي يعيش فيها

علماً بأن البلاد تشكو من قلة المدارس والمرافق الصحية والمستشفيات العامة والخاصة، وتفشي الأمراض المعدية، التي تفتك بالآلاف المؤلفة كل سنة، ولولا ارتفاع نسبة المواليد كل سنة لأدت هذه الوفيات إلى افتقار الدولة إلى السواعد الشابة اللازمة للتنمية.

**أهم احتياجات المسلمين بشكل عام:**

يعتبر المسلمون في هذه الديار من الذين يعانون الأمرين في مختلف الميادين الثقافية، والاجتماعية، والصحية، حيث لا تكثر فيهم الخبرات الإسلامية المؤهلة التي يمكنها أن تساعد على تقدم وازدهار حال المسلمين في هذه الديار.

ومن أهم هذه الاحتياجات المستعجلة بناء المدارس على مختلف درجاتها ابتدائية، وثانوية، وجامعة إسلامية نموذجية، وتخصيص منح دراسية كثيرة في مختلف التخصصات، سواء بداخل البلاد وخارجها، وبناء المستوصفات والمستشفيات أسوة ببقية أهل الأديان المعترف بها بالبلاد، وبنفس المستوى والتضحية، بالإضافة إلى رفع عدد الدعاة إلى مستوى لا يقل عن أربعة دعاة بكل مدينة من المدن الرئيسية بالبلاد أو التي تعرف نشاطاً تبشيرياً وتنصيرياً

ملحوظاً، كما نقترح تعيين عدد مناسب من مدرسي القرآن الكريم وعلومه على مستوى الجمهورية الزاييرية، ليقوموا ببعث إسلامي في حفظ القرآن وتفهيم معانيه، والإعانات التي يتلقاها المسلمون هنا ضعيفة جداً، وليست في المستوى المطلوب، إذا قورنت بما يبذل من طرف المسيحية في إطار التنصير لمحاصرة المسلمين، والعمل على ارتدادهم أو تشكيكهم في عقيدتهم نتيجة جهلهم وفقرهم واحتياجاتهم.

أما ما يحتاجه المسلمون من إعانات، فكل ما يخطر ببال أي محسن أو داعية يريد نشر الإسلام بهذه الديار، فهذه البلاد بأمس الحاجة إليها من ترجمة للكتب توضع خصيصاً لنشر مبادئ الإسلام بكيفية مبسطة، ومن ترجمة لمعاني القرآن الكريم والأحاديث النبوية باللغتين المحليتين: اللينغالا، والسواحلية السائدتين بالتراب الوطني، وبناء مدارس ومستشفيات، وغير ذلك من الإعانات المادية والمعنوية، لدعم الأقلية الإسلامية في هذه الديار، التي تهددها أخطار كثيرة.

**الاعتراف بالدين الإسلامي في زايير:**

يفيدنا التاريخ بأن الإسلام هو أول دين سماوي دخل زايير حوالي عام ١٨٤٠ قبل قدوم الاستعمار البلجيكي ودخول المسيحية.

وظل الإسلام غير معترف به رسمياً من قبل الحكومة حتى عام ١٩٧٢، والتحديد يوم ٢٨/ ١٩٧٢/٣ م حيث اعترفت به الحكومة رسمياً بالمرسوم الرئاسي رقم ٧٢-١٩٤ والذي بموجبه يمنح الشخصية الاعتبارية للإسلام عبر الجمعية الإسلامية لجمهورية زايير (كوميزا).

وحالياً يوجد الإسلام في جميع المحافظات الزاييرية.

واللوائح والنظام الداخلي للكميزا هو تنظيم الحياة الدينية للمسلمين في زايير طبقاً للقانون ٧١/ ١٢ بتاريخ ٣١/ ١٢/ ١٩٧٢م المتعلق بالأديان.

والكوميزا هي الهيئة الرئيسية التي تدير مصالح الإسلام والمسلمين في زايير من خلال ذاتياتها والتي اعتُرف بها في زايير. والهدف هو ترقية الإسلام والمسلمين بالموعظة والإرشاد وبنشر العقيدة الإسلامية الصحيحة في جميع أنحاء جمهورية زايير في شتى مجالات الحياة الوطنية، وخاصة التنوير في الأمور الدينية والحياة الاجتماعية والثقافية والعلمية والخيرية والصحية ولتنسيق النشاطات الإسلامية الأخرى.

ومن ضمن الأهداف الأولية الرعاية والعناية بمصالح المسلمين ووضع النظام وجمع شمل المسلمين معاً على مختلف أعمارهم وجنسيتهم وأصلهم. كذلك تتعاون الكوميزا أيضاً مع بعض المؤسسات والجمعيات الإسلامية المعينة المعترف بها رسمياً من قبل الدولة في أمور ومسائل المرأة المسلمة والشباب وفي أمور اجتماعية أخرى.

**نسبة المسلمين في زايير:**

من خلال ما تقوم بها الكوميزا من النشاط اكتشفت أن جمهورية زايير تضم في داخلها أكبر عدد من الأقليات المسلمة في وسط إفريقيا حيث إن المسلمين فيها منتشرون في جميع محافظات الدولة، وهي تفوق بذلك من حيث العدد جميع الدول الواقعة في وسط القارة الإفريقية.

**التاريخ الإسلامي في زايير:**

زايير هي الدولة الرئيسية في إفريقيا التي ذاقت بلاءً كبيراً من هؤلاء الذين حاربوا الإسلام والعرب في إفريقيا حيث سالت دماء غزيرة من المسلمين الأوائل الذين دخلوا في الإسلام.

لقد استغل الاستعمار البلجيكي محاربة الإسلام وجعلها هدفاً للاستعمار، وأريق كثير من دماء المسلمين في زايير خاصة في منطقة دائرة

كاسونغو مصدر ومهد انتشار الإسلام في زايير حتى بقيت مهملة ومتأخرة إثر تمسكها بالإسلام ديناً لها ورفضها ترك دينها كشرط ضمها إلى ركب بقية المحافظات التي كانت على الفطرة.

وفي زايير بنى الاستعمار نصباً تذكارياً ضخماً لم يبن مثله في العالم كدليل على كراهية الأوروبي المستعمر للإسلام. حيث كان يجمع المسلمون في هذا المكان ويقتلون علناً وتترك أجسامهم بلا دفن. وما زال النصب واقفاً حتى اليوم في كاسونغو.

وتتعاون (الكوميزا) بأسلوب جيد مع المؤسسات العامة من خلال التكامل مع الأقلية المسلمة وبتكاتف مع الدولة عن طريق المشاركة في بعض الموضوعات الخاصة المتعلقة بالمصالح العامة.

**التشكيل الإداري للكوميزا:**

**أ - على المستوى الوطني:**

❖- الجمعية العمومية للإسلام. وهي السلطة العليا للكوميزا وتضم ٣٦٦ عضواً عاملاً يمثلون أقاليم زايير جميعها.

❖- المجلس الوطني للإسلام. وهو جهاز المراقبة لنشاطات الكوميزا لمدة عام واحد. ويجتمع عادة مرة واحدة في السنة. تحت إشراف الممثل الشرعي ورئيس المجلس الإسلامي الوطني. ويضم هذا المجلس ١٢ عضواً هم رؤساء اللجان الإقليمية ونوابهم وأعضاء المراكز الوطنية. وهم مسؤولون عن الخدمات الخاصة بالكوميزا

**ب - مجلس الإدارة:**

وهي إدارة الجمعية العليا و مجلس الإدارة هو الهيئة الدائمة للإدراك والإدارة التنفيذية على المستوى الوطني لقرارات الجمعية العمومية ،وتجتمع عادة مرة كل شهر للنظر في الأمور الدينية ، وتتشكل هذه اللجنة على النحو

التالي:

**١-المكتب: يتألف المكتب من:**

❖- الممثل الشرعي ورئيس المجلس الإسلامي الوطني .

❖- أربعة نواب للرئيس .

❖- ثلاثة أمناء عامين .

**٢-الأمانة العامة: تتألف من:**

❖- تسعة نواب للرئيس .

❖- اثنان من أمناء الخزينة .

❖- اثنان من المستشارين .

الممثل الشرعي ورئيس المجلس الإسلامي الوطني هو الذي يمثل الكوميزا أمام السلطات العامة والغير .

**١-مجلس العلماء (الديني):**

مجلس العلماء المسمى بمجلس التبليغ يتألف من الأئمة والشيوخ والدعاة والمعلمين وهو الجهاز الخاص المسؤول عن الشؤون الإسلامية علماً بأن الكوميزا تعد حوالي ٤٠٠٠ إمام و١٦٠٠ داعية و ٢٠٠٠٠ معلم الذين يعملون متطوعين بدون أجور ثابتة ولا رواتب شهرية.

**المجموعة التالية:**

- الدعاة الذين تتحمل رواتبهم رابطة العالم الإسلامي.

- الدعاة الذين تتحمل رواتبهم جمعية الدعوة الإسلامية في ليبيا .

- الدعاة الذين تصرف رواتبهم دار الإفتاء في المملكة العربية السعودية.

- الدعاة من هيئة الإغاثة الإسلامية في المملكة العربية السعودية .

وما زالت الكوميزا تطلب من الهيئات الإسلامية العالمية أن تعين مزيداً من الدعاة والأئمة والواعظين في زايير

عدد المساجد في زايير يزيد قليلاً على ٢٠٠٠ مسجد تقام فيها صلاة الجمعة و١٠٠٠٠ مسجد للصلوات الخمس و ١٢٠٠ مدرسة قرآنية أو مراكز إسلامية.

وهذه الأرقام أخبرتنا بها الكوميزا نفسها، ولم نتحقق من صحتها من مصادر أخرى.

**التنسيق الوطني للمدارس الإسلامية:**

بموجب الاتفاق مع الحكومة تشرف الكوميزا على بعض المدارس العامة منذ ١٩٧٩/٨/٣١ م، وعدد هذه المدارس يبلغ ٣٢٠ مدرسة من المدارس الابتدائية إلى المدارس الثانوية العامة والمهنية، تحت إدارة المنسق الوقتي للمدارس الإسلامية، وتوجد فروعها في جميع أقاليم زايير.

**وهذه المدارس تواجه المشكلات التالية:**

❖- عدم وجود المباني الخاصة بها.

❖- عدم وجود الأجهزة والأدوات المدرسية اللازمة لتسهيل عملية التدريس.

❖- عدم وجود الدورات التأهيلية لمدرسي المواد الدينية والوسائل الإسلامية.

**مجلس الحكماء:**

تمثل المحكمة الإسلامية حيث يقضى بين المسلمين في القضايا المتعلقة بالأحوال الشخصية وفقاً للشريعة الإسلامية وبالأحوال العامة وفق القانون

الزاييري

وأعضاء مكتب مجلس الحكماء لهم حق العضوية في المجلس الإسلامي الوطني، ويساعد هذا المكتب علماء متخصصون في الشريعة الإسلامية ويطبقونها وفقاً لقانون الدولة، ويوجد مجلس الحكماء في جميع تنظيمات الكوميزا.

**الإرشاد الإسلامي نحو القوات المسلحة الزاييرية والحرس المدني:**

للاعتناء والاهتمام بالعساكر المسلمين في معسكراتهم مثل ما تقوم به الهيئات الدينية الأخرى في زايير، فالكوميزا لها المرشد الذي يرأس هذه اللجنة لإرشاد الجنود، وله حق الانضمام إلى المجلس الوطني الإسلامي حيث يحصل الداعي على رخصة منه يسمح له بها بالدخول بالمعسكر لأداء الدعوة الإسلامية .

**مندوب الكوميزا لدى رابطة العالم الإسلامي:**

وهو المفوض للكوميزا لدى المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي وهو الآن الشيخ حسن ثابت عضو المجلس التأسيسي للرابطة، ويفوضه الممثل الشرعي ورئيس المجلس الإسلامي الوطني في قضايا الكوميزا أمام العالم الإسلامي.

المنظمات والحركات الشبابية والنسائية في زايير.

**علاقات الكوميزا مع المنظمات الإسلامية:**

١-رابطة العالم الإسلامي:

منذ عام ١٩٨٣والكوميزا تحافظ على علاقتها التعاونية مع رابطة العالم الإسلامي التي افتتحت مكتبها الإقليمي في كنشاسا لتمثيل الرابطة في وسط إفريقيا .

وقد عينت الرابطة أول الأمر سبعة من الدعاة الزاييريين، وقد زار الكوميزا في زايير الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي واشترك وفد الكوميزا برئاسة الممثل الرسمي ورئيس المجلس الإسلامي الوطني في المؤتمر الإسلامي لمنطقة وسط إفريقيا الذي أقامته الرابطة .

**مع البنك الإسلامي للتنمية :**

منذ عام ١٩٨٧يمنح البنك الإسلامي للتنمية المنح الدراسية لشباب مسلمي زايير بواسطة الكوميزا للدراسة في الجامعات في الدول الإسلامية مثل المملكة المغربية والتونسية والجزائر والسنغال .

لقد تم الاتفاق بين الكوميزا والبنك الإسلامي للتنمية على تمويل مشروع بناء المعهد الإسلامي في كنشاسا ، وقد جاء إلى زايير مرتين وفد من البنك المذكور للزيارة التفقدية .

**ومع منظمة المؤتمر الإسلامي :**

دخلت الكوميزا في المفاوضات مع منظمة المؤتمر الإسلامي تطلب الانضمام لعضوية هذه الهيئة السياسية العليا للعالم الإسلامي وفي أقسامها المختلفة لأسباب كثيرة منها:

❖- الموقع الإستراتيجي لزايير في قلب إفريقيا

❖- والتصدي للهجوم القادم من الكنائس المسيحية المنتشرة في زايير

❖- ولأن زايير لها تاريخ حافل بالأحداث الإسلامية

**ومع الأزهر الشريف :**

تتعاون الكوميزا كذلك مع الأزهر في مجالات مختلفة .

الأزهر الشريف يعطي المنح الدراسية لبعض الشباب الزاييريين للدراسة في ألأزهر بجمهورية مصر العربية، فيما يبعث الأزهر بعض الأساتذة إلى زايير والوعاظ والخطباء، وقد تم كل هذا بعد المقابلات التي تمت بين مسؤولي الجانبين بمصر وزايير.

**ومع منظمة الدعوة الإسلامية في ليبيا:**

لقد سهلت الكوميزا مهمة التأسيس لمكتب منظمة الدعوة الإسلامية العالمية في زايير بعد توقيع الاتفاق بين الجانبين الزاييري، والمنظمة المذكورة، وفيما يتعلق بالمنظمة المذكورة لقد اشترك وفد من الكوميزا برئاسة ممثلها في المؤتمر الذي أقامته المنظمة المذكورة.

**ومع سفارات الدول العربية:**

نظراً لأهمية زايير ودورها في وسط إفريقيا يوجد معظم سفارات الدول العربية الإسلامية في كنشاسا ما عدا الدول الخليجية وهم أعضاء في البنك الإسلامي للتنمية لهم التمثيل الدبلوماسي في كنشاسا.

والكوميزا تتعاون مع هذه السفارات لتوطيد العلاقات الأخوية وبالتشاور المتبادلة بين الكوميزا وهذه السفارات العربية الإسلامية في كنشاسا وهم يتابعون بالاهتمام الأمور الدينية في زايير.

والكوميزا تتمنى أن تقوم الدول الخليجية بإعادة فتح سفاراتها في زايير وإعادة علاقاتها الدبلوماسية مع زايير لتسهيل الاحترام المتبادل بينها وبين زايير.

# الفهرس

مطبعة النرجس التجارية
NARJIS PRINTING PRESS
تلفون : ٢٣١٦٦٥٣ / ٢٣١٦٦٥٤
فاكس : ٢٣١٦٨٦٦ الرياض